روايات الهلال

چون شتاينبك

الأتوبيس الجامح




أوليمبيك إليكتريك
OLYMPIC ELECTRIC
ولايزال التجديد مستمرًا
سخانات * دفايات * مراوح * مواقد كهربائية * مكانس * شفاطات * بلاستيك أوديا * سخانات شمسية

روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

سلسلة
شهرية
لنشر
القصص
العالمي

تصدر عن مؤسسة
دار الهلال

العدد ٤٨٨ أغسطس ١٩٨٩
محرم ١٤١٠ هـ
No 488 Aug. 1989

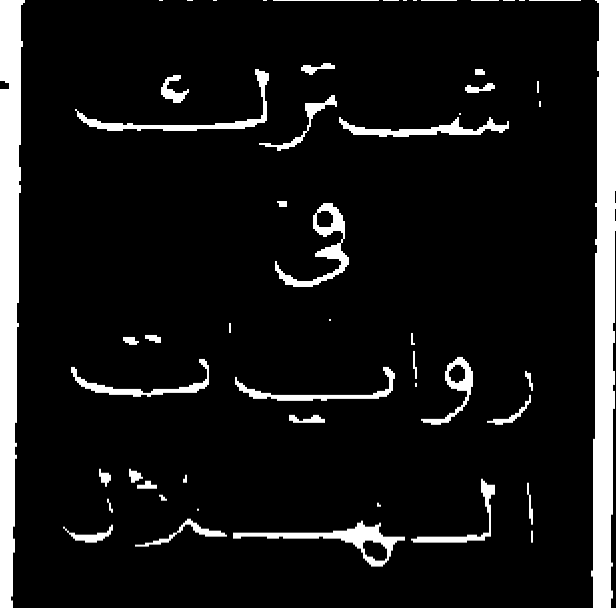
● الاشتراكات ●

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية اثنا عشر جنيها ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وإلباكستان ثلاثة عشر دولارا او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

أسعار البيع للعدد الممتاز فئة ٢٠٠ قرش للقارىء فى مصر :-

سوريا ٥٠ ليره - لبنان ٧٠٠ ليره - الاردن ١٠٠٠ فلس - الكويت ٥٠٠ فلس - العراق ٥٠٠ فلس - السعودية ٦ ريالات - الدوحة ٨ ريالات - البحرين ١٢٠٠ فلس - دبى ٨ دراهم - أبوظبى ٨ دراهم - مسقط ٧٥٠ بيسه - غزه والضفه ١ر٢٥ دولار - عدن ٢ دولار .



الكويت : السيد عبد العال بسيونى زغلول الصفاة - ص . ب رقم 13079٢١٨٣٣ - تليفون - ٤٧٤١١٦٤

للحصول على نسخ من روايات الهلال
اتصل بالتلكس : 92703 HILAL. U. N.

الادارة دار الهلال ١٦شارع محمد عز العرب - القاهرة
تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

الغلاف بريشة الفنانة :
سميحة حسنين

اهداءات ٢٠٠٢
أ/حسين كامل السيد بك فهمى
الاسكندرية

الأتوبيس الجامح

تأليف

جون شتاينبك

ترجمة

عبد الحميد فهمى الجمال

دار الهلال

هذه هى الترجمة الكاملة لرواية

BUS RIDE INTO THE HILLS

تاليـف

John Stenbeck

الفصـــــــل الأول

على مسافة ٤٢ ميلا أسفل « سان يسيدرو » وعلى طريق رئيسى فى كاليفورنيا يتجه من الشمال للجنوب يوجد مفرق طرق ظل يسمى « ريبيل كورنرز » لفترة تقرب من ثمانين عاما . ومن هذا المفرق يتفرع طريق فرعى اقليمى بزاوية قائمة نحو الغرب الى ان يلتقى بعد ٤٩ ميلا مع طريق رئيسى آخر يتجه من الشمال الى الجنوب ويربط بين سان فرانسيسكو ولوس انجيلوس مارا بهوليوود بالطبع . فكل من يرغب فى الذهاب من الوادى فى الداخل الى الساحل فى هذا الجزء من الولاية يضطر لأن يسلك هذا الطريق الذى يبدأ من ريبيل كورنرز ويتعرج مخترقا تلالا وجزءا صغيرا من الصحراء ومارا بأراض زراعية وجبال الى أن يصل أخيرا الى الطريق الرئيسى الساحلى فى منتصف مدينة « سان جوان دى لا كروز » تماما .

وقد اطلق على مفترق الطرق هـذا اسم ريبيل كورنرز فى عام ١٨٦٢ . ويقال أن عائلة تسمى بلانكين قد احتفظت لنفسها بدكان حدادة عند هذا المفترق . وكان أفراد تلك العائلة واصهارهم فقراء وجهلاء ومتكبرين وكنتاكيين يميلون للعنف . ولأنهم كانوا لا يمتلكون اثاثا ولا عقارات فقد احضروا معهم من الشرق ما علق بأذهانهم من تعصب وحيل سياسية . ورغم أنهم كانوا لا يمتلكون عبيدا فانهم كانوا على استعداد لأن يضحوا بحياتهم فى سبيل الابقاء على مبدأ العبودية . وعندما بدأت الحرب ناقش افراد عائلة بلانكين مسـألة سفرهم عائدين عبر الغرب الذى لا حدود له للقتال من أجل الاتحاد الفيدرالى ولكنه كان طريقا طويلا وبعيدا للغاية وسبق لهم أن عبروه مرة . وأخذت اسرة بلانكين من الاتحاد مائة وستين فدانا ودكان حدادة والحقوا بلانكين كورنرز بالكيان الفيدرالى . ويقال أيضا أنهم حفروا الخنادق وصنعوا كوات البنادق فى دكان الحدادة للدفاع عن هذه المنطقة المنعزلة الثائرة ضد اليانكى سكان الاماكن الشـمالية فى أمريكا . وكانت غالبية اليـانكى من المكسيكيين والالمان والايرلنديين والصينيين وكانوا لا يميلون الى الهجـوم على البـلانكين بل وكانوا فخورين بهم بعض الشيء . ولم يعرف البلانكين رغـد العيش لأن العدو كان يحضر الدواجن والبيض والسجق المصنوع من لحـوم الخنزير فى أوقات الذبائح ولأن كل فرد راى انه ينبغى الاعتراف بمثل

هذه الشجاعة بغض النظر عن القضية . وأخذ مكانهم اسم « ريبيل كورنرز » واحتفظ بهذا الاسم الى يومنا هذا .

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أصبح البلانكين كسالى دائبى العراك والخصام مع بعضهم البعض وامتلأت قلوبهم بالبغض والشكاوى شأنهم فى ذلك شأن كل طائفة منهزمة حتى ان الناس كفوا عن احضار خيولهم لعمل حدوات لها وامتنعوا عن احضار محاريثهم لاصلاحها بعد أن تبخر الاعتزاز بهم مع انتهاء الحرب وأخيرا فان ما لم تستطع أن تفعله جيوش الاتحاد بقوة السلاح قام به البنك الاهلى الاول فى سان يسيدرو بنزع ملكية الاراضى المرهونة .

والآن ، وبعد حوالى ثمانين عاما لا أحد يذكر الكثير من البلانكين فيما عدا انهم كانوا متكبرين بغيضين الى النفس . وفى السنوات التى توالت انتقلت ملكية الارض من شخص لآخر مرات عديدة قبل أن تصبح جزءا من امبراطورية أحد ملوك الجرائد . واحترق دكان الحدادة واعيد بناؤه ثم احترق مرة أخرى . وما تبقى منه تم تحويله الى جراج ومضخات بنزين ثم تحول بعدئذ الى دكان ، مطعم ، جراج ومحطة خدمة للسيارات . وعندما اشتراه جوان شيكوى وزوجته وحصلا على ترخيص بتسيير خط للنقل العام بين ريبيل كورنرز وسان جوان دى لاكروز أصبح يضم كل هذه الأمور بالاضافة الى كونه محطة أوتوبيس ايضا . ولقد اختفى البلانكين من على وجه الارض بسبب الكبرياء وقدر كاف من الاهانات الوضيعة التى هى معيار الجهل والكسل ، ولا أحد يتذكر الشكل الذى كانوا عليه . ولكن ريبيل كورنرز معروف وشهير وشيكوى وزوجته ينالان الكثير من الرضا والحب .

وكان يوجد مطعم صغير خلف مضخات البنزين ، مطعم به كافتريا وكراسى مستديرة مثبتة بدون مسند للظهر وبه ثلاث مناضد من أجل اولئك الذين يرغبون فى تناول طعامهم بطريقة ما . وهذه المناضد الثلاث لم تكن تستخدم غالبا اذ جرت العادة على اعطاء بقشيش للمدام شيكوى عندما تقدم لك ما تطلب عند المنضدة وليس الأمر كذلك اذا قدمت لك ما تطلب عند الكاونتر . وعلى الرف الاول خلف الكاونتر كانت توجد الاقراص والقواقع الحلزونية ولقمة القاضى الحلوة المذاق ، وعلى الرف الثانى كانت توجد معلبات الحساء والبرتقال والموز ، وعلى الرف الثالث صناديق تحوى خبزا رقيقا من القمح ورقائق رفيعة من الارز وحبات العنب وحبوب أخرى مطحونة . وكانت توجد شواية فى احد الاطراف خلف الكاونتر وبجانبها حوض

الغسيل وبجانب ذلك صنابير البيرة والصودا ، ووحدات الآيس كريم بجانب أولئك ، وعلى نفس الكاونتر وبين صناديق ورق السفرة وفتحات صندوق العملة والملح والفلفل والصلصة كانت الفطائر والشطائر معروضة تحت اغطية كبيرة من البلاستيك . وكانت جدران المطعم مزدانة بالتقاويم وملصقات الحائط التى تعرض صورا لفتيات لا مثيل لهن فى الحياة اليومية من حيث الصدور الناهدة والارداف غير الممتلئة ـ شقراوات وسمراوات وذوات الشعر الاحمر ولكن دائما مع هذا النمو فى الصدر حتى أن اى زائر من أجناس اخرى قد يتصور ـ بسبب اهتمامات الفنان والنظارة ـ أن بؤرة التناسل موضوعة فى الثديين .

وكانت « اليس شيكوى » وهى زوجة جوان شيكوى تعمل بين الفتيات المتألقات . وكانت عريضة الأرداف متهدلة الثديين وكانت تسير ملقية بثقلها الى الخلف على عقبيها . وهى لم تكن غيورة على الاطلاق من فتيات التقويم وفتيات اعلانات الكوكاكولا لانها لم تشاهد أبدا اية فتاة مثلهن وكانت تعتقد ان اى شخص آخر لم يشاهدمثلهن ، وكانت تقلى البيض وشرائح لحم الخنزير وتسخن حساء المعلبات وتسحب البيرة وتغرف الآيس كريم ولدى حلول المساء كانت تشعر بالألم فى قدميها مما كان يجعلها حادة المزاج مع الميل الى الشراسة . ومع انقضاء النهار تضيع خصلة الشعر المنبسطة من شعرها لدرجة أنها تتعلق مبللة ومسبسبة بجانب وجهها . وهى فى بادىء الأمر قد تمشطها بيدها على جانب وأخيرا قد تزيحها بعيدا عن عينيها .

والى جانب المطعم كان يوجد جراج متحول عن دكان الحدادة الاخير . وكان سقفه وعرزقه الخشبية ما زالت سوداء بسبب الهباب الناتج عن مصهر الحدادة القديم ، وهنا كان جوان شيكوى يقوم بدور المشرف على العمل فى الفترات التى لا يقود فيها الاوتوبيس بين ريبيل كورنرز وسان جوان دى لاكروز . وكان جوان شيكوى رجلا لطيفا يمتاز بالثبات ويجمع بين الدماء المكسيكية والايرلندية ويبلغ من العمر حوالى خمسين عاما ، له عينان سوداوان صافيتان ورأس غزير الشعر ووجه مكفهر ووسيم . وكانت مدام شيكوى تحبه حبا جنونيا وتخشاه أيضا بعض الشىء لانه كان رجلا ولا يوجد الكثير من الرجال وهذا الأمر قد اكتشفه اليس شيكوى : لا يوجد الكثير منهم فى العالم وهذا ما يكتشفه كل فرد ان عاجلا أو آجلا .

وفى الجراج كان جوان شيكوى يقوم بنفخ اطارات السيارات التى

يتسرب منها الهواء وتصريف الهواء الذى تسرب الى مواسير البنزين وتنظيف الكربوريتور من الاتربة التى علقت وتحجرت به وتركيب رداخات جديدة فى طلمبات البنزين التالفة علاوة على القيام بالامور الاخرى البسيطة التى يعرفها جمهور الميكانيكا . كل هذه الامور كان يقوم بها اثناء النهار باستثناء الفترة من العاشرة والنصف حتى الرابعة فتلك هى الفترة التى كان يقود فيها الاوتوبيس مقلا المسافرين الذين نزلوا فى ريبيل كورنرز من الاوتوبيسات « الجريهاوند » الضخمة الى سان جوان دى لاكروز والعودة بالركاب من سان جوان دى لاكروز الى ريبيل كورنرز حيث يستأنفون سفرهم بالاوتوبيس الجريهاوند المتجه شمالا فى تمام الساعة الرابعة والدقيقة السادسة والخمسين أو بالأوتوبيس الجريهاوند المتجه جنوبا فى تمام الساعة الخامسة وسبع عشرة دقيقة .

وفى الفترة التى كان يقود فيها المستر شيكوى الاوتوبيس كان يقوم بواجباته فى الجراج عدد متتابع من الصبية أو الشبان غير الناضجين الذين هم مجرد صبية تحت التمرين . ولم يكن احد منهم يستمر فى العمل لفترة طويلة . ولم يكن الزبائن المتهورون الذين يعانون من اتساخ الكربوريتور يعرفون مقدما مدى الدمار الذى يلحقه هؤلاء الصبية بالكربوريتور . وبينما كان جوان شيكوى نفسه ميكانيكيا رائعا كان صبيانه عادة من المراهقين المغرورين الذين يمضون وقتهم ما بين وضع ماركات معدنية فى صندوق الفونوغراف الموجود فى قاعة الطعام والشجار الخفيف مع أليس شيكوى . وبالنسبة لهؤلاء الشبان كانت الفرصة تلوح دائما لجذبهم غربا نحو لوس انجيلوس وبالطبع نحو هوليوود حيث يتجمع فى النهاية جميع المراهقين فى العالم .

وخلف الجراج كان يوجد بناءان صغيران ملحقان بالمبنى الرئيسى لهما عريشتان مكتوب على احداهما كلمة « رجال » وعلى الاخرى كلمة « سيدات » ويؤدى الى كل منهما ممر صغير احدهما حول الجانب الأيمن للجراج والآخر حول الجانب الأيسر منه .

وكانت أشجار البلوط البيضاء العظيمة التى تنمو حول الجراج والمطعم هى التى تحدد مكان ريبيل كورنرز وتجعله واضحا للعيان على بعد أميال بين الحقول المنزرعة . فقد كانت طويلة وباسقة بجذوعها وأطرافها السوداء خضراء مشرقة فى الصيف وسوداء متلبدة فى الشتاء . وكانت أشجار البلوط هذه بمثابة علامات على الطريق فى الوادى الطويل المنبسط . ولا أحد يعرف ما اذا كان البلاتكين هم الذين غرسوها أو ما اذا كانوا قد استقروا بالقرب منها فقط .

ويبدو أن الاحتمال الأخير هو المنطقي بشكل أكبر ، أولا لأن البلانكين لم يعرف عنهم انهم يزرعون اى شيء لا يأكلونه ، وثانيا لان العمر الزمني يزيد على ثمانين عاما على ما يبدو . وقد يكون عمرها الزمني ٢٠٠ عام وقد تكون جذورها قد نمت فى أحد ينابيع المياه الجوفية مما جعلها تنمو بسرعة فى هذه المنطقة شبه الصحراوية .

وكانت هذه الاشجار العظيمة تلقي بظلالها على المحطة فى فصل الصيف حتى أن المسافرين غالبا ما كانوا يتوقفون بسياراتهم تحتها ويتناولون غذاءهم ويبردون موتورات سياراتهم التى تزايدت سخونتها . وكانت المحطة ذاتها بهيجة لطيفة ايضا ومطلية بطلاء لامع باللونين الأخضر والاحمر ، صف عميق من نباتات الخبيزة الافرنجية حول المطعم من جميع الاتجاهات خبيزة أفرنجية حمراء اللون وأوراق خضراء قاتمة كثيفة كالسياج . وكان الحصى الابيض أمام وحول مضخات البنزين ينثر ويسوى يوميا . وفى المطعم وفى الجراج كان يسود النظام والترتيب . مثال ذلك أن معلبات الحساء وصناديق الحبوب بل والكريب فروت كانت مرتبة على الارفف فى المطعم على شكل اهرامات صغيرة ، أربعة على مستوى القاعدة ثم ثلاثة ثم اثنين وواحدة متوازنة على القمة . وكان نفس هذا النظام ينطبق على علب الزيت فى الجراج كما كانت سيور المروحة معلقة طبقا لاحجامها على مسامير . وكان المكان يلقى عناية واهتماما الى حد بعيد . فنوافذ المطعم كانت مزودة بشبكة من السلك لمنع دخول الذباب كما كان الباب المزود بشبكة من السلك يغلق تلقائيا عقب كل دخول أو خروج . لان اليس شيكوى كانت تكره الذباب ، فقد كان الذباب هو العبء الاخير المرهق الملقى على كاهل اليس شيكوى فى عالم لم يكن من السهل عليها أن تتحمله أو تفهمه . اذ كانت تكره الذباب كراهية شديدة وكان موت ذبابة بضرابة الذباب او إختناقها ببطء فى المادة اللزجة بورق الذباب يعطيها لذة مثيرة .

ومثلما كان لجوان عادة أعداد متتابعة من الصبية الصغار لمساعدته فى الجراج كانت اليس ايضا تستأجر عددا متتابعا من الفتيات لمساعدتها فى قاعة الطعام . وهؤلاء الفتيات كن غبيات ومغرقات فى الخيال وحالمات وغير جذابات والجميلات منهن كن يغادرن المكان مع الزبائن فى خلال ايام قليلة — وكن ينجزن القليل فى مجال العمل على ما يبدو . وكن ينشرن القاذورات حولهن بملابسهن المبللة . وكن مغرمات بمجلات السينما ويتنهدن مع الفونوغراف الكهربائى — وأحدث فتاة كانت لها عينان محتقنتان باللون الاحمر ورأس كئيب

حزين وكانت تكتب خطابات عاطفية مطولة لكلارك جيبل . وكانت اليس شيكوى تتهم كل فتاة منهن بأنها تسمح بدخول الذباب . وقد شعرت نورما وهى أحدث فتاة ـ بوقع لسان أليس شيكوى مرات عديدة بسبب الذباب . .

وكان روتين الحياة فى الكورنرز فى الصباح لا يتغير . فمع أول شعاع لضوء النهار أو حتى قبل دخول ضوء النهار فى الشتاء الى المطعم كانت أليس تسخن كنكة القهوة « تمثال عظيم من الفضة يشبه الاله قد يعرض فى احدى فترات التاريخ المقبلة كمعبود لأجناس الأمودكيتز التى اختفت من على وجه الارض ـ وهى أجناس سابقة على أجناس عصر الذرة ـ لسبب ما غير معروف » . وكان المطعم يتميز بالدفء والبهجة عندما تتوقف المجموعة الاولى من سائقى اللوريات وهم متعبون لتناول طعام الافطار . وبعدئذ كان يجيىء الباعة الذين بدأوا مشوارهم فى الظلام متجهين الى مدن الجنوب لكى يكون لديهم نهار كامل من العمل . وكان الباعة يعرفون دائما أماكن وقوف عربات النقل ويتوقفون عندها لانه من المعتقد بوجه عام أن سائقى سيارات النقل يعرفون جيدا أفضل الاماكن التى تقدم القهوة والطعام فى الاستراحات على الطريق . ومع بذوغ الشمس كانت تتوافد الافواج الاولى من السياح بعرباتهم الخاصة لتناول الافطار والتزود بالمعلومات عن الطريق .

ولم يكن السياح الوافدون من الشمال يثيرون كثيرا شغف نورما واهتمامها . ولكن أولئك القادمون من الجنوب أو أولئك القادمون عبر الطريق المختصر من سان جوان دى لاكروز والذين ربما شاهدوا هوليوود كانوا يثيرون اعجابها . ولقد قابلت نورما شخصيا فى خلال أربعة شهور خمسة عشر شخصا ممن شاهدوا هوليوود ، خمسة منهم كانوا فى استوديو للتصوير السينمائى واثنان منهم شاهدوا كلارك جيبل مشاهدة العيان وجها لوجه . وبوحى من هذين الشخصين الاخيرين اللذين وصلا فى وقت متقارب للغاية كتبت نورما خطابا من اثنتى عشرة صفحة بدأته بـ « عزيزى المستر جيبل » وأنهته بقولها « المخلصة المولهة فى حبك : صديقة » . وهى غالبا ما كانت ترتجف لدى أعتقادها ان المستر جيبل قد يكتشف انها هى التى كتبت الخطاب .

لقد كانت نورما فتاة مخلصة . وليجرى الآخرون السخفاء وراء النجوم الصاعدين حديثا نحو الشهرة من أمثال فرانك سيناترا وفان جونز وسونى تافت . وحتى أثناء الحرب عندما لم تكن هناك أفلام

لكلارك جيبل ظلت نورما مخلصة له محتفظة بحلمها دافئا مع صورة بالالوان للمستر جيبل وهو مرتد حلة طيران مع حزامين بهمـــا خمسون طلقة ذخيرة على كتفيه .

وكثيرا ما كانت تسخر من أنصار سوني تافت . فقد كانت تحب الرجال الاكبر سنا من ذوى الوجوه المتعبة . وهى فى بعض الاحيان عندما كانت تمسح الكاونتر جيئة وذهابا بالخرقة المبللة كانت عيناها المتسعتان بالاحلام تتركزان على الباب المزود بشاشة من الاسلاك وتتقلص عيناها الشاحبتان ثم تغلقهما للحظات قصيرة وعندئذ يمكنك ان تدرك انه فى تلك الحديقة السرية فى راسها قد دخل جيبل المطعم لتوه وشهق عندما رآها ووقف هنالك عند الباب وقد انفرجت شفتاه قليلا وفى عينيه اعتراف بأن هذه المراة هى امراته . ومن حوله يدخل الذباب ويخرج فى حرية دون اعتراض او عقاب .

ولم يكن خيالها يسرح الى ما وراء ذلك . اذ كانت نورما خجولة للغاية . وهى الى جانب ذلك لم تكن تعرف الطريقة التى تتم بها مثل هذه الامور . فالممارسة الحقيقية للحب فى حياتها كانت مجرد سلسلة من مباريات المصارعة الهدف منها أن تظل مرتدية ملابسها فى المقعد الخلفى بالسيارة . ودائما ما كانت تكسب الجولة الى حد بعيد بمجرد التركيز العادى البسيط . وكانت تشعر أن المستر جيبل لن يفعل مثل هذه الامور ولن يحب مثل هذه الامور اذا سمع عنها .

وكانت نورما ترتدى ثياب الغسيل التى لها سمات محلات الناشونال دولار ولو انها كانت تمتلك بالطبع ثوبا من الساتان من أجل الحفلات . ولكنك لو دققت النظر عن كثب لوجدت باستمرار مسحة من الجمال حتى فى ثياب الغســيل ، اما الدبوس الفضى المكسيكى الخاص بها وهو يمثل حجر التقويم فى حضارة الازاتقة فقد ترك لها طبقا لوصية خالتها بعد أن عملت نورما كممرضة لها لمدة سبعة شهور ولقد كانت ترغب فعلا فى أن تأخذ القميص المصنوع من السيلسكين والخاتم المرصع بالفيروز واللآلىء الغريبة الشكل ولكن هذه الاشياء آلت الى فرع آخر من الاسرة . وحصلت نورما أيضا على مسبحة بها حبات كهرمان صغيرة . وهى لم تلبس مطلقا الدبوس المكسيكى وحبات الكهرمان فى آن واحد . وعلاوة على هذه الاشياء كانت نورما تمتلك قطعتين من المجوهرات تأخذ بالالباب تماما وكانت تعرف انهما جميلتان للغاية . وفى عمق حقيبة سفرها الصغيرة كانت تحتفظ بخاتم زواج مكتنز بالذهب وخاتم آخر ضخم من الماس من الطراز البرازيلى وقد تكلف كلاهما خمسة دولارات ، وكانت

تلبسهما عندما تذهب للفراش فقط . وفى الصباح كانت تخلعهما وتخبئهما فى حقيبة سفرها . ولا أحد فى العالم يعرف انها تمتلكهما. وعندما تذهب للفراش للنوم كانت تبرمهما ليستقرا حول الاصبع الاوسط ليدها اليسرى .

وكانت ترتيبات النوم فى الكورنرز بسيطة . فخلف صالة الطعام مباشرة كان يوجد جناح ملحق بالمبنى له مظلة خشبية . وفى نهاية الكاونتر الذى يقدم عليه الطعام كان يوجد باب يؤدى الى غرفة نوم ا. جلوس آل شيكوى وهى غرفة بها سرير مزدوج عليه مفرش أفغانستانى وراديو يرتكز على دعامة فى الحائط وكرسيان بهما كمية كبيرة من مواد التنجيد وكنبة كبيرة من النوع الذى يمكن أن يتحول الى سرير — ومجموعة هذه الاشياء تسمى طقم — ولمبة للقراءة من المعدن لها برنيطة ذات زجاج أخضر مرمرى . وكان باب غرفة نورما يؤدى الى هذه الغرفة . اذ كان من رأى اليس أنه ينبغى مراقبة الفتيات الصغيرات بعض الشىء وعدم السماح لهن بالتهور والانغماس فى الملذات . فكان على نورما أن تمر بغرفة آل شيكوى اذا ما أرادت الذهاب الى الحمام — أو عليها ان تمر من النافذة وهذا ما كانت تفعله عادة . أما غرفة الصبى الميكانيكى فكانت بجوار غرفة آل شيكوى من الجهة الاخرى ولكن كان لها مدخل خارجى . وكان الصبى يستخدم الغرفة الصغيرة المغطاة بالعريشة والمكتوب عليها كلمة « رجال » خلف الجراج .

لقد كانت مجموعة من الابنية الجميلة المرتبطة مع بعضها البعض. كان الريبيل كورنرز أيام البلانكين مكانا تعيسا قذرا مريبا ولكن شيكوى وزوجته ازدهرا هنا فقد كانت هناك أموال فى البنك بالاضافة الى قدر من الامن والسعادة .

وكان من السهل رؤية هذا المكان المنعزل المغطى بالاشجار الضخمة على بعد أميال . لذلك لم يضطر احد على الاطلاق ان ينظر الى علامات الطريق الارشادية للعثور على ريبيل كورنرز والطريق المؤدى الى سان جوان دى لاكروز . ففى الوادى العظيم كانت حقول القمح منبسطة وممتدة نحو الشرق الى سفوح التلال ثم الى الجبال الشاهقة ، وكانت تنتهى من جهة الغرب على مسافة قريبة عند التلال المستديرة حيث اشجار البلوط المليئة بالحياة قابعة فى بقعة سوداء غير منتظمة . وفى الصيف كانت الحرارة والسخونة الصفراء تومض وتحرق وتلمع فوق التلال الحارقة فكانت ظلال الاشجار العظيمة فوق « الكورنرز » شيئا يتطلع اليه الانسان ويتذكره . أما

في الشتاء عندما كانت تتساقط الامطار الغزيرة كان المطعم مكانا دافئا لتناول القهوة والفلفل الاحمر والفطائر المحشوة .

وفي اوج الربيع عندما كان العشب اخضر فوق الحقول وعلى سفوح التلال وعندما كانت اشجار الترمس والخشخاش تضفي الوانا رائعة زرقاء وذهبية على اديم الارض عندئذ لم يكن هناك مكان اكثر جمالا على وجه الارض . وكان جماله من النوع الذي لا يمكن ان تتجاهله بسبب الاعتياد عليه . اذ كان يأسرك من الحلق في الصباح ويعطيك آلام المتعة في فم المعدة عندما تغيب عليه الشمس . فالرائحة الذكية لنباتات الترمس والاعشاب كانت تجعل المرء يتنفس بصعوبة بل ويكاد يلهث جنسيا . وفي ذلك الوقت من فصل الازهار والنمو وقبل بذوغ ضوء النهار خرج جوان شيكوى الى الاوتوبيس حاملا فانوسا كهربائيا وسار وراءه بيميلز كارسون صبي الميكانيكي الذي يعمل معه متعثرا في نوع وكسل .

وكانت نوافذ صالة الطعام ما زالت مظلمة . وعلى التلال الشرقية لم تكن حتى الالوان الرمادية قد تكونت . وكان قدر كبير من الليل مهيمنا حتى أن طيور البوم كانت ما تزال تنعق فوق الحقول . واقترب جوان شيكوى من الاوتوبيس الواقف امام الجراج . و كان الاوتوبيس تحت ضوء الفانوس يشبه بالونا كبيرا له نوافذ فضية . وكان بيريلز كارسون الذي ما زال في الحقيبة غير مستيقظ يقف مرتعشا وقد وضع يديه في جيبيه لا لان الجو كان باردا ولكن لانه كان غارقا في النوم .

وهبت نسمة على الحقول وحملت معها رائحة الترمس ورائحة الارض التي تبشر بالانتاج السريع .

الفصـــــل الثـــانى

كان الفانوس الكهربائى بقبعته التى تعكس الضوء لاسفل يضيىء بشدة على السيقان والاقدام وجذوع الاشجار القريبة من الارض . وكان يتحرك حركات سريعة قصيرة فى تأرجح لأعلى ولاسفل . وكانت لمبته تتألق بالضوء الابيض الازرق الذى يؤذى البصر . وحمل جوان شيكوى فانوسه الى الجراج واستخرج حزمة من المفاتيح من جيب الأفرول الذى يرتديه وعثر على المفتاح الخاص بالقفل وفتح الابواب العريضة . واضاء اللمبة الكهربائية المتدلية من السقف فوق الرءوس ثم أطفأ فانوسه .

والتقط جوان طاقية مخططة من النوع الذى يرتديه الميكانيكيون من فوق نضد العمل وارتدى أفرول هيدلايت به أزرار كبيرة من النحاس الاصفر فوق المريلة والعروات الجانبية وارتدى فوق الأفرول جاكيت من جلد حصان أسود محاكة به اسورتان سوداوتان ورقبة سوداء . اما حذاؤه فكان من النوع الشديد الصلابة المستدير من الامام وذا نعل سميك للغاية حتى انك تحسبه متورما . وكانت هنالك ندبة غائرة قديمة على خده بجوار انفه الكبير فظهرت كالظل تحت الضوء المتدلى من السقف . وجرى بأصابعه بين شعره الكثيف الاسود لتجميعه كله تحت طاقية الميكانيكى التى يلبسها . وكانت يداه قصيرتين وعريضتين وقويتين وذات أصابع مربعة مفرطحة بسبب العمل وبها تشققات والتواءات لما وقع عليها من ضربات المطرقة وما أصابها من جروح . ولقد فقد العقلة الاولى للاصبع الوسطى من يده اليسرى فنما اللحم قليلا فى مكان القطع كالكرة الصغيرة وكانت هذه الكرة متدلية ولامعة ولها نسيج مختلف عن باقى نسيج الاصبع كما لو أن العقلة كانت تحاول أن يصبح راسا للاصبع . وعلى هذا الاصبع كان يلبس خاتم زواج عريض من الذهب كما لو أن هذا الاصبع لم يعد يصلح للعمل وينبغى أن يستخدم للزينة . .

وكان يتدلى من فتحة صغيرة فى مريلة الأفرول قلم رصاص ومسطرة ومقياس لقياس الضغط فى اطارات السيارات . وكان جوان شيكوى حليق اللحية والشارب ولكن ليس منذ الامس . وعلى طول جوانب ذقنه وعلى رقبته كانت السوالف المقبلة التى يعلوها الشيب واللون الابيض تشبه سوالف كلب عجوز من نوع الايرديل .

وكان هذا ظاهرا بشكل واضح لأن بقية ذقنه كانت شديدة السواد. وكانت عيناه السوداوان تحولان بشكل فكاهى بنفس الطريقة التى تصاب بها عينا رجل بالحول عندما يدخن سيجارة ولا يتمكن من أخذها من فمه . وكان فم جوان ممتلئا وحسنا : فم مسترخ وشفته السفلى منفرجة قليلا ليس فى مشاكسة وحدة مزاج ولكن فى مزاج وثقة بالنفس وشفته العليا جميلة باستثناء الجانب الايسر منها حيث كانت توجد ندبة غائرة يغلب عليها اللون الابيض مما يتعارض مع اللون الاحمر الوردى للشفة . ولابد أن الشفة قد قطعت بالطول من أولها لآخرها فاصبح هذا الشريط الرفيع المشدود الابيض اللون تشويها لكمال الشفة وامتلائها اذ جعلها تتكوم فى ثنيات صغيرة على كلا الجانبين . ولم تكن اذناه كبيرتين للغاية ولكنهما كانتا تطلان بشدة من رأسه مثل أصداف البحر ، او كانتا فى الوضع الذى يمسك بهما رجل بيديه اذا أراد أن يسمع بوضوح أكثر . لذلك كان جوان يبدو وكأنه ينصت بعمق فى جميع الاوقات . بينما تبدو عيناه المصابتان بالحول كأنهما تضحكان مما سمع ، فى حين ان نصف فمه يبدو كأنه لا يوافق . وكانت حركاته توحى بالثقة حتى عندما كان لا يفعل اى شىء يتطلب الثقة واليقين . وكان يسير كما لو كان يقصد مكانا ما محددا . وكانت يداه تتحركان فى سرعة ودقة ولم يحدث أبدا أن تحركت يداه حركات لا هدف منها مثل العبث بعيدان الثقاب او بالاظافر وكانت أسنانه طويلة وأطرافها مغطاة بالذهب مما كان يعطى ابتسامته قدرا ضئيلا من الوحشية .

وعند منضدة ورشته التقط بعض الادوات المعلقة على مسامير فى الحائط ووضعها فى صندوق طويل مستو : مفاتيح وزراديات ومفكات ومثاقيب وشواكيش وخرامة . وكان بيميلز كارسون واقفا الى جواره وهو ما زال متثاقلا بالنوم وكان مرتكزا بمرفقه على منضدة الورشة المشبعة بالزيوت . وكان بيميلز يرتدى سويتر لاحد نوادى الدراجات البخارية وقبعة من لباد شرشر عند الاطراف . لقد كان صبيا هزيلا ذا خصر نحيل ويبلغ من العمر سبعة عشر عاما وكان ضيق الاكتاف ذا انف ثعلبى طويل وكانت عيناه الشاحبتان فى الصباح تتخذان اللون البنى ، الاخضر فيما بعد أثناء النهار وعلى خديه كان يوجد زغب ذهبى اللون وكان خداه متشققين مكتنزين متآكلين بسبب البثور وحب الشباب . ومن بين الندبات القديمة كانت تتكون بثور جديدة قرمزية وحمراء ينمو بعضها ويتفاقم والبعض الاخر يذبل

ويضمحل . وكانت بشرته لامعة بسبب الادوية التي كانت تباع لعلاج هذه الحالة ولا تأتي بالنتيجة المرجوة على الاطلاق ..

وكانت البلوجينز التي يرتديها بيميلز ضيقة وطويلة للغاية حتى انها كانت مطوية من أسفل عشر بوصات . وكانت موثقة بخصره النحيل بواسطة حزام عريض من الجلد له مشبك جميل ومزود بابزيم من الفضة سميك ومنقوش ومرصع باربعة فصوص من الفيروز. وكان بيميلز يضع يداه في وسطه بقدر الامكان ولكن أصابعه قد تتحرك رغما عنه الى خديه المليئين بالبثور وما أن يتنبه الي ما تفعله يداه حتى ينزل يديه مرة ثانية . ولقد كتب خطابات الى كل شركة اعلنت عن علاج لحب الشباب كما ذهب الى العديد من الاطباء الذين كانوا يدركون أنهم لن يتمكنوا من شفاء هذه الحالة ولكنهم كانوا يعرفون أيضا انه من المحتمل أن تندثر البثور وتتلاشى خلال سنوات قليلة . وهم مع ذلك كانوا يعطون بيميلز روشتات مكتوب بها المراهم والدهانات وأنواع الغسول ونصحه أحدهم بتناول الكثير من الخضراوات الطازجة غير المطبوخة .

وكانت عيناه طويلتين وضيقتين ومنحرفتين مثل عيني ذئب نائم . وفي هذا الصباح المبكر كانت عيناه شبه مغلقتين بالمواد المخاطية . وكان بيميلز يعشق النوم الكثير الى حد بعيد . فهو اذا ما ترك له العنان لينفذ حيله وتدابيره فانه ينام كل الوقت تقريبا. وكان جسده وروحه أرضا لمعركة عنيفة من معارك المراهقة . فقد كان يموج دائما بالرغبة الجنسية العارمة وعندما لا تأخذ هذه الرغبة طابعا لاجنسيا بطريقة مباشرة وعلنية فانها تنزع الى المناخوليا والمشاعر العميقة الممزقة أو الى حالة من التدين القوى الذى تنبعث منه رائحة المسك والعطر . وكان عقله وعواطفه مثل وجهه من حيث دوام الانفجار والتهيج . وكان يشهد اوقاتا من العفة والطهارة عندما كان يثور على فساده وفجوره . وعادة ما كان يعقب حالات الفساد والفجور كسل ممزوج بالجنون الصامت مما كان ينهك قواه وعندئذ كان ينتقل من حالة الهم وانقباض النفس الى النوم العميق . وكانت هذه الحالة تجعله مخدرا ومتبلدا لفترة طويلة .

وفي ذلك الصباح كان يلبس في قدميه حذاء ماركة اكسفورد ذا لونين : بني وابيض باصبع بدون جورب . وكان رسغاه ظاهرين تحت البلوجينز المطوية وكان لونهما مختلفا بسبب القذارة والاتساخ. فهو في فترات الهم وانقباض النفس يكون منهك القوى الى الحد الذى لا يستطيع معه الاستحمام او حتى تناول كمية كبيرة من

الطعام . ولم تكن قبعته التى تحز بقوة فى البشرة من أجل الوسامة وحسن المنظر ولكنها كانت تعينه على ابعاد شعره الطويل البنى الفاتح عن عينيه وابعاد الشحوم والزيوت عن شعره أثناء عمله تحت السيارات . ولقد وقف فى ذلك الصباح يرقب فى غباء جوان شيكوى وهو يضع الآلات فى صندوقه بينما راح عقله يتمرغ فى سحب متلبدة كثيفة من النوم وهى سحب تكاد تعرضه للمرض بسبب قوتها .

وقال جوان « أوصل مصباح الشغل بالسلك الطويل . حرك نفسك يا بيميلز . أسرع الآن واستيقظ » .

وبدا على بيميلز أنه يهز نفسه كما يفعل الكلب . وقال موضحا « يبدو أننى لا أستطيع التيقظ والتخلص من النوم » . « حسنا أخرج المصباح الى هناك وأخرج لوحتى الخشبية فقد آن لنا أن نذهب الآن » .

فالتقط بيميلز المصباح اليدوى المغلف بشبكة من السلك لحماية زجاجه وبدأ يفك الكابل الثقيل المغلف بعازل من المطاط من حول مقبض المصباح ثم أوصل السلك بفيشة الكهرباء القريبة من الباب فقفز الضوء متألقا من المصباح اليدوى . ورفع جوان صندوق الالات الخاص به وخرج من الباب ونظر الى السماء المعتمة . لقد طرأ تغيير على الهواء . فقد ظهرت ريح خفيفة محركة الاوراق الحديثة فى أشجار البلوط ومحدثة حركة بسيطة بين نباتات الخبيزة الافرنجية . لقد كانت ريحا متقلبة منذرة بالمطر . فوقف جوان يشمها كما لو كان يشم زهرة .

وقال « يا الهى .. لو امطرت سيكون المطر غزيرا مدرارا » .. وكانت قمم الجبال فى اتجاه الشرق قد بدأت تظهر معالمها مع بذوغ الفجر . وخرج بيميلز حاملا مصباح اليد المضيىء ونشر الكابل خلفه على الارض فظهرت الاشجار العظيمة فى وضوح انما انعكس الضوء على الاوراق الخضراء / الصفراء لاشجار البلوط الجديدة الصغيرة . وأخذ بيميلز مصباحه الى الاوتوبيس وطفق راجعا الى الجراج لاحضار اللوح الخشبى الطويل ذى العجلات المثبتة من أسفل والذى يسمح للانسان بالاستلقاء عليه وتحريك نفسه من مكان لاخر أثناء العمل تحت السيارة . وألقى باللوح على الارض بجانب الاوتوبيس .

وقال « حسنا . يبدو أنها ستمطر . انها تمطر سنويا فى مثل هذا الفصل من كل عام » .

فقال جوان « اننى لا أشكو من هذا الفصل ولكنى أشكو من هذا

الترس المراد اصلاحه بينما المسافرون منتظرون والارض تكون مثل العجين بفعل المطر ».

وقال بيميلز « المطر يؤدى الى ظهور الاعشاب الجيدة للماشية» فتوقف جوان عن العمل ونظر نحوه وقد تجمدت عيناه فى لهو وتسلية وقال « أكيد . من المؤكد انها تفعل ذلك » فأشاح بيميلز بوجهه فى خجل وارتباك .

وكان الاوتوبيس مضاء آنئذ بالمصباح اليدوى وبدا عجيبا لا حول له ولا قوة . ففى مكان العجلات الخلفية كان يوجد حصانان ثقيلان من الخشب وبدلا من أن ترتكز مؤخرة الاوتوبيس على محاور العجل فانها كانت ترتكز على اربعة فى اربعة ممتدة من حصان لآخر .

لقد كان اوتوبيسا قديما به محرك ذو اربعة أسطوانات ضغط منخفض بفتيس حديث مما كان يعطيه خمسة سرعات للامام بدلا من ثلاثة اثنتان منهم تحت معدل السرعة المتوسطة واثنتان فوق معدل السرعة المتوسطة . وكانت الجوانب البالونية للاوتوبيس ثقيلة ولامعة بسبب طلاء الالمونيوم . ولكنها مع ذلك كانت تظهر النتوءات والالتواءات والتحطيم والخدوش مما يدل على أن له تاريخا طويلا حافلا بالعنف . فالطلاء اليدوى لسيارة قديمة يجعلها تبدو أكثر قدما وأشد رداءة عما لو تركت على حالتها الطبيعية بما فى ذلك من صدأ يبعث على التكريم والاحترام .

ولقد أعيد بناء الاوتوبيس من الداخل ايضا . فالمقاعد التى كانت فى يوم ما منسوجة من قش الخيزران قد جرى تنجيدها بقماش مشمع احمر اللون . ومع ان هذه العملية قد تمت بطريقة أنيقة ونظيفة الا انها لم تتم بطريقة حرفية فنية . فقد كان الجو يموج برائحة حمضية خفيفة متبعثة من القماش المشمع بالاضافة الى رائحة الزيت والبنزين التى تنفذ بشكل واضح . لقد كان اوتوبيسا قديما للغاية وشهد رحلات عديدة وصعاب كثيرة . كانت ارضيته المصنوعة من خشب البلوط مقورة ولامعة بفعل اقدام المسافرين وكانت جوانبه منثنية ثم قومت وأصلح من شأنها . أما نوافذه فكان يصعب فتحها نظرا لان هيكله بأكمله قد تعرض للتلف مما غير فى شكله . فكان جوان ينزع النوافذ فى الصيف ثم يقوم بتركيبها مرة أخرى فى الشتاء .

وكان التمزق فى مقعد السائق قد وصل فى العمق الى السوست اللولبية ولكن كانت توجد مخدة ذات قماش شيت وردى فى المكان الممزق لتحقق هدفا مزدوجا : حماية السائق وابقاء

الـوست اللولبية لاسـفل . وفى أعلى الـزجاج الامامي للاوتوبيس كانت تتدلى الاشياء المقدسة : حذاء طفل رضيع ـ وذلك من أجل الحماية لان القدم المتعثرة لطفل رضيع تتطلب العون المستمر من الله ، وقفاز ملاكمة صغير للغاية • وذلك من أجل القـوة ، قـوة قبضـة اليد على عجلة القيـادة وقوة البستم (المكبس) فى دفع الذراع بين المكبس والكرنك ، وقوة الانسان من حيث هو فرد مسئول وفخور . وكانت تتدلى عند الزجاج الامامى للاوتوبيس دمية صغيرة من البلاستيك فى شكل عروسة لها غطاء للـراس من ريش النعـام الاحمر الزاهي وترتدى ساريا هنديا مثيرا . وكانت هذه الدمية من اجل ملذات الجنس والعين والانف والاذن . وعندما يكون الاوتوبيس فى حالة حركة فان هذه الاشياء المعلقة تدور وتتحرك وتتارجح أمام عينى السائق .

وعند منتصف الزجاج الامامى للاوتوبيس وفوق المرآة الداخلية مباشرة كان يوجد تمثال صغير معدنى لعذراء جاداليوب مطلية بألوان زاهية ولها أشعة ذهبية ورداء أزرق اللون وتقف على هلال يرفعه ملائكة . وكان هذا التمثال هو ما يربط جـوان شـيكوى بالأبدية والخلود . فقد كانت علاقته بالدين بسيطة من حيث ارتباط الدين بالكنيسة والعقيدة كما كانت علاقته بالدين قوية من حيث أن الدين ذكرى ومشاعر . فهذه العذراء السوداء كانت بمثابة أمه وبمثـابة البيت المعتم الذى ربته فيه والدته التى كانت تتحـدث الاسـبانية بلهجة ايرلندية . لان أمه قد اتخذت من عذراء جاداليوب آلهـة لها . فقد خرج من فؤادها القديس باتريك والقديس بريدجيت والعشرة آلاف عذراء الشاحبات اللون المنتميات « للشمال » ونفذت الى كيانها هذه العذراء السوداء التى تسرى الدماء فى عروقها والتى لها علاقة وطيدة بالناس .

لقد اعجبت أمه بهذه العذراء السوداء الخاصة بها والتى يحفل الناس بعيدها باطلاق الصواريخ الملونة الى عنان السماء . وبالطبع لم يفكر والد جوان شيكوى المكسيكى فى هذا الامر بطريقة أو بأخرى. فمن يظن غير ذلك ؟ فمن الواضح أن الانبوبة الصاعدة ذات الازيز كانت الروح الصاعدة الى الله أما الفرقعة الهائلة المتوهجة عند القمة فهى الدخول الدرامى الى قاعة عرش الاله . ومع أن جوان شيكوى غير مؤمن بالارثوذكسية ـ وقد بلغ آنئذ من العمر خمسين عاما ،

الا أنه قد يشعر بالقلق لو أنه قاد الاوتوبيس بدون جودالوبانا لترقبه وترعاه في عناية . فقد كان دينه من النوع العملي .

وتحت العذراء كان يوجد صندوق هو في الاصل صندوق قفاز وفي هذا الصندوق كان يوجد مسدس ماركة سميث ويسون عيار ٤٥ كما كان يوجد به زجاجة صبغة يود وأربطة وزجاجة لافاندر . لها رائحة الاملاح ونصف لتر غير مفتوح من الويسكي . فوجود هذه الاشياء كان يعطي جوان شعورا بالثقة والمقدرة على مواجهة معظم المواقف .

وكان الاكصدام الامامي للاوتوبيس به عبارة ما زال بالامكان قراءتها بصعوبة « قوة المسيح العظمى » ولكن هذه العبارة كان قد كتبها احد ملاك الاوتوبيس السابقين إما الان فقد كتبت في جراة الكلمة البسيطة « سويت هارت » على الاكصدام الامامي والخلفي .

ثم عرف الاوتوبيس باسم « سويت هارت » بين كل من عرفوه . وكان الاوتوبيس آنئذ غير قادر على الحركة فعجلاته الخلفية مرفوعة ومؤخرته مصوبة لاعلى في الهواء ومرتكزة على أربعة × أربعة بين حصانين من الخشب .

وأخذ جوان شيكوى الترس الخلفي الجديد وبعض التروس الصغيرة وراح يدحرجها مع بعضها البعض في حرص وعناية وقال ليميلز « قرب الضوء ولف الترس الصغير لفة كاملة . أذكر أنني ذات مرة وضعت ترسا خلفيا صغيرا جديدا على ترس صغير قديم وسارت الامور على ما يرام » .

فقال بيميلز « من المؤكد ان التروس المتآكلة تحدث صوتا وهو صوت كأنه ينبعث من باطن الارض نحوك ليهاجمك . وما الذى كسر تلك السنة فيما تظن ؟ » .

فامسك جوان الترس الحلقي بالعرض امام الضوء وأدار الترس الصغير في بطء وفحص تواؤم كل سنة مع غيرها أثناء الدوران وقال « لا أدري . فهناك أمور لا يعرفها أحد عن المعادن وعن الماكينات ايضا . خذ مثلا : فورد . ان شركة فورد اذا أخرجت للسوق مائة سيارة تكون اثنتان منها أو ثلاثة غير سليمة بالمرة . بمعنى انه لا يوجد شيء واحد فقط غير سليم بالسيارة ولكن السيارة بأسرها تكون غير سليمة : الشسيه والموتور ومضخة المياه والمروحة والكربوريتور . وهي تضعف وتتخاذل تدريجيا ولا احد يعرف السبب في ذلك . وقد يختار المرء سيارة أخرى من بين صف السيارات على وجه

السرعة وقد يظن أنها تشبه باقي السيارات تماما ولكنها ليست كذلك . فهي قد زودت بشيء غير موجود في السيارات الاخرى فهي اكثر قوة وهي تقريبا . تشبه الشخص المزود بقدر اكبر من الامعاء ولذلك فهي لا تتعطل في الطريق ولا تنكسر مهما فعلت » .

فقال بيميلز « لقد كان عندي واحدة من هذا النوع . موديل A ثم بعتها . وأراهن على أنها ما زالت تجرى . لقد احتفظت بها لمدة ثلاث سنوات ولم أنفق عليها دايما واحدا » .

ووضع جوان الترس الحلقي والصغير على سلم الاوتوبيس والتقط الترس الحلقي القديم من على الارض . وتحسس باصبعه المكان الخام الذي كسرت منه السنة . وقال « المعدن مادة غريبة . اذ يبدو أحيانا انها قد أصيب بالإرهاق والتعب . تصور أنهم في المكسيك — وهي البلد التي جئت منها — تعودوا أن يكون عندهم سكينتان أو ثلاث من سكاكين الجزارة وهم يستخدمون واحدة منها فقط ويغرزون الاخريات في الارض ويقولون أن ذلك يريح السلاح . ولست أدري مدى صحة هذا الاعتقاد ولكنني اعرف أن تلك السكاكين المغروزة في الارض يصبح نصلها ناعما قاطعا . وأظن أن أحدا لا يعرف الكثير عن المعادن حتى أولئك الدين يصنعونها ، ولنضع الآن هذا الترس على عامود الاسطوانة . هنا . أحضر الضوء وركزه هنا » .

ووضع جوان اللوح الخشبي الصغير خلف الاوتوبيس ونام عليه مستلقيا على ظهره وانزلق بسرعة تحته بمساعدة قدميه . « صوب الضوء قليلا جهة اليسار . لا . الى أعلى من ذلك . هناك . والآن ادفع الى بصندوق الآلات الخاص بي . ممكن ؟ » .

وانهمكت يدا جوان في العمل وتساقط قدر ضئيل من الزيت على وجنته فمسحها بظهر يده وقال « هذه مهنة وضيعة . » .

وحملق بيميلز من تحت الاوتوبيس اليه وقال « ربما استطيع تسليط الضوء بزاوية على تلك الصامولة » . فقال جوان : « أوه . عليك أن تحركه بعد دقيقة » . وقال بيميلز « آمل أن تجعله يسير اليوم . فأنا ارغب في النوم في سريري الخاص بي الليلة . فالمرء لا يستطيع أن ينام مستريحا فوق كرسي » .

فضحك جوان في فتور « هل سبق لك ان رأيت في حياتك اناسا اكثر جنونا من هؤلاء الناس عندما أضطررنا للرجوع عقب انكسار ذلك الترس ؟ قد تظن انني تعمدت ذلك . وقد وصل جنونهم

الى الحد الذى جعلهم يضايقون آليس ويسيئون الى الفطائر التى صنعتها واظن انهم اعتقدوا أنها هى التى رتبت ذلك . فالنـاس عندما يكونوا على سفر لا يحبون أن يعطلهم أي شيء » .

فقال بيميلز معلقا « حسنا . لقد حصلوا على أسرتنا . ولست ادرى ما الذى جعلهم يحتجون ويشتكون بصوت مرتفع . فالذين ناموا فى الكراسى هم : أنت وأنا وأليس ونورما . وكان أسوأهم آل برتشارد ، ولست أقصد ميلدريد ــ الفتاة ــ ولكنى أقصد أبوها العجوز وأمها العجوز . فهما يتصوران انهما قد أصبحا كالفجـر بطريقة ما . فالمستر برتشارد قال لي ألف مرة انه مدير وشخص مهم وانه سيجعل شخصا ما يعاني عقابا له على ما حدث . وقال أن الذى حدث يعتبر اساءة واهانة . ولقد حصل هو وزوجته على سريرك . وأين نامت ابنتهما ميلدريد ؟ » ومع هذا التساؤل لمعت عينا بيميلز بعض الشيء .

فقال جوان « اظن على الكنبة الطويلة او ربما مع أبيها وأمها . أما ذلك الشخص الذى يعمل فى شركة الحيل الخداعة فقد نام على سرير نورما » .

فقال بيميلز « لقد شعرت بالارتياح نحو هذا الشخص . فهو لم يقل كلاما كثيرا . وقال أنه سينهض بسرعة ولم يتكلم عن مهنته أو حرفته . ولكن آل برتشارد أثاروا ضجة حول ماحدث باســتثناء ميلدريد . أتعرف الى اين هم ذاهبون يا مستر شيكوى ؟. انهم ذاهبون فى رحلة جنوبا الى المكسيك . ولقد كانت ميلدريد تدرس اللغة الاسبانية فى الكلية ولذلك ستقوم بالترجمة لوالديها » .

ودفع جوان بمسمار خابور فى عامود الاسطوانة ودقه برفق فى مكانه . ثم سحب نفسه من تحت الاوتوبيس وقال « فلنجمع نهاية المؤخرة الآن » .

وكان الضوء يتسلق عنان السماء وفوق الجبال . اذ أن الفجر الذى لا لون له تحرك بدرجاته الرمادية والسوداء حتى آن الاشياء البيضاء والزرقاء أصبحت فضية وحمراء والاشياء الخضراء الداكنة اصبحت سوداء . وظهرت الاوراق الجديدة على أشـــجار البلوط الضخمة سوداء وبيضاء وبدت حوآف الجبال مدببة . وبـدأت السحب الكثيفة الثقيلة التى تتدحرج فى السماء كالكائنات القصـيرة المكتنزة تتخذ لنفسها لونا أحمر ورديا على حوآفها الشرقية ..

وفجأة قفز الضوء الكهربائى فى صالة الطعام فوثبت اطراف

نباتات الخبيزة الافرنجية الى الوجود . فحملق جوان نحو الاضواء وقال : « أستيقظت اليس شيكوى . لن يمضى وقت طويل الا وتكون القهوة جاهزة . هيا بنا . فلنحرك مؤخرة الاوتوبيس لاسفل » .

واشتغل الرجلان سويا بجد واجتهاد . وكان كل منهما يفهم ما ينبغى عمله . فقام كل منهما بانجاز الجزء الخاص به . ونام بيميلز مستلقيا على ظهره هو الاخر وراح يربط صواميل الاغطية وهبط عليه شعور جميل وهو يقوم بهذا العمل المشترك .

وضغط جوان بيده على صامولة فانزلق مفتاحه ونزع الجلد واللحم عن مفصل اصبعه . فجرت الدماء كثيفة وسوداء من يده الملطخة بالزيت والشحوم فوضع مفصل اصبعه فى فمه وامتصه مما أوجد خطا من الزيوت والشحوم حول فمه .

وسأله بيميلز « جرح عميق ؟ » .

« لا . هذا قال حسن على ما أظن . اذ لا يمكن للمرء أن ينهى عملا بدون دماء . وهذا هو ما كان يقوله لى والدى دائما » . وامتص الدماء مرة أخرى وبدأ النزيف يتراجع تدريجيا .

وانساب دفء الفجر بألوانه الحمراء الوردية حتى أن ضوء الكهرباء بدا وكأنه يفقد بعض ضيائه وتألقه .

وقال بيميلز فى كسل « ترى كم عدد الذين سيحضرون فى أوتوبيس الجريهاوند » وعندئذ هبطت عليه فكرة قوية نابعة من المشاعر الطيبة نحو المستر شيكوى . وكانت فكرة مؤثرة للغاية حتى كاد يحس بالالم . وبدأ يقول فى حيرة وتذلل واستسلام وتوسل : « مستر شيكوى » .

فتوقف جوان عن لف الصامولة وانتظر ان يطلب منه بيميلز اجازة ليوم واحد أو رفع الاجر أو أى شىء آخر . فقد كانت الدلائل تشير على أن هناك مطلبا حيث كان ذلك واضحا من النغمة التى تكلم بها وهذه متاعب بالنسبة لجوان . فالمتاعب تبدأ دائما بهذه الطريقة .

وكان بيميلز صامتا . حيث لم يعثر على الكلمات التى يعبر بها . فسأله جوان فى حذر « ماذا تريد ؟ » .

« مستر شيكوى . أيمكننا أن نحدد الامر من الآن ــ أقصد هل يمكنك أن تحدد الامر من الآن بحيث لا تنادينى بكلمة بيميلز بعد ذلك ؟ » .

فأخذ جوان مفتاحه من الصامولة وحرك رأسه يمنة ويسرة . فقد كان الاثنان مستلقين على ظهرهما ووجهاهما فى اتجاه بعضهما

البعض . ورأى جوان فوهة براكين الندبات القديمة والطفح الجلدى الجديد بالاضافة الى بثرة كبيرة متوترة لها رأس صفراء على وشك الانفجار على خده . فامتلأت عينا جوان بالحنان والرقة وهو ينظر. وادرك الامر الذى هبط عليه فجأة وتعجب كيف انه لم يدرك ذلك من قبل .

وسأله فى خشونة « ما اسمك ؟ » .

فقال بيميلز « ايد ، ايد كارسون . تربطنى قرابة بعيدة مع كيت كارسون . وقبل أن أصاب بهذه البثور فى المدرسة الإبتدائية اعتادوا أن يسموننى كيت » وكان صوته رزينا وهادئا ، ولكن صدره كان يعلو ويهبط فى ثقل محدثا صفيرا فى فتحتي أنفه .

واتجه جوان بنظره بعيدا عنه ثم عاد بنظره الى هذا الجـزء المنتفخ من غلاف المحور الخلفي وقال « وهو كذلك . هيا بنا نخرج الروافع من تحت الاوتوبيس » وانزلق خارجا من تحت الاوتوبيس وقال « أحضر الزيت من هناك الان » .

فذهب بيميلز بسرعة الى الجراج وأخرج مسدس الضغط ساحبا وراءه خرطوم الهواء . وفتح الصنبور فاندفع الهواء المضغوط فى المسدس خلف الزيت . وأحدث المسدس صوتا كالتكتكة وهوّ يملأ الغلاف بالزيت الى أن فاض قدر ضئيل الى الخارج فى كثافة ثم اغلق ثقب الغلاف . وقال جوان « يا كيت . امسح يديك . وتبين ما اذا كانت اليس قد أعدت القهوة . ممكن ؟ » فذهب بيميلز نحو صالة الطعام . وبالقرب من الباب حيث توجد احدى شجرات البلوط الضخمة وقف هنالك برهة لالتقاط انفاسه عند رقعة من الظـلام القريب . فقد كان يرتجف من أوله لآخره فى نوع من القشعريرة .

الفصـــل الثـــالث

وعندما كشف بزوغ الشمس عن الجبال فى جهة الشرق نهض جوان شيكوى من على الارض ونفض الغبار العالق بأفروله عند الساقين والمؤخرة . وسطعت الشمس متوهجة على نوافذ صالة الطعام ورقدت دافئة على العشب الاخضر المحيط بالجراج وتأججت على نباتات الخشخاش فى الحقول المنبسطة وعلى المساحات العظيمة المنعزلة من نباتات الترمس .

وذهب جوان شيكوى الى باب الدخول للأوتوبيس واطل بداخله وادار مفتاح الكونتاكت ودفع بالمارش الى اسفل بظهر يده فأحدث المارش زئيرا وخشخشة ثم تعشق به المحرك وزأر للحظات الى ان قلل جوان من سرعة حركته ، ثم دفع بيده الدبرياج لاسفل وعشق تروس السرعة المنخفضة ورفع يده عن الدبرياج فدارت العجلات الخلفية فى بطء فى الهواء ثم ذهب جوان الى المؤخرة لكى يصغى الى حركة التروس ولكى يحاول سماع اى حركة غير متوافقة فى عملية التجميع .

وكان بيميلز يغسل يديه فى وعاء مسطح به بنزين فى الجراج . وسخنت الشمس ورقة شجر بنية اللون تركت من العام الماضى والقت بها الرياح على احد اركان افريز باب الجراج وبعد برهة زحفت ذبابة صغيرة كانت مستقرة مع الليل فى تثاقل خارجة من تحت ورقة الشجر ووقفت تحت الشمس الصافية . وكانت اجنحتها واوحالها تعكس الوانا متعددة وكانت بطيئةالحركة بفعل برودة الليل . ومسحت الذبابة اجنحتها برجليها ثم مسحت رجليها فى بعضها البعض ثم وجهها برجليها الاماميتين بينما الشمس الماثلة تحت السحب العظيمة المنتفخة تدفىء عصاراتها . وفجأة اقلعت الذبابة ودارت فى الهواء دورتين ورفرفت تحت اشجار البلوط واصطدمت بشاشة الاسلاك على باب صالة الطعام ووقعت على ظهرها واحدثت طنينا وازيزا وهى على الارض لدى تقلبها راسا على عقب لبرهة قصيرة ثم صححت من وضعها وطارت لأعلى واتخذت موضعا لنفسها على الاطار بجانب باب صالة الطعام . واتجهت اليس شيكوى التى كانت مرهقة بسبب الجلوس على مقعد طوال الليل نحو الباب ونظرت الى الخارج فى اتجاه الاوتوبيس . وفتح الباب ذو الاسلاك المانعة للذباب فتحة

صغيرة لا تزيد على بوصات قليلة ولكن الذبابة قذفت بنفسها من خلال الفتحة فرأتها أليس وهى تنفذ من الفتحة وضربت نحوها بفوطة الاطباق التى كانت تمسكها فى يدها . فطنت الذبابة فى جنون لبعض الوقت ثم استقرت بعدئذ تحت حافة الكاونتر . وشاهدت أليس العجلات الخلفية للأوتوبيس وهى تدور فى كسل فى الهواء ثم دخلت الى خلف الكاونتر وأغلقت صمام البخار الخاص بكنكة القهوة .

وبدا السائل البنى فى الانبوبة الزجاجية على جانب الكنكة خفيفا وشاحب اللون . ومسحت بفوطتها الكاونتر ولاحظت وهى تفعل ذلك أن كعكة جوز الهند البيضاء الضخمة تحت غطائها البلاستيك الشفاف قد قطع منها شريحة على شكل حرف ٧ من احدى جوانبها . فأخذت سكينا من الصينية الفضية ورفعت الغطاء البلاستيك وشذبت حافة الكعكة ووضعت الفتات فى فمها . وقبل أن يعود الغطاء البلاستيك الى مكانه اندفعت الذبابة فجأة تحت الحافة وألقت بنفسها على حشو جوز الهند وعلقت تحت جزء بسيط بارز للامام بحيث لا يتمكن احد من رؤيتها من أعلى وزاحت تحفر وتناضل فى جوع فى المواد الحلوة المذاق . فقد عثرت على جبل شاهق ضخم من الكعك وكانت سعيدة للغاية . ودخل بيميلز بينما تنبعث منه رائحة البنزين والزيوت والشحوم . واتخذ مكانه فوق أحد الكراسى المستديرة العالية التى لا مسند لها وقال « حسنا . قمنا بانجاز ذلك العمل » .

فسألته أليس فى سخرية « أنت ومن غيرك ؟ » .

« حسنا . بالطبع قام المستر شيكوى بالاعمال الفنية التخصصية البارعة . ارغب فى فنجان قهوة وقطعة من الكعك » .

« سبق لك أن أخذت بالفعل من تلك الكعكة قبل أن استيقظ » ومشطت شعرها باحدى يديها لتبعد الشعر عن عينيها وأضافت « لا يمكنك أن تنكر ذلك » .

فقال بيميلز « حسنا . أضيفى تلك القطعة على حسابى . اننى أدفع ثمن طعامى . أليس كذلك ؟ » فقالت آليس « ما السبب فى انك تريد أن تأكل كل أنواع الحلوى ؟ انك منكب على صينية الحلوى طوال النهار . وتكاد لا تحصل على اى أجر . فكل أجورك تدفع مقدما ثمنا لانواع الحلوى . وأراهن على أن هذا هو السبب فى البثور والدمامل . لماذا لا تتوقف عن تناول الحلوى لبعض الوقت ؟ » .

فنظر بيميلز لأسفل فى خجل نحو يديه . كانت اظافره محاطة باللون الاسود فى الاماكن التى لم يصل اليها البنزين . وقال « الحلوى غنية بالطاقة الغذائية . فالشخص الذى يعمل يحتاج للطاقة الغذائية .

ففى حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر على تسبيل المثال عندما تخور قوى الانسان فانه يحتاج بدون شك الى طعام غنى من حيث الطاقة الغذائية » .

فردت أليس « انها غنية فى الرش فى البنطلون . انك تحتاج لطاقة غذائية بقدر ما احتاج انا الى ـــ » ولم توضح له ما تهدف اليه . لقد كانت اليس تستبيح المحرمات ولكنها لم تطلب ذلك علنا على الاطلاق وانما كانت تكتفى بالتلميح . وصبت القهوة من الصنبور فى فنجان القهوة ــ فنجان سميك له قاعدة منبسطة وبدون طبق ومزجت القهوة بقدر من اللبن ثم رفعت بالفنجان عبر الكاونتر .

ونظر بيميلز فى ارتباك نحو فتاة الكوكاكولا التى تمايلت فى اثارة على صندوق الفونوغراف ثم وضع أربعة ملاعق من السكر وحرك القهوة بالملعقة حركات عمودية ودائرية .

وكرر القول فى صبر « أريد قطعة من الكعك » « حسنا . ان ذلك سيقضى عليك . فأنت بهذه الطريقة سيصبح لك أرداف مثل البالون » .

فنظر بيميلز الى أرداف آليس ثم حول نظره عنها بسرعة . واخذت أليس السكينة من خلف الكاونتر وقطعت جزءا من كعكة جوز الهند فانهارت حافة الكعكة على الذبابة وضغطت عليها لاسفل . وجرفت اليس ذلك الجزء من الكعك فى طبق ودفعت به عبر الكاونتر . فانقض عليه بيميلز بملعقة قهوته .

وسألها « ألم يستيقظ هؤلاء الناس ؟ »

« لا . ولكنى سمعتهم يتحركون . ولابد أن أحدهم قد استهلك كل المياه الساخنة . اذ لم أجد على الاطلاق أية كمية فى صالة الطعام » .

فقال بيميلز « لابد انها ميلدريد »

« الفتاة . ربما أخذت حماما ساخنا » .

فنظرت اليه اليس فى حدة وقالت « انت تنجح فى الحصول على طاقتك الغذائية وعليك أن تبقى عقلك حيث يجب أن يكون » .

« انا لم أقل اى شىء . عجبا !!! توجد ذبابة فى هذه الكعكة » فتجمدت أليس فى مكانها وقالت « لقد وجدت بالأمس ذبابة فى الحساء المقدم لك . اظن انك تحمل ذبابا فى جيبك »

« لا . أنظرى هنا . انها ما زالت تركل وترفس » فاقتربت أليس وصاحت « اقتلها . اكتم انفاسها . أتريد لها أن تتملص وتتخلص

نفسها ؟ » ثم التقطت شوكة من خلف الكاونتر وهرست بها الذبابة مع فتات الكعك والقت كل ذلك فى صندوق القمامة .

فسألها بيميلز « وما هو الموقف الآن بالنسبة لكعكتى ؟ » .

« ساحضر لك قطعة أخرى بدلا منها . لا أدرى السبب فى أنك دائما تعثر على ذباب . لا احد غيرك يعثر على ذباب » .

فقال بيميلز : « كل ما فى الأمر أننى سعيد الحظ » .

« صه ! » .

« قلت أننى كنت ـــــ » .

« لقدسمعت ما قلته » . لقد كانت مضطربة ومرهقة وعصبية المزاج « احفظ عليك لسانك والا ستخرج من هنا على وجه السرعة حتى انك تظن أن النار قد اشتعلت فيك . فأنا لا يهمنى انك ميكانيكى. فانت بالنسبة لى شخص تافه ... شخص تافه له وجه ممتلىء بالبثور » فشعر بيميلز بالخجل والارتباك وهبطت ذهنه لاسفل وأسفل على صدره بينما أخذ غضبها يتصاعد . ولم يكن يدرى انها تصب عليه جام غضبها بسبب أمور أخرى عديدة . فقال « أنا لم أقل شيئا . الا يستطيع المرء أن يقول نكتة ؟ »

وكانت اليس قد وصلت الى ذروة غضبها وكان عليها اما ان تنطلق فى ثورة غضب جنونية هيستيرية تطفىء أضواء النهار الساطعة من ذاتها ومن كل انسان آخر حولها واما أن تهدىء من روعها على وجه السرعة ، لانها كانت قد بدات تشعر بالضغوط التى لا يمكن السيطرة عليها تسرى وترتفع وتتصاعد فى صدرها وفى حلقها . ودرست الموقف فى سرعة خاطفة فادركت أن الامور صعبة : فالاوتوبيس يجب أن يسافر وجوان لم يحصل على قدر من الراحة . وقد يسمعها الناس الذين استخدموا الاسرة ــ وهى فى ثورة غضبها ــ فيخرجون وربما يضربها جوان وهو سبق له أن ضربها مرة ليس ضربا مبرحا ولكنه كان يضربها باتقان وبايقاع موقوت بدقة متناهية حتى انها تصورت انه كاد أن يقضى عليها . وعندئذ جاءها الخوف الاسود الذى كان رابضا دائما عند حافة عقلها ــ وهو أن جوان قد يتركها . فهو سبق له أن ترك نساء أخريات وهى لم تعرف كم عدد هؤلاء النساء لانه لم يذكر ذلك على الاطلاق ، ولكن اى رجل فى مثل جاذبيته لابد وأن يكون قد ترك نساء أخريات كثيرات . حدث كل هذا التفكير فى أقل من ثانية فقررت اليس عدم الاستسلام للغضب والهيجان . فدفعت ضغوط الغضب لاسفل فى صدرها . وفى تخشب واكتئاب رفعت الغطاء البلاستيك وقطعت قطعة تزيد عن الحجم العادى ووضعتها فى طبق ثم حملته

الى الكونتر ووضعته امام بيميلز وقالت « كل الناس عصبيو المزاج » .
فرفع بيميلز نظره من فوق اظافر اصابعه ورأى كيف أن بعض خطوط الشيخوخة بدأت تزحف على رقبتها كما لاحظ سمك جفني عينيها العلويين ، ولاحظ ان بشرة يديها قد فقدت النعومة والتماسك الذى تتميز فيهما بشرة الفتيات الصغيرات فى السن فشعر بالاسف والحزن من أجلها وعلى الرغم من أنه لم يوهب نعمة الجمال إلا أنه كان يعتقد أن الشباب هو الشىء الوحيد فى العالم الذى يجدر بالانسان الحفاظ عليه وان الشخص الذى فقد شبابه يعتبر فى عداد الأموات .
لقد أحرز انتصارا عظيما هذا الصباح وهو عندما رأى الضعف والتردد والحيرة فى آليس تهيأ لاحراز انتصار آخر جديد .
فقال « المستر شيكوى يقول أنه لن يناديني باسم بيميلز بعد ذلك » .
« ولم لا ؟ » .
« حسنا . لقد طلبت منه الا يناديني بهذا الاسم . فاسمى ادوارد وقد اعتادوا أن يسموننى فى المدرسة باسم كيت على أساس أن اسمى الاخير هو كارسون » .
« أيناديك جون بكيت ؟ » .
« نعم »
ولم تفهم اليس فى الواقع اى شىء يتعلق بهذا الامر . وكانت هناك حركة خلفها فى غرفة النوم : وقع أقدام بين السجاجيد وبعض الكلام المنخفض . وما أن أدركت وجود الغرباء حتى أصبح بيميلز أكثر قربا من نفسها لانه لم يكن غريبا تماما وقالت « سأرى كيف تسير الامور » .
وكانت الشمس تسطع فى الداخل من خلال النوافذ الامامية ومن خلال الباب محدثة خمس بقع ناصعة من الضوء على الحائط وملقية بالنور على عبوات الجريب فروت وعلى أهرامات البرتقال خلف الكاونتر . ولكن المربعات المضيئة أعتمت ثم انطفأ نورها . فقد كان هناك دوى الرعد الهادر وهطلت الامطار فجأة وراحت تهطل بشدة فوق السطح .
فاتجه بيميلز نحو الباب ونظر الى الخارج . لقد كان المطر يهطل بغزارة ملقيا بحجب الظلام فوق المزارع ومحدثا صوتا عاليا فوق الطريق الاسمنتى . وكانت هناك نظرة فولاذية نحو الضوء المبلل .

فرأى جوان شيكوى فى داخل الاوتوبيس محتميا من المطر . وكانت عجلات الاوتوبيس الخلفية ما زالت تدور فى بطء . ثم شاهد جوان وهو يقفز الى الارض وينطلق مسرعا نحو صالة الطعام . فأمسك له بيميلز بالباب ليظل مفتوحا فانزلق جوان مسرعا الى داخل الصالة . ورغم هذه المسافة القصيرة التى قطعها جوان مهرولا أصبح افروله داكنا بسبب مياه الامطار وأحدث حذاؤه أزيزا فى رطوبة على أرضية الصالة .

وقال « يا الهى . هذه فعلا رخة مطر شديدة فجائية » . واضفى الحائط الرمادى الظلمة على التلال وكان ذلك الحائط المائى مشوبا بضوء معتم فى لون المعدن . وانحنت رءوس نباتات الترمس الى أسفل مثقلة بالمياه . ودقت أعناق زهور نباتات الخشخاش وتناثرت على الارض كالعملات الذهبية ولم يكن باستطاعة الارض المبللة بالمياه امتصاص المزيد منها . وراحت الجداول الصغيرة تتخذ طريقا لها فى اتجاه الاماكن المنخفضة . وكانت نوبات المطر تزأر فوق سطح صالة الطعام فى « الريبيل كورنرز » .

وجلس جوان شيكوى الى احدى الموائد بجانب نافذة صالة الطعام واحتسى قدحا من القهوة ممزوجة بقدر وافر من الزبدة ومضغ كعكة ونظر الى المطر الهاطل مدرارا . ودخلت نورما وراحت تفسل الاطباق القليلة فى الحوض المصنوع من الصلب الذى لا يصدأ والموجود خلف الكاونتر .

وطلب جوان « احضرى لى فنجانا آخر من القهوة . ممكن ؟ » فدارت نورما حول نهاية الكاونتر فى فتور بسبب الارهاق . وكان الفنجان ممتلئا للغاية حتى أن قدرا ضئيلا فاض على الجوانب ووصل الى أسفل الفنجان . فانتزع جوان ورقة سفره وطواها لتكون بمثابة نشافة للفنجان المبلل ثم قال « أنت لم تحصلى على قدر وافر من الراحة . اليس كذلك ؟ » .

وكانت نورما آنئذ هزيلة وشاحبة اللون وكان ثوبها مكرمشا . وكان باستطاعة المرء أن يلحظ انها ستتعرض للشيخوخة المبكرة قبل سن الشيخوخة بوقت كبير . اذ كانت بشرتها كئيبة وكانت يداها مليئتين بالبقع . فهناك اشياء كثيرة للغاية أدت الى اصابة نورما بمرض الحماق .

فقالت نورما « لم أتمكن من النوم على الأطلاق وحاولت أن أنام على الارض ولكن دون جدوى » .

فقال جوان « حسنا . لن يحدث ذلك مرة أخرى . كان ينبغى

علي احضار سيارة لنقلهم الى سان يسيدرو » . وقالت اليس « تعطيهم اسرتنا . والآن كيف هبطت عليك تلك الفكرة ؟. وهل تظن انه كان باستطاعتهم الحصول على اسرة أصحاب المحل فى اى مكان آخر ؟. انهم غير مطالبين بأى عمل يؤدونه اليوم . فليس امامهم سوى الخلود للراحة والجلوس فى استرخاء » .

فقال جوان « أنت تأخذين هذا غلطة على فيما اظن » . فقالت اليس « انت لا يهمك أن تنام زوجتك فى كرسى . فانت على استعداد للتبرع بسريرها فى أى وقت » . ومرة أخرى بدات أليس تشعر بثورة الغضب تتصاعد فى كيانها مما أخافها . فهى لم ترد لهذه الثورة ان تتصاعد . ولكن ها هى مشاعر الغضب كامنة وتتصاعد وتغلى فى داخلها . وهبط لوح من المطر فوق السطح كانه مقشة ثقيلة وترك وراءه صمتا وحل محله مباشرة كمية أخرى من المطر . وارتفع خرير المياه المتساقطة من افريز السطح ومن افريز تصريف المياه عاليا مرة أخرى . وكان جوان ينظر فى تأمل نحو الارض وهو يبتسم ابتسامة صغيرة تزم فمه على الشريط الابيض للندية فوق شفته وكان هذا شيئا آخر تخشاه أليس . فهو قد ترك لها العنان ليرقبها وأدركت هى ذلك . لقد كانت جميع العلاقات والمواقف بالنسبة لاليس هى أمر بين شخص وشخص آخر فقط فهى والشخص الآخر كل شىء والآخرون لا وجود لهم على وجه الارض . لا يوجد هناك تظليل أو درجات للون ، فهى عندما تتحدث مع جوان فلا يوجد سواهما فقط . وهى عندما تكدر نورما يختفى العالم بأسره مخلفا وراءه اثنين فقط : هى ونورما فى دنيا من السحب الرمادية اللون .

ولكن كان بمقدور جوان آنئذ ان يوصد الباب أمام كل شىء وينظر الى الأمر من حيث علاقته بالاشياء الاخرى . فالاشياء مختلفة من حيث أحجامها وأهميتها . لقد كان باستطاعته أن يرى ويحكم ويتدبر ويستمتع . كان باستطاعته الاستمتاع بالناس . أما اليس فكان باستطاعتها فقط أن تعشق أن تحب أن تكره أن تبغض فهى لم تشاهد الظلال ولم تشعر بها مهما كانت .

وعندئذ جمعت آليس شعرها المسترسل الى الخلف . لقد اعتادت أن تستخدم غسولا لشعرها مرة كل شهر مما كان يعطيه اللمعان الغريب والسحر الذى يأسر الرجال ويبقيهم فى عبوديتها . وكانت عينا جوان غير عابئة ولاهية فى تسلية . وكانت هذه مسألة مرعبة بالنسبة لآليس . فقد كان ينظر اليها ليس كامرأة غاضبة أضفت الظلام على العالم ولكن كواحدة من آلاف النساء الغاضبات

اللائى تستأهلن الدراسة والفحص بل والتمتع بهن وكان هذا هو الرعب القاسي الوحيد بالنسبة لها . لقد حجب جوان العالم عنها وكانت تدرك انها لم تحجب عنه شيئا . اذ كان باستطاعته ان يرى من حولها بل ومن خلالها الاشياء الاخرى . والرعب الذى تذكره عن المرة التى ضربها فيها لا يكمن فى الضرب فى حد ذاته — فهى سبق لها أن ضربت وحصلت من وراء الضرب على الاثارة والخصوبة وهو أمر أبعد ما يكون عن البغض والكره ولكن جوان كان يضربها كما لو كان يضرب حشرة ، اذ لم يكن يهتم بها كثيرا أثنـــاء الضرب بل ولم يكن غاضبا للغاية وانما كان متوترا فقط . فهو قد ضرب شيئا مزعجا صاخبا لمجرد أن يسكته . وكانت أليس تحاول فقط أن تجذب انتباهه باحدى الطرق القليلة التى تعرفها . وكانت تحاول فى تلك الآونة ان تفعل نفس الشيء وأدركت من البؤرة المتغيرة فى عينيه انه أفلت بعيدا عنها . « اننى أحاول أن أهيىء بيتا صـــغيرا جميلا لنا نحن الاثنان . بيتا ظريفا وبه سجادة وطاقم كراسى مكسوة بالقطيفة ثم تقوم انت بتقديم هذا البيت للغرباء » وتهدج صوتها : « وتدع زوجتك تجلس فى كرسي طوال الليل » .

فنظر جوان ببطء لأعلى وقال « يا نورما احضرى لى فنجانا من القهوة . ممكن ؟ مع مراعاة زيادة كمية الكريم » .

واعدت اليس نفسها لمقاومة ثورة الغضب التى ادركت انها على وشك ان تحدث . وبعدئذ نظر اليها جوان فى بطء . وكانت عيناه السوداوان دافئتين وبهما قدر من الشعور بالتســـلية وتغيرت بؤرة النظر مرة أخرى وأصبح ينظر اليها وأدركت انه قد رآها .

وقال « لم ينجم عن ذلك اى ضرر لك » واستطرد :

« وسوف أجعلك تستمتعين بالسرير الليلة » .

فتلاحقت أنفاسها واكتسحتها موجات ساخنة وتحولت ثورة الغضب الى رغبة عارمة ثم ابتسمت له ابتســـامة جوفاء ولعقت شفتيها وقالت له فى رقة متناهية « يا ابن الحرام » وتنهدت تنهيدة طويلة مرتعشة وسألته « أتريد قليلا من البيض ؟ » .

« نعم . اثنين مسلوقيين فى الماء لمدة أربع دقائق تقريبـــا » .

فقالت « أعرف ذلك . أتحب أن أحضر لك أيضا لحم خنزير مملح ؟ » .

« لا . أريد قطعة من الخبز التوست وكعكتين » .

وذهبت اليس وراء الكاونتر وقـالت « أتمنى أن يخـــرجوا من هناك فانا ارغب فى الذهاب للحمام الخاص بى » .

فقال جوان « انهم يتحركون وسوف يخرجون بعد وقت قصير » . وكانوا يتحركون . وكان هناك وقع أقدام فى غرفة النوم . وفتح باب فى الداخل وقالت امرأة فى حدة « حسنا . أظن ان باستطاعتك أن تطرق » فرد عليها صوت رجل قائلا : « آسف يا سيدتى . كان الطريق الآخر الوحيد أمامى هو أن أخرج من النافذة » .

فقال رجل آخر بصوت يدل على شيء من السلطة « يستحسن ان تطرق على الباب دائما يا صديقى . هل أصبت بجرح فى قدمك ؟ » .

« نعم » .

وانفتح الباب الموجود فى نهاية الكاونتر وخرج منه رجل ضئيل الجسم متجه الى صالة الطعام . وكان مرتديا حلة مزدوجة الصدر وقميصا بنيا فاتحا من ذلك النوع الذى يرتديه الرجال المسافرون والذى يعرف باسم « قميص المسافرين لمسافة الف ميل » لان الاتساخ لا يظهر عليه بوضوح . وكانت حلته ذات لون وسط ما بين الفلفل والملح وذلك لنفس السبب . وكان يرتدى رباط عنق أخضر غامق من النوع المشغول بالابرة . وكان وجهه صارما مثل وجه كلب صغير . وكانت عيناه ناصعتين وبهما شيء من التساؤل والاستفسار مثل عينى كلب صغير . وفوق شفته العليا كان هناك شارب صغير مشذب بعناية وشبيه بالدودة ، وعندما يتكلم تبدو وكأنها تقوس ظهرها . وأسنانه كانت بيضاء ومستوية باستثناء السنتين الاماميتين العلويتين حيث كانتا تلمعان ببريق الذهب . وكان يبدو كأنه فى عجلة من أمره . او كأنه قد نظف بدلته باستخدام فرشة شعره . وكان لقميصه المظهر المشدود الذى ينجم عن غسل الياقة فى حوض غسيل الايدى والتربيت عليها وفرطحتها على أعلى صوان التسريحة لكى تجف . وكان يوجد نوع من الثقة المتناهية فى شكله ونوع من الفزع فى وجهه كما لو كان يحمى نفسه من الاهانة بوسائل مدروسة.

وقال « صباح الخير يا جماعة . اننى لمندهش حقا .. ترى اين نمتم جميعا . وأراهن على انكم قضيتم الليل بطوله جالسين » فقالت اليس فى مرارة « حسنا . لقد حدث ذلك » .

وقال جوان « كل شيء على ما يرام . وسنذهب للفراش الليلة فى وقت مبكر » .

« هل أصلحت الاوتوبيس ؟ وهل تظن أننا سنسافر بالاوتوبيس فى هذا المطر ؟ » .

فقال جوان « أوه . بالتأكيد » .
وسار الرجل الى أن اقترب من نهاية الكاونتر وهو يعرج ثم جلس وهو يتألم الى احدى المناضد الصغيرة وأحضرت نورما كوبا من الماء ومجموعة من الاواني الفضية مغلفة في ورق السفرة .
« أتريد بيضا ؟ » .
« مقلى . على أن يكون صفار البيض مفتوحا ولحم خنزير طازجا وتوست مدهون بالزبدة . أتفهمين ؟ فأصعب شيء في العالم هو الحصـول على توست مدهون بالزبدة . وعليـك أن تدهني ذلك التوست بالزبدة .. بكمية كبيرة من الزبدة ودعي الزبدة تذوب في التوست بحيث لا تظهر منه أية أجزاء صفراء . وسـوف أعطيك بقشيشا حسنا » . ثم رفع قدمه الموضوعة في حذاء أكسفورد بني اللون به ثقوب كنوع من الزخرفة ونظر اليها وزام في ألم بصـوت يشبه صوت الخنزير .
فتساءل جوان « هل أصيب رسغ قدمك بجرح ؟ » وانفتح الباب الموجود عند نهاية الكاونتر وخرج منه رجل متوسط الحجم . كان يشبه الرئيس ترومان ونواب رؤساء الشركات وكتبة الحسابات العموميين الحاصلين على مؤهلات . وكانت نظارته تقف متأهبـة للكفاح على جانبي وجهه وكانت حلته رمادية اللون ومتلائمة ، وكان يوجد شيء من اللون الرمادي في وجهه أيضا . لقد كان رجل أعمال وكان شبيها برجال الاعمال ومرتديا كرجال الاعمال . وفي عروة طية جاكتته كان يوجد دبوس محفل ماسوني دقيق للغاية بحيث لا يمكن للمرء مشاهدته من مسافة أربعة أقدام . وكانت العروة السفلى من الصديري غير مزررة . وحقيقة الامر أن هذا الزرار الاسفل لم يقصد به أن يستخدم في التزرير . كما كانت هناك ساعة ذهبية جميلة وسلسلة مفاتيح تقطع هذا الصديري وتدخل وتخرج من عروة زر وتستمر في مسارها .
وقال « مدام برتشارد ستتناول بيض مقلى نيىء بعض الشيء اذا كان طازجا ، بالاضافة الى توست ومربة الفواكه المسلوقة . والآنسة برتشارد تريد فقط عصير برتقال وقهوة . وأنا أريد جريب فروت وقشدة وبيضا يحرك تماما وينال قسطا وافرا من النضـج وتوستا جافا وقهوة بوستن ــ تلك التي يكون نصفها لبن والنصف الآخر قهوة . ويمكنك احضار كل هذه الاشياء على صينية » .
فنظرت أليس لأعلى في غضب وقالت « يستحسن أن تجيئوا الى هنا . فليس عندنا صينية لتقديم الطلبات عليها .

فنظر اليها المستر برتشارد فى برود وقال « لقد تأخرنا هنا . وفقدت بالفعل يوما كاملا من أجازتى . وليست غلطتى أن الاوتوبيس قد تعطل . وعليك الآن أن تحضرى هذا الافطار الى هنا . كذلك لا تشعر زوجتى بأنها على ما يرام . وأنا غير معتاد على الجلوس على كرسى بدون مسند والمدام برتشارد غير معتادة على الجلوس على هذا النوع من الكراسى ايضا » .

فنكست آليس رأسها مثل بقرة حلوب غاضبة وقالت : « اسمع اننى اريد الذهاب للحمام لكى أغسل وجهى وأنتم تشغلون الحمام » .

وتحسس المستر برتشارد نظارته فى عصبية وقال «أوه . فهمت» وأدار رأسه نحو جوان فانعكس الضوء على نظارته حتى انه كانت هناك مرآتان بدون عينين خلفهما . واخرجت يده سلسلة ساعته من جيب الصديرى . وفتح مبرد أظافر صغير ذهبى وجرى برأســه أسفل كل ظفر . ونظر فيما حوله واجتاحه شيء من قشعريرة الحيرة والارتباك . فقد كان المستر برتشارد رجل أعمال اذ كان رئيســا لشركة متوسطة . وهو لم يسبق له مطلقا أن كان وحيدا . اذ كان يدير اعماله مجموعات من الناس يقومون بأعمال متشابهة ويفكرون تفكيرا متماثلا بل ويشبهون بعضهم البعض . وكانت وجبات غذائه مع رجال يشبهونه حيث يلتقون مع بعضهم البعض فى النوادى لكى لا يتسرب اليهم أى عنصر أجنبى او اية افكار اجنبية . وكانت حياته الدينية هى محفله وكنيسته وهما مخميان ومحجبان . وكان يلعب البوكر اسبوعيا بالليل مع رجال يشــبهونه تماما حتى أن نتيجــة اللعب تكون متعادلة الى حد ما . وانطلاقا من هذه الحقيقة كانوا جميعا مقتنعين بأنهم لاعبو بوكر ممتازون للغاية . وأينما ذهب لم يكن بمفرده وانما كان وحدة فى مجموعة فى نادى فى كنيسة فى حزب سياسى فى محفل . ولم يحدث أن تعرضت افكاره وآراؤه للنقد على الاطلاق منذ ان اندمج بارادته الحرة مع اناس يشبهونه . وكان يقرأ جريدة تكتبها المجموعة لتقرأها المجموعة . وحتى الكتب التى تصل الى منزله كان يتم اختبارها بمعرفة لجنة كانت تقوم بحذف المادة التى قد تضايقه . وكان يكره الدول الاجنبيــة والاجانب لانه كان من الصعب عليه أن يجد بينهم شخصا مماثلا وشبيها له ، ولم يكن يرغب فى الخروج على مجموعته . صحيح انه كان يرغب فى الارتقاء ليصل الى قمة المجموعة ويحوز اعجابها ولكنه لم يحدث له أن رغب فى تركها ، وصحيح انه فى بعض الحفــلات التى كانت ترقص فيهــا الفتيات عاريات تماما وتجلس فى كئوس الخمور الضخمة كان ينفجر

بالضحك ويشرب الخمر ولكن كان معه هناك خمسمائة برتشارد آخرون .

والآن وبعد ان سمع توا تلك العبارة القبيحة التى قالتها آليس عن الحمام ودورة المياه نظر حوله فى صالة الطعام واكتشف أنه وحيدا ، لانه لم يجد نسخة أخرى من المستر برتشارد . واستقرت نظارته لبعض الوقت على الرجل الضئيل الجسم المرتدى حلة الشغل ولكنه كان به أمور غريبة . وصحيح أنه كان يضع دبوسا من نوع ما فى عروته عبارة عن قضيب عليه طلاء خزفى ثمين يميل الى اللون الازرق وبه نجوم بيضاء الا أن هذا القضيب لا يمثل ناديا يعرفه المستر برتشارد . لذلك وجد نفسه متبرما من هؤلاء الناس بل ومتضايقا من أجازته . وشعر بالرغبة فى العودة الى غرفة النوم واغلاق الباب وراءه ولكن كانت هناك تلك المرأة الجسورة التى أرادت الذهاب للتواليت . وراح المستر برتشارد ينظف على وجه السرعة أظافره كمبرد الاظافر الذهبى الموجود في سلسلة ساعته .

وحقيقة الامر ان المستر برتشارد لم يكن على ذلك النحو . فهو قد أعطى صوته ذات مرة لأوجين ديبز ولكن ذلك قد حدث منذ فترة طويلة مضت ولكن الناس فى مجموعته كانوا يرقبون بعضهم البعض فأي انحراف عن قوانين السلوك كان يلاحظ اولا ثم يناقش فيما بعد . ومن يحيد من الرجال يجد نفسه غير راسخ فاذا أصر لا يتعامل معه أحد تجاريا .

فالتلوين الوقائى كان يقوم بالحماية فعلا . ولكن لم يكن هناك ازدواج في حياة المستر برتشارد . فهو قد تخلى عن حريته ثم نسى الشكل الذى كانت عليه حريته وبدأ ينظر الى تلك الحرية على أنها سخافة من سخافات الشباب . ووضع مسألة اعطاء صوته لأوجين ديبز فى مصاف زيارته لاحد بيوت اللهو عندما كان فى سن العشرين . فكلاهما أمران يمكن توقع حدوثهما من أولاد كبار . وفى حفلة غذاء رسمية بأحد النوادى تصادف أن روى قصة اعطاء صوته لأوجين ديبز ليبرهن على أنه كان شابا نشيطا جريئا وان مثل تلك الامور كانت جزءا من فترة المراهقة شأنها فى ذلك شأن حب الشباب . وعلى الرغم من أنه كان يلتمس لنفسه العذر بل وكان يستمتع بمسألة اعطاء صوته لديبز الا أنه كان منزعجا للغاية بسبب انشطة ابنته ميلدريد .

فقد كانت منطلقة مع زملاء خطرين فى الكلية ومع أساتذة واناس مغفلين ممن لهم ميول شيوعية . فهى قبل الحرب أوثقت باخرة

تحمل حديد خردة كانت متجهة لليابان ثم جمعت اموالا لتوفير الامدادات الطبية من أجل من اسماهم المستر برتشارد بالشيوعيين فى الحرب الاسبانية . وهو لم يناقش تلك الامور مع ميلدريد . وهى لم ترغب فى التحدث معه فى هذه الامور بأسلوب مباشر وبوضوح كامل . فقد كان لديه احساس قوى بأنه لو التزم كل منهما بالهدوء وضبط النفس فانها قد تشفى من هذه الحالة من تلقاء نفسها . وكان يعتقد أنها اذا تزوجت وأنجبت طفلا سيؤدى ذلك الى وضع حد لقلقها السياسى . وقال انها اذا تزوجت ستعثر على قيمتها الحقيقية .

ولم يكن المستر برتشارد يتذكر بوضوح زيارته لبيت اللهو . فقد كان عمره عشرين عاما وكان مخمورا ، وبعدئذ شعر شعورا قويا بالدنس والاسف . وتذكر الاسبوعين اللذين أعقبا تلك الزيارة عندما ظل منتظرا فى رعب ظهور أعراض المرض . وكان قد وضع خطة للانتحار اذا ظهرت أعراض المرض وذلك بأن يقتل نفسه ويجعل الامر يبدو وكأنه حادثة من الحوادث .

وكان آنئذ عصبيا . فهو منذ البداية لم يكن يرغب فى القيام بهذه الاجازة . وهو كان متجها الى المكسيك التى يعتبرها — رغم الملصقات الدعائية السياحية — دولة قذرة بل وراديكالية بشكل خطير . فهم فى المكسيك قد نزعوا ملكيات البترول أو بتعبير آخر سرقوا الملكية الخاصة . وما هو الفارق اذن بينهم وبين روسيا ؟. وكان المستر برتشارد يعتقد أن روسيا قد حلت محل شيطان العصور الوسطى كمصدر لكل دهاء وشر ورعب . وكان عصبيا فى هذا الصباح لانه لم ينعم بالنوم هو الآخر . اذ كان يحب سريره الخاص به ولكى يتعود على سرير آخر فان الامر يتطلب منه اسبوعا . وهو هنا كان قد دخل فعلا فى ثلاثة أسابيع من النوم فى سرير غير سريره فى كل ليلة . والله يعرف نوعية الزبائن الذين شغلوا تلك الاسرة . كان يشعر بالارهاق وكانت بشرته خشنة الملمس . فقد كان الماء عسيرا قاسيا هنا حتى أنه عندما حلق ذقنه كان يعلم مقدما أنه ستكون هناك حلقة من الشعر النامى الى الداخل حول رقبته خلال ثلاثة ايام ..

وأخرج منديلا من جيب الصديرى ونزع نظارته وقام بتنظيفها . وقال « سأخبر زوجتى وابنتى .. فنحن لا ندرى اننا تسببنا فى ازعاجكم الى هذا الحد » .

وأعجبت نورما بكلمة « ازعاج » وكررتها لنفسها عدة مرات

« ازعاج ــ اننى لم ارغب فى ازعاجك يا مستر جيبل . ولكنى اظن انه ينبغى أن تعرف ـــــ » .

وكان المستر برتشارد قد رجع الى غرفة النوم . وكان صوته مسموعا وهو يشرح الموقف وكانت أصوات نسائية تستوضح الأمر.

ونهض الرجل ذو الشارب من كرسيه وطفق يعرج فى ألم نحو الكاونتر ويزمجر بصوت مكتوم . وعاد ومعه سلطانية السكر وغاص فى كرسيه مرة أخرى وقد قطب جبينه .

فقالت له نورما فى اهتمام « كان ينبغى علىَ أن أحضر لك ذلك »

فابتسم لها وقال موضحا فى شهامة « لم أرغب فى مضايقتك » .

فقالت نورما « لم يكن هذا ليزعجنى على الاطلاق » .

ووضع جوان فنجان قهوته .

وقال بيميلز « أرغب فى قطعة من كعكة بجوز الهند تلك » فقطعت له أليس ــ وهى غير منتبهة ــ قطعة ودفعت بهـا عبر الكاونتر وسجلت ذلك فى دفتر الحساب .

وقال بيميلز « اظن أننى لم احصل مطلقا على اى قطعة كعك مجانا » .

فقالت اليس « يخيل الى انك حصلت على الكثير مجانا دون ان اسجل ذلك فى دفتر الحساب » .

وقال جوان للرجل الضئيل الجسم « يبدو أنه قد حدث لك التواء شديد فى ذلك الجزء » .

فقال الرجل « أصابع القدم مسحوقة . ساجعلك تلقى نظرة عليها » .

وخرج المستر برتشارد من غرفة النوم وجلس الى المنضـدة الشاغرة الباقية .

وفك الرجل الضئيل الجسم أربطة حذائه الاكسفورد ثم خلعه. ونزع جوربه ووضعه بعناية فى حذائه الاكسفورد . وكانت قـدمه معصوبة ابتداء من مشط الرجل حتى نهاية اصابع القدم . وكان الرباط ملوثا ومبتلا بدماء حمراء صافية .

فقالت آليس على وجه السرعة « لا داعى لان ترينا » فقد كانت الدماء تسبب لها الاغماء .

فقال الرجل الضئيل الجسم « على كل حال ينبغى على تغيير الاربطة » وراح يفك الشاش الطبى وعرض قـدمه أمام الجميع . لقد كان الاصبع الكبير للقدم والاصبعان التاليان له مسحوقين تماما

وقد اسودت الاظافر بها كما كانت نهايات الاصابع مسحوقة وملطخة بالدماء ومسلوخة ومتجلطة .

ونهض جوان ليرى عن كثب . واقترب بيميلز وحتى نورما لم تستطع البقاء بعيدا .

وعلق جوان قائلا « يا الهى ، انها مسحوقة بشكل مريع . دعنى احضر بعض الماء لاغسلها . ويجب أن تحصل على نوع من المراهم والدهانات . ويجب أن تسارع بالعلاج لكي لا تفقد تلك القدم تماما »

وأحدث بيميلز صفيرا حادا مدويا بين أسنانه للتعبير عن اهتمامه بنوعية الاصابة . وكان الرجل الضئيل الجسم ينظر الى وجه جوان وعيناه تلمعان فى بهجة واستفسر « أتظن أن الجرح رديء ؟ » .

فقال جوان « أنت على حق . الجرح رديء للغاية » .

« أتظن أنه ينبغي على الذهاب الى دكتور ؟ » .

« حسنا . لو كنت مكانك لذهبت الى طبيب » .

فضحك الرجل الضئيل الجسم في سرور وقال « ذلك هو كل ما أردت أن أسمعه » ، ثم نزع ظفر اصبع الابهام من مشط القدم ، فانقشعت القشرة التى تغطى أعلى قدمه ورفعت معها الجلد والدماء والاصابع المسحوقة ــ وتحتها كانت توجد قدمه بأكملها سليمة وخالية من الاصابات وكذلك الاصابع ، ثم ألقى برأسه للخلف وضحك فى ابتهاج وقال « جيدة . أليس كذلك ؟ من البلاستيك ، انتاج جديد »

واقترب المستر برتشارد ونظر فى اشمئزاز . وقال الرجل « انها لتيل واندر أرتفشيال صور فوت . » وانتزع من جيبه الجانبى علبة مسطحة وناولها لجوان قائلا : « لقد كنت لطيفا للغاية معى . وأريد لك أن تأخذ واحدة ، مع أطيب تحيات ارنست هورتن ممثل شركة الاعاجيب الصغيرة » وانطلق صوته يتسابق مع حماسه « انها فى ثلاثة أحجام ــ واحد واثنين وثلاثة أصابع قدم مسحوقة . وهذه التى أعطيها لك من نوع الثلاثة أصابع وتشبه تماما تلك التى رأيتها توا . وهى مزودة بالاربطة وبزجاجة من الدم الصناعى لتجعل منظر الاربطة يبدو مرعبا ، وبداخلها التعليمات . وينبغى ان تلينها فى مياه دافئة عند ارتدائها لاول مرة . وهى بعدئذ تتلاءم مع نوع لون البشرة ولا أحد يستطيع أن يميزها عن لون البشرة . ويمكنها أن تجلب لك قدرا كبيرا من المرح والبهجة . »

وانحنى المستر برتشارد للامام . وعلى مسافة فى مؤخرة ذهنه استطاع أن يرى نفسه وهو يخلع جوربه فى اجتماع مجلس الادارة ،

ويمكنه أن يفعل ذلك عقب عودته من المكسيك مباشرة على أن يمهد لذلك بقصة عن عصابات اللصوص •

فتساءل « ما هو الثمن ؟ » •

فقال أرنست هورتن « دولار ونصف الدولار • ولكنى لا أبيع بالقطاعى الا فيما ندر . فالتجار يتخاطفونها منى بمجرد حصولى عليها ولقد بعت أربعين دستة للتجار فى خلال أسبوعين » •

فقال المستر برتشارد وقد اتسعت عيناه فى اعجاب شديد « يا الهى ؟ هذا غير معقول ؟ » •

« اننى على استعداد لان أريك دفتر الطلبات التجارية الخاص بى اذا كنت لا تصدقنى • انها أسرع عملية بيع لبدعة جديدة قمت بها فى حياتى • وشركة الاعاجيب الصغيرة تربح الان من ورائها » •

فسأله المستر برتشارد « ما هو سعر التكلفة وما هو صافى الربح ؟ » •

« حسنا • اننى لا أود الاجابة على هذا السؤال الا اذا رغبت فى الدخول كتاجر فى هذا الشأن ، انها أخلاقيات الاعمال التجارية كما تعرف » •

فأومأ المستر برتشارد برأسه وقال « حسنا ، أرغب فى الحصول على واحدة بالسعر القطاعى على سبيل التجربة » •

« سأحضر لك واحدة عقب الانتهاء من تناول طعامى مباشرة » ثم سأل نورما « هل أعددت ذلك التوست المدهون بالزبدة ؟ » •

فقالت نورما « سأحضر حالا » وقد اعتراها شعور بالذنب • وذهبت خلف الكاونتر وأدارت زر تشغيل ماكينة تحميص الخبز •

واستطرد ارنست قائلا فى ابتهاج شديد : « وكما ترى فان علم النفس هو الذى يروج لنا عملية البيع • فنحن سبق لنا أن قمنا بتخزين كمية كبيرة من الاصابع الصناعية المبتورة لسنوات حيث كانت حركة بيعها بطيئة • ولكن هذه ـ انها تعتمد على السيكولوجى وأنت تقوم بخلع حذائك وجوربك • فلا أحد يظن على الاطلاق أنك ستتجشم مشقة ذلك العمل . والشخص الذى قدم هذه الفكرة حصل لنفسه على أجر كبير للغاية » •

فقال المستر برتشارد فى اعجاب « وأظن أنك تحصل على بعض المكاسب من وراء ذلك » • وكان قد أخذ يشعر بتحسن كبير عن ذى قبل •

فقال ارنست « أقوم بذلك على ما يرام » واستطرد : « لقد أحضرت

معى فى حقيبة العينات الخاصة بى واحدة أو اثنتين من الاشياء الاخرى الصغيرة التى قد تدخل السرور عليك • وهى لا تباع الا للتجار ولكننى سأعرضها عليك فلربما تدخل عليك البهجة والسرور » •

فقال المستر برتشارد « اننى أرغب فى شراء نصف دستة من الاقدام المحتقنة » .

« نصف دستة من نوع الثلاثة أصابع ؟ » •

ففكر المستر برتشارد فى الامر مليا • انه يريد هذه الاشياء ليعطيها كهدايا ولكنه لا يريد المنافسة • ان تشارلى جونسون باستطاعته عرض هذه الحيل بنجاح أكبر من المستر برتشارد فتشارلى رجل مضحك بطبيعته •

وقال « اذا افترضنا انك ستسمح لى بأخذ واحدة من ذات الثلاث أصابع وثلاثة من ذات الاصبعين واثنتين من ذات الاصبع الواحد فسيكون ذلك مناسبا لما أريد » •

وأخذت نوعية المطر فى التغير • اذ جاء فى شكل مطر مدرار غزير فجائى شديد البلل تتخلله فترات قصيرة من الرذاذ الخفيف • وجلس جوان بالقرب من النافذة ومعه قهوته وقد تبقى فى الطبق نصف كعكة بنية اللون •

وقال جوان « ستقل حدة المطر قليلا على ما اظن » . واستطرد : « أريد تحريك نهاية السيارة لاعلى بعض الشىء قبل أن نبدأ » •

وقال بيميلز « أريد قطعة من كعكة جوز الهند تلك » فقالت آليس « لا • لن أعطيك ، فعلى أن أبقى قليلا من الكعك من أجل الزبائن » •

« حسنا • اننى زبون • أليس كذلك ؟ » •

فقالت آليس « لا أدرى ما اذا كان أتوبيس سان يسيدور سيحضر لنا مسافرين اليوم • يجب على الاحتفاظ بكمية قليلة من الكعك » •

وفى نهاية الكاونتر كانت توجد صينية حلوى متدرجة كالسلم ومليئة بقضبان الحلوى المغلفة فى عبوات • فنهض بيميلز من فوق كرسيه الذى لا مسند له ووقف أمام هذا العرض • وأمعن النظر فى العبوات الجميلة الصغيرة لفترة طويلة قبل أن يختار • وأخيرا انتقى ثلاثة قوالب ووضعها فى جيبه وقال « واحدة من نوع الطفلة الرضيعة راث وواحدة من نوع عش الحب وواحدة من نوع حبيبة القلب جوزة الهند » •

فقالت آليس « حبيبة القلب جوزة الهند ثمنها دايم واحد لانها محشوة بالبندق والجوز واللوز » .

فقال بيميلز « أعرف ذلك » .

فالتقطت اليس دفتر الحساب من خلف الكاونتر وقالت : « لقد أخذت الان بما يزيد على أجرك قليلا » .

الفصل الرابع

وما أن خرج آل برتشارد من غرفة النوم حتى قالت نورما بسرعة « على أن أمشط شعرى وأنظف نفسى بعض الشىء » وخرجت بسرعة نحو الباب . فانطلقت آليس خلفها مباشرة .

وقالت أليس لها فى برود « أنت تأخذين دورك بعدى فى الحمام » فذهبت نورما عبر غرفة نوم المستر شيكوى وزوجته ومنها الى غرفة نومها الخاصة بها . ثم أغلقت الباب خلفها . ونظرا لعدم وجود مفتاح فقد أوصدت الباب بالمزلاج الموجود بجوار القفل لكى تخلو الى نفسها فى شىء من العزلة . وكان سريرها الحديدى الضيق .. وهو من النوع الذى يستخدم فى الجيش ـ غير مرتب وكانت حقيبة العينات الضخمة الخاصة بارنست هورتن مستندة الى الحائط .

لقد كانت غرفة ضيقة للغاية . وفى داخلها كان يوجد صوان الملابس وسلطانية تحتوى على مادة لقتل الحشرات مستندة الى أحد الحوائط . وفى أعلى هذا الصوان كان يوجد رأس وسادة ناعم كالحرير ومزركش فى الحواشى ولامع ومربوط بشكل مؤقت . وكان لونه أحمر وردى وبه صورة لمدفعين متقاطعين أمام باقة من الورود الحمراء اللون وكانت هناك قصيدة شعر مطبوعة على رأس المخدة تحت عنوان : « ابتهالات جندى لامه » :

« بين الرصاص والقنابل أفكر فيك يا أمى العزيزة
آمل أن تنقذنى صلواتك وتحفظ على حياتى
وعندما تنتهى الحرب وننتصر فيها
سأعود اليك يا حياتى .. يا أحب الناس الى قلبى »

ونظرت نورما بسرعة الى النافذة المعتمة بضوء الامطار ثم أدخلت يدها تحت ياقة ردائها وقلبت الياقة . وفى الحافة المقلوبة للياقة كان يوجد مفتاح صغير مربوط بدبوس مشبك . وفكت نورما المشبك وأخذت المفتاح ثم جذبت حقيبتها الصغيرة من تحت صوان الملابس وفتحت قفل الحقيبة ثم رفعت غطاءها . فظهرت فوق الاشياء الموجودة فى الحقيبة صورة لامعة لكلارك جيبل ذات اطار من الفضة وعليها توقيع « مع أطيب تمنياتى . كلارك جيبل » . وكانت قد اشترت

الصورة والبرواز والتوقيع من محل لبيع الهدايا التذكارية فى سان يسيدور •
وجرت بيدها بسرعة الى أسفل الحقيبة وعثرت أصابعها على علبة خاتم مستديرة . فجذبتها وفتحت غطاءها واطمأنت على وجود الخاتم بها . ثم دفعت بالعلبة مرة أخرى الى قاع الحقيبة وأغلقتها ثم قفلتها بالقفل ودفعت بها تحت صوان الملابس • ثم أعادت المفتاح الى المشبك بداخل ردائها • وفتحت درج صوان الملابس وأخذت منه فرشــاه ومشط واتجهت نحو النافذة • وعلى الحائط بجانب ستائر الكريتون ذات الورود الحمراء والخضراء كانت توجد مرآة لها اطار فوقفت نورما أمام تلك المرآة ونظرت الى نفسها •
وجاء ضوء فى لون الرصاص عبر النافذة وسقط على وجهها » فوسعت عينيها بشدة ثم ابتسمت وأظهرت كل أسنانها •• كانت ابتسامتها مليئة بالحيوية • ووقفت على أصابع قدميها قليلا ولوحت بيدها لحشد كبير من الناس وابتسمت مرة أخرى •
ثم جرت بالمشط فى شعرها القليل الكثافة وجذبت المشط بقسوة عندما أمسكت نهايات الشعر المتموجة به • وأخذت قلم الزينة من صوان الملابس وراحت ترسم الاماكن غير الواضحة فى حاجبيها الشاحبين مع التركيز على التقوس الموجود فى الوسط لكى يكتسب وجهها النظرة المندهشة • ثم بدأت تمشط شعرها ، عشرة خبطات على جانب وعشرة على الجانب الاخر • وأثناء التمشيط كانت ترفع وتثنى عضلات احدى ساقيها ثم نفس الشيء بالنسبة للساق الاخرى لتنمية بطن الساق • وكان ذلك روتينا أوصت به نجمة سينمائية لم يسبق لها أن مارست أى نوع من أنواع الرياضة عن طيب خاطر وكل ما فى الامر أنها كانت لها ساقان جميلتان •
وألقت نورما نظرة خاطفة على النافذة عندما ازدادت ظلمة الضوء• اذ كانت تكره أن يشاهدها الناس وهى تؤدى رقصات خيالية غريبة • ولقد كانت نورما غائصة ومغمورة أكثر من جبل ثلج عائم • ولم يكن يبين منها فوق السطح سوى أصغر الاشياء • لان أعظم وأفضل وأجمل جزء فى نورما كان يرقد مخبئا خلف عينيها فى حماية وبدون أن يمس •
ودار مقبض الباب فى غرفة نورما وتلا ذلك ضغط على الباب فتصلبت نورما ووقفت دون حراك • ثم تحركت يد واحدة فقط وراحت تمسح

فى جنون عند حاجبيها ونجحت فى عمل هبـــاب رمادى اللــون على جبينها ، وبدأت تسمع طرقا خفيفا على باب غرفة النــوم فى شىء من الادب والاستحياء . فوضعت فرشاتها على صوان الملابس وجذبت رداءها لاسفل واتجهت نحو الباب . وذفعت المزلاج وفتحت البـــاب فتحـة بسيطة . وهناك كان وجه ارنست هورتون ينظر اليها وقد تقـــوس شاربه المتماسك الغزير الشعر فوق فمه .

واستطرد هو قائلا « لقد كنتم أناسا كرماء للغـــاية من جميـع النواحى . وأنا لا أريد ان أتسبب فى ازعاج آخر علاوة على ما قمت به » .

وزال التوتر عن نورما ببطء ولكنها كانت لا تزال تتنفس بصعوبة بعض الشىء . وفتحت الباب وتراجعت قليلا للخلف فدخل ارنســت الى الغرفة مبتسما فى خجل . ثم توجه الى السرير .

وقال « كان ينبغى على أن أرتب هذا السرير » ثم ســـحب الملاءة والبطانية وراح يبسطها ويزيل الكرمشة عنها .

فقالت نورما « لا . سأقوم أنا بعمل ذلك » .

وقال أرنست « بل انك لم تنتظـرى لتأخـذى البقشيش الذى وعدتك به » واستطرد « ولكنى قد أحضرته لك » وانتهى من ترتيب السرير ترتيبا أنيقا كما لو كان قد قام بهذا العمل مرات عديدة من قبل .

فقالت نورما « كان باستطاعتى ان أفعل ذلك بنفس الدقة » فقال « حسنا . لقد تم ترتيبه الان » ثم اتجه الى حقيبة العينات الخاصة به وقال « أتسمحين لى بأن أفتح هذه ؟ فأنا أريد أن أستخرج منها بعض الاشياء » .

فقالت نورما « نعم » وامتلأت عيناها بالشغف والاهتمام ، فوضع حقيبة العينات الكبيرة فوق سريرها وفتح الكالون ورفع الغطاء فظهرت أشياء غريبة ومدهشة فى الحقيبة . كانت توجد هنـــاك أنابيب من الورق المقوى ومناديل لليد تغير من ألوانها أعداد من السيجار المنفجر والقنابل الكريهة الرائحة . كما كانت هناك قاذفات للصوت وأبواق وقبعات من الورق من أجل الحفلات ورايات وأزرة تبعث على الضـحك بالاضافة الى وسائد حريرية مثل تلك الموجودة فوق الحائط . وكان أرنست يقوم باستخراج ستة من الاقدام الصناعية المحتقنة فى عبواتها المسطحة . واقتربت نورما منه لكى ترقب عن كثب حقيبة العينـــات العجيبة . وانبهرت للغـــاية لدى رؤيتها سلسلة متتابعة من الصــور

الفوتوغرافية لنجوم السينما .. صورا لم تشاهد مثيلا لها من قبل على الاطلاق . فقد كانت مضغوطة ومصبوبة فى ألواح كثيفة من البلاستيك الصافى لمسافة ربع بوصة على الاقل وكان يوجد شيء عجيب في هذه الصور : اذ كانت تبدو مسطحة ومنبسطة ولكن الوجوه فيها كانت مستديرة ولها عمق بسبب بعض حيل الالتواء أو ربما عن طريق الضوء المنعكس حيث بدت كأن لها ثلاثة أبعاد وكان حجم الاطارات ٨ × ١٠ بوصات .

وعلى القمة كانت توجد صورة مبتسمة لجيمس ستيوارت تشبهه تماما ، ومن تحتها كانت تبرز صورة أخرى لم تتبين منها سوى الشعر وجانبا من الجبهة ولكنها عرفت ذلك الشعر وتلك الجبهة فانفرجت شفتاها ولمعت عيناها وتحركت يدها ببطء في الحقيبة ورفعت صورة جيمس ستيوارت على جانب وهنالك كان هو : كلارك جيبـــل ويبدو كاملا وممتلئا . وقد اتخذ وضعا يتسم بالصرامة والقوة : الذقن متجه لاعلى والعينان ترمقان فى عزم وتصميم . انها لم تشــاهد مثل هذه الصورة من قبل . وتنهدت فى عمق وحاولت السيطرة على أنفاســها المتلاحقة لكي لا تسمع . ورفعت الصورة لاعلى وحملقت فى العينين . وكانت عيناها متسعتين ومنومتين تنويما مغناطيسيا .

وأخذ أرنست يرقبها وأدرك مدى اهتمامها وشــغفها . وقال : اليس ذلك شيئا جذابا للغاية ومذهلا تماما . انها فكرة جديدة . فالصورة تبدو فى شكل مستدير وتكاد تشبه التمثال ؟ » .

فأومأت نورما برأسها دون أن تنطق بكلمة واحدة . فقال ارنست « فى رأيى أن هذه المجموعات البسيطة من الصـــور ســوف تكتسح أمامها أى نوع اخر من الصور لانها ضد الحموضــة وضــد الرطوبة وتعيش للابد ولن تتحول الى اللون البني فهى قد شــكلت بأسلوب ملائم في داخل الاطار . وسوف تعيش للابد » .

ولم تترك عينا نورما الصورة على الاطلاق وحاول أرنست استرداد الصورة ولكن أصابعها تشبثت بها كالمخالب .

وخرج صوتها فى تمتمة خشنة مبحوحة وهى تقول « كم ثمنها ؟ »

فقال ارنست « انها مجرد عينة . انها شيء نريه للتجار ونعرضه عليهم . فهي ليست للبيع . أتريدينها ؟ »

« كم ثمنها ؟ » وكانت أصابعها بيضاء بسبب الضــغط . ونظر اليها ارنست فى تمعن . فرأى وجهها مصمما وجامدا ورأى عضــلات

فكها متصلبة متخشبة وأدرك أن فتحتى أنفها تخفقان قليلا بفعل السيطرة على التنفس ٠

فقال ارنست « اننا نبيعها بـ ٢ دولار أمريكى فى حالة البيع بالقطاعى ٠ ولكنى سبق أن قلت لك أننى سأعطيك بقشيشا حسنا ٠ فهل تفضلين أن تأخذى هذه الصورة بدلا من البقشيش ؟ »

وجاء صوت نورما مبحوحا خشنا « نعم » ٠

« حسنا ٠ يمكنك أن تأخذيها » ٠

واختفى اللون الابيض تدريجيا من أصابعها ٠ وكانت هناك أضواء من اللذة والافتخار والاشباع في عينيها ٠ ولعقت شفتيها وقالت « شكرا ، أوه شكرا يا سيدى » ثم أدارت وجه الصورة نحوها وعانقتها ٠ ولم يكن البلاستيك باردا كالزجاج وانما كان دافئا ناعم الملمس ٠

وقال ارنست « أظن أن باستطاعتى أن أدير أمورى بعينة واحدة فقط ٠ اننى سأتجه الى الجنوب ولن أعود للمركز الرئيسى للشركة الا بعد ستة شهور ووضعت فى الاعتبار ضرورة قضاء أسبوعين فى لوس أنجلوس ٠ فهى مكان عظيم لتسويق الاشياء والبدع الجديدة » ٠

وحملت نورما الصورة الى صوان ملابسها وفتحت الدرج ودفعت بالصورة تحت كومة من الملابس ثم أغلقت الدرج ٠ وقالت « هل ستذهب الى هوليود ؟ » ٠

« أوه ، بالتأكيد . بل وهى افضل من لوس انجلوس من حيث تسويق البدع الجديدة » وحينئذ ستكون المسألة كأنها أجازة لى أيضا ٠ وأنا لى عدد من الاصدقاء هناك ٠ أقوم بأجازتى وأتجول من مكان لآخر وأشاهد الاشياء وأباشر عملى التجارى فى نفس الوقت ، أصطاد عصفورين بحجر واحد ٠ فأنا لا أضيع الوقت ٠ ولى صديق منذ أن كنا سويا فى الجيش وهو يعمل الآن فى أحد استوديوهات التصوير السينمائى فى هوليود ٠ ودائما ما ارتاد بعض الاماكن معه ٠ وفى اخر مرة سافرنا سويا لحضور حفلة فى ميلروز جروتو وهى توجد فى الطرف الاخر من ميلروز بعدا R.K.O مباشرة ٠ وكانت حفلة ممتازة بمعنى الكلمة . ولا أريد أن أقول لك ما قمنا به من أعمال ٠ ولكنه لم يسبق لى أن حظيت بمثل هذا القدر الكبير من المرح فى حياتى ٠ ثم اضطر صديقى بالطبع الى العودة الى عمله فى الاستوديو

وأصبح لنورما نفس العزم والتصميم الموجود لدى كلب صيد

صغير وهو يرقب حشرة . فسألته فجأة « هل يعمل صديقك فى الاستوديو ؟ وما هو اسم هذا الاستوديو ؟ » .

فقال ارنست « مترو جولدان ماير » وكان منهمكا فى ترتيب حقيبته واعادة العينات اليها ولم يكن ينظر لاعلى نحوها . لذلك لم ينتبه الى صوت أنفاسها فى حلقها ولم يلحظ النغمة غير الطبيعية التى صاحبت صوتها .

« أتدخل الى الاستوديو كثيرا ؟ »

« نعم . فصديقى ويلى يحضر لى تصريحا للدخول . فأذهب واشاهدهم وهم يصورون فى بعض الاحيان . وصديقى ويلى يعمل نجارا . وكان يعمل هناك قبل الحرب ورجع الان الى هناك . وأنا خدمت فى الجيش معه . وهو زميل لطيف للغاية . وياله من انسان رائع أثناء الحفلات . فهو يعرف نساء ولديه أرقام تليفونات أكثر مما تتصورين . كتاب ضخم سميك اسود ملىء بأرقام التليفونات . حتى أنه لا يتذكر أى شىء عن نصف عدد النساء اللائى يحتفظ بأرقام تليفوناتهن » .

وبدأ الحماس يدب فى ارنست وهو يتحدث عن هذا الموضوع . فجلس على الكرسى الصغير المستقيم بجوار الحائط وضحك بصوت مكتوم وقال « وفى بداية الحرب وقبل أن أتعرف على ويلى كان ويلى مرابطا . فى منطقة « سانتا أنا » وبدأ الضباط يسمعون عن كتابه الاسود وبدأوا يأخذونه معهم الى هوليود لكى يحضر لهم النساء وكانوا يعطونه تصريحا فى أى وقت يشاء . وأحرز نجاحا كبيرا بعد أن شحنوا معداته وأجهزته الى الخارج » .

وظهرت على عينى نورما لمحة سريعة من الضيق أثناء هذا السرد المستفيض . وعبثت أصابعها فى مريلتها وارتفع صوتها ثم انخفض وهى تقول « أيضايقك أن تقدم لى معروفا ؟ » .

فقال ارنست « أى خدمة . ماذا تريدين ؟ » .

« حسنا . لو أننى أعطيتك وكنت فى احدى زياراتك لمترو جولدن ماير ثم تصادف أن رأيت المستر جيبل . فهل تعطيه الخطاب ؟ »

« من يكون المستر جيبل هذا ؟ » .

فقالت نورما فى حزم « المستر كلارك جيبل » .

« أوه . هل تعرفينه ؟ »

فقالت نورما في برود « نعم . فأنا أبنة عمه » .

« أوه . فهمت ما ترمين اليه . حســنا . من المؤكد أنني سأفعل ذلك . ولكن من المحتمل ألا أذهب . لماذا لا ترسليه بالبريد ؟ » .

فضاقت عينا نورما وقالت في غموض « انه لا يتسلم خطاباته ، فهناك فتاة كالسكرتيرة تأخذ الخطابات وتحرقها » .

فقال ارنست « لا !! ولاى سبب تفعل هى ذلك ؟ » .

ففكــرت نورما للحظـــات في هذا الامر ثم قالت « انهم فقط لا يريدون له أن يرى الخطابات » .

« ولا حتى الخطابات الواردة من أقاربه ؟ » .

فقالت نورما « ولا حتى الخطابات المرسلة من ابنة عمه » .

« هل هو أخبرك بذلك ؟ » .

« نعم » . وكانت عينـــاها متسعتين وخاليتين من أى تعبـير . واستطردت « نعم . وأنا سأذهب الى هناك بالطبع في القريب العاجل لقد قدمت لى عروض بالعمل وكنت على وشك الذهاب ولكن أبن عمي ـ أعني المستر جيبل قال (لا . يجب أن تحصلى أولا على الخبرة من الحياة العملية . فأنت ما زلت صغيرة . وليس هناك ما يدعو للتسرع) ولذلك فأنا أحصل على الخبرة الان . فالانسان يتعلم الكثير من الناس فى صالات الطعام . وأنا أدرس الناس فى جميع الاوقات » .

فنظر اليها ارنست في شيء من الشك . لقد عرف قصصا خيالية عن خادمات في المطاعم أصبحن نجـــوما في السينما بين يوم وليلة ، ولكن نورما لم تكن لديها المواهب التي تؤهلها لذلك .. ولم تكن لها ساقان جميلتان . كانت ساقاها مثل العصى . ولكنه كان يعرف حوالى اثنتين أو ثلاث من ممثلات السينما اللائى كن فى غاية البساطة بدون المكياج حتى أنه يتعذر على المرء التعرف عليهن بعيدا عن الشـــاشة . ولقد قرأ عنهن . فاذا كانت نورما لا تشبه الممثلات فباســـتطاعتهم أن يغيروا من شكلها بحيث تبدو ممتلئة ويدفعون بها الى هذا المجـال . واذا كان كلارك جيبل ابن عمها ففي ذلك نفوذ كبير ومركز قوة لا يقهر وهذه فرصة كبيرة بالنسبة لها .

وقال « حسنا ، انني لم أفكر في الحصــول على تصريح من ويلى للدخول للاستوديو في هذه المرة . ولقد ذهبت الى هناك مرات قليلـة للغاية ولكن ـ حسنا . اذا كنت ترغبين في ذهابي الى هنـــاك فاني سأذهب على الفور وأبحث عنه وأعطيه رسالتك . وما هو السبب فى

أنك تفترضين أنهم يتخلصون من الخطابات المرسلة اليه بالبريد ؟ »
فقالت نورما في عاطفة فياضة « انهم يريدون أن يستنزفوه حتى الموت ، وبعد ذلك يلقون به كحذاء قديم » .
واجتاحتها موجات متتالية من العـــواطف . وكانت في نوبة من نوبات النشوة والسعادة القصوى وكانت موجات الهلع والخوف تزحف عليها في نفس الوقت . فهي لم تعرف الكذب من قبل وهي لم يسبق لها أن فعلت شيئا مثل هذا . لقد كانت منطلقة فوق دعامة خشـبية طويلة غير ثابتة وكانت تدرك ذلك ، فسؤال واحد من جانب أرنسـت أو مجرد معرفته لقدر ضئيل من المعلومات من شأنه أن يلقي بها بعيدا من فوق الخشبة لتهبط في هوة سحيقة في ارتطام شديد ، ومع ذلك لم تستطع أن تمنع نفسها من مواصلة الحديث .
فقالت « انه رجل عظيم . رجـل فاضــــل عظيم . فهو لا يحب الادوار التي يسندونها اليه لانه ليس من هذا القبيل . بل انه لم تكن لديه الرغبة في القيام بدور Rhett lutler لانه ليس ماكرا وخائنا لزملائه فهو لا يرغب في تمثيل أدوار من هذا النوع » .
وكان أرنست قد اخفض من عينيه وراح يدرس نورما من خـلال رموش عينيه . وبدأ أرنست يدرك جوانب الموقف . اذ بدأ مفتــاح الموقف يزحف الى ذهنه . فقـد كانت نورما في تلك اللحظـة مشرقة وجميلة بشكل ربما لم يسبق له مثيل . وكان وجهها يتسم بالوفـاء والشجاعة وفيض عظيم حقيقي من الحب . وكان هناك أمران فقط أمام أرنست ليفعلهما : اما أن يهزأ بهـا واما أن يتمشى مع الموقف . ولو كان هناك أي شخص اخر في الغرفة ـ أي رجل اخر مثـلا لـكان قد ضحك وسخر منها ليحمي نفسه من احتقار الشخص الاخر ولكان قد شعر بمزيد من الخجل والاضطراب لانه أدرك أن ذلك الشيء الذي يلمع في عيني الفتاة هو أمر غاية في النقاء والقوة والفيض . وكان هذا هو الشيء الذي جعل المبتدئين من الرهبان يرقدون الليـــالي عـلى الارض الحجرية أمام المذابح . ولم يسبق لارنست على الاطلاق أن شاهد مثل هذا التدفق القوى لورود الحب العطرية .
فقال أرنست « سآخذ الخطاب وسأخبره بأنه من ابنة عمه » .
فظهرت دلائل الخوف على وجه نورما وقالت « لا . انني أفضـل أن اجعلها مفاجأة له . قل له فقط أن الخطاب من صديقة . ولا تقل له أي كلام اخر » .

فسألها ارنست « متى ستسافرين الى هناك لاستلام العمل ؟ »

« حسنا . لقد قال المستر جيبل أنه ينبغي على الانتظار لعام اخر وقال أنني صغيرة في السن واحتاج للخبرة ودراسة الناس . وأحيانا ما أشعر بالضيق من ذلك وأتمنى لو كنت هناك في منزلى الخاص بي معهم ـ تلك الستائر الضخمة السميكة وكنبة طويلة ضخمة وسميكة هي الاخرى ، لكي أرى صديقاتي : بيتي دافيز وأنجريد برجمان وجوان فونتين . فأنا لا أختلط مع الاخريات اللائى يلجأن للطلاق باستمرار وأشياء أخرى من هذا القبيل . فنحن نجلس سويا ونتحدث في الامور الجادة كما اننا ندرس طوال الوقت لان هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تؤدى الى ارتقاء الممثلة بحيث تصبح ممثلة عظيمة . وهناك عدد كبير ممن يعاملن المعجبين بهن معاملة وضيعة فلا يوقعن على الاتوجراف وأشياء من هذا القبيل . أما نحن فلا نفعل ذلك ، بل اننا في بعض الاحيان ندخل عندنا فتيات من الشارع لتناول قدح من الشاى والتحدث معهن كما لو كن مثلنا تماما لاننا ندرك أننا مدينون في كل ما حصلنا عليه للمعجبين والمعجبات بنا » . وكانت ترتجف من الداخل بفعل الخوف ولم تستطع الكف عن الكلام . وكانت تبتعد كثيرا عن الدعامة الخشبية ولم تستطع الكف عن الحديث حتى أصبحت الدعامة على وشك أن تقذف بها بعيدا عنها .

وقال ارنست « انني لم أفهم في باديء الامر أنك قد انتظمت بالفعل في السلك السينمائي . فهل أنت نجمة سينمائية بالفعل ؟ »

فقالت نورما « نعم » واستطردت « ولكنك لم تعرفني بسبب اسمي الذى استخدمه هنا . فأنا لى اسم اخر استخدمه في هوليود »

« ما هو ؟ » .

فقالت نورما « لا أستطيع أن أخبرك به . وأنت الشخص الوحيد في هذا المكان هنا الذى يعرف أى شيء عني . وآمل الا تقول ذلك لاحد ، هل ستخبر الاخرين ؟ » .

فاهتزت مشاعر ارنست وقال « لا . لن أخبر أحدا اذا كانت هذه هي رغبتك » .

فقالت نورما « لا تفشي سرى » .

فقال ارنست « بكل تأكيد . اعطني الخطاب وسأضمن وصوله اليه » .

« ستضمن وصول ماذا والى من ؟ » هكذا قالت آليس في مدخل

الباب • واستطرد « وماذا تفعلان هنا أنتما الاثنان وحدكما في غرفة النوم ؟ » وجالت بعينيها فى شك وريبة باحثة الدليل والبرهان • ثم مرت بعينيها بسرعة فوق حقيبة العيناتٍ الموجودة على السرير وتوقفت عيناها فوق الوسادة ثم فحصت بعينيها المفرش • وبعدئذ تحركت نحو نورما وطافت بعينيها فوق قدمى نورما ثم فوق ساقيها وتوقفت قليلا فوق جونلتها وتوقفت بعض الشيء على خصرها وبعدئذ استقرت فوق وجهها المحتقن •

وكانت نورما على وشك الغثيان بسبب الحيرة والارتباك وكان خداها متوهجين بالدماء فى أماكن مختلفة • ووضعت أليس يديها على ردفيها •

وقال أرنست مهدئا الموقف « لقد جئت لآخذ حقيبة عيناتى لكى أفسح المكان • فطلبت منى أن أسلم رسالة الى ابن عمها فى لوس أنجلوس » •

« ولكنها ليس لها ابن عم فى لوس انجلوس » •

فقال أرنست فى غضب « لها ابن عم بكل تأكيد ، وأنا أعرف ابن عمها » •

وعندئذ انفجر الغضب الذى كان يحاول الخروج من آليس طوال الصباح فصاحت قائلة « اسمع ما أقوله لك • اننى لن أسمح للباعة الجائلين بخداع الفتيات اللائى استأجرهن » •

فقال ارنست « لم يمسسها أحد • لا أحد وضع يده عليها » •

« حسنا • وماذا كنت تفعل فى غرفة نومها ؟ » وتصاعدت حلقات الهستيريا فى داخل اليس فصدر صوت صارخ ثقيل من حلقها وسقط شعرها حول وجهها وراحت عيناها تلف فى حركة دائرية وقد امتلأت بالدموع ، وأصبحت شفتاها قاسيتين مزمومتين كما يفعل المقاتل عندما يضرب فى قوة وقسوة غريما له فى شبه غيبوبة • « اننى لن أسكت على هذا الامر • أتظن أننى أريد لها أن تصبح حاملا ؟ أتظن أننى أريد أولادا غير شرعيين فى كل أرجاء المكان هنا ؟ ونحن نعطيكم أسرتنا وحجراتنا !! » •

فصرخ أرنست قائلا « قلت لك أن شيئا لم يحدث » وكانت تجتاحه موجة من اليأس فى مواجهة هذا الجنون ، حتى أن انكاره قد رن فى أذنيه كأنه اعترافات • ولم يفهم السبب الذى جعلها تقول ذلك القول • وبدأ يشعر بالالام والاضطرابات فى معدته بسبب الاتهامات الظالمة وأخذ الغضب يتصاعد فى داخله هو الاخر •

وكان فم نورما مفتوحا والتقط فمها ميكروب الهستيريا فصدرت عنها صرخات كالعويل مع كل نفس لاهث وتقاتلت يداها أمامها كما لو كانت كل يد تحاول تحطيم الاخرى ٠

وتقدمت اليس نحو نورما وكانت قبضة يدها اليمنى مشددة ، ليس كقبضة يد امرأة ولكن الاصابع كانت مطوية فى قوة والمفاصل الاولى للاصابع متجهة لاعلى وبارزة والابهام ملاصق للمفاصل الاولى ٠ وكانت كلماتها ثقيلة ومبللة : « أخرجى من هنا ٠ اخرجى من المكان بأسره ٠ أخرجى تحت المطر » ٠

ثم قامت اليس بهجوم مفاجىء على نورما فتحركت نورما بعيدا الى الوراء وصدرت عنها صرخة مليئة بالرعب ٠

وكانت هناك خطوات سريعة فى المدخل وقال جوان فى حدة « أليس !! » ٠

فتوقفت ٠ وانفتح فمها فى ارتخاء ٠ ودب الخوف فى عينيهما ٠ ودلف جوان الى الغرفة فى بطء وقد وضع ابهاميه فى جيبى أفروله كالخطاف ٠ وتحرك نحوها فى خفة مثل القط المتسلل ٠ وكان الخاتم الذهبى الموجود فى اصبعه الذى قطع جزء منه يلمع فى الضوء الرصاصى القادم من النافذة ٠ وتلاشى غضب اليس وحل محله الشعور بالرعب ٠ فابتعدت عنه فى خوف وتخطت نهاية السرير وسارت فى الطريق المسدود الى أن أصبحت ملتصقة بالحائط ٠ وهنالك أوقفت ٠

فهمست قائلة « لا تضربنى ٠ أرجوك لا تضربنى » ٠

فاقترب جوان منها وتحركت يده اليمنى ببطء على ذراعها فى المكان الذى يعلو المرفق مباشرة ٠ وكان ينظر اليها ، لا من خلالها أو حولها ٠ وأدارها برفق وقادها عبر الغرفة ثم عبر الباب وأغلق الباب على نورما وارنسنت ٠

فحملقا فى الباب المغلق والتقطا أنفاسهما بصعوبة ٠

ثم قاد جوان أليس الى السرير المزدوج وأدارها برفق فانحنت فى تداعى لاسفل كالكسيح وسقطت الى الوراء وهى تحملق فيه بجنون ووحشية ٠ فالتقط وسادة من رأس السرير ووضعها تحت رأسها ٠ وربت فى رفق على خدها بيده اليسرى تلك اليد التى بها أصبع مبتور فى جزئه الاعلى وبها خاتم الزواج وقال لها « ستصبحين على ما يرام الان » ٠

فوضعت ذراعيها على وجهها فى شكل متقاطع وكان نشيجها وبكاؤها مخنوقا وأجشا وجافا ٠

الفصـــل الخـــامس

جلست برنسيس برتشارد وابنتها ميلدريد والمستر برتشارد الى منضدة صغيرة الى يمين باب الدخول لصالة الطعام وقد ازداد اقتراب أفراد المجموعة الصغيرة من بعضهم البعض ، اذ شعر الشخصان الاكبر سنا أنهما بشكل ما معرضين للهجـــوم ، أما ميلدريد فكانت متأهبة لدفع الاذى عنهما • وهي طالما تعجبت كيف أن والديها قد بقيا على قيد الحياة في عالم رديء شديد القسوة والوحشية • فهي كانت تعتبرهما طفلين صغيرين ساذجين بدون حماية ، وكانت الى حد ما على صـــواب بالنسبة لامها • ولكن ميلدريد أغفلت أن الطفل لا يتلف ولا يتخاذل فهو راسخ ويثابر مثابرة خالصة ليشق لنفسه طريقا في الحيـــاة • وكان هناك نوع من عدم التلف في برنيس • فقد كانت جميلة بعض الشيء وكان أنفها مستقيما وهي قد لبست نظارة لفترة طويلة للغاية حتى أن المسطحات بين عينيها قد تشكلت بفعل الضغط ولم يكن فقط الجزء الغضروفي العالي لانفها رفيعا للغاية بسبب النظارة وانما ظهرت هناك أيضا بقعتان حمراوان حيث كان الشـــنبر يضـــغط في أوقات منتظمة • وكانت عيناها ملونتين باللون البنفسجي وبهما غشاوة ممـــا كان يعطيهما نظرة جوانية جميلة •

وكانت تتسم بالانوثة والرقة • ودائما ما كانت ترتدى مـــلابس بها مسحة من الموضة التى كانت سائدة في فترة مضت • ومن وقت لاخر كانت ترتدى دانتلة مزركش ودبابيس مشبك من النوع القديم • ودائما ما كانت بلوزاتها مزدانة ببعض الشرائط والدانتلات والاشغال اليدوية وكانت الياقات والاســـاور دائمـــا بدون عيـــوب • وكانت تستخدم ماء التواليت لافاندر حتى أن هذه الرائحة كانت تنبعث دائما من بشرتها وملابسها وحقيبة يدها كما كانت تصدر عنها رائحة أخرى حمضية لا تكاد تدرك وهي الرائحة الخاصة بها • وكان لها رســـغان جميلان وقدمان جميلان وكانت تلبس أحذية باهظـــة الثمن من جلـــد الماعز عادة وبها زركشة ودانتلا وفيونكة صغيرة فوق وش القـــدم • وكان فمها ذابلا بعض الشيء وصبيـــانيا وناعما وبدون قـــدر كبير من

الشخصية ٠ وكانت قليلة الكلام للغاية ولكنها قد إشتهرت بين شلتها بالطيبة وحب الخير والذكاء أولا لقولها أشياء جميلة فقط عن الناس بل وعن أولئك الذين لا تعرفهم وثانيا لعدم تحدثها على الاطلاق عن فكرة عامة من أى نوع باستثناء العطور أو الطعام ٠ فهى كانت تقابل أفكار الناس الاخرين بابتسامة هادئة كما لو كانت تغفر لهم وجود أفكار لديهم ٠ وحقيقة الامر انها لم تكن تصغى اليهم بانتباه ٠

ولقد بكت ميلدريد مرات عديدة فى غضب عندما كانت ترى ابتسامة أمها التى توحى بأنها تعرف وتغفر وجود تلك الافكار عقب احدى خطب ميلدريد السياسية أو الاقتصادية ٠ وقد اكتشفت الابنة بعد وقت طويل أن أمها لم تكن تستمع على الاطلاق لاية مناقشات ليست لها علاقة بالناس أو الاماكن أو الاشياء المادية ٠ ومن جهة أخرى كانت برنيس لا تنسى مطلقا أية معلومات تفصيلية عن السلع أو الالوان أو الاسعار ٠ اذ كان باستطاعتها أن تتذكر على وجه الدقة المبلغ الذى دفعته ثمنا لقفاز أسود من السويد منذ سبع سنوات ٠ ولقد كانت مغرمة بالقفازات والخواتم ــ أى نوع من الخواتم ٠ كما كانت تحتفظ بمجموعة كبيرة الى حد ما ولكنها كانت تلبس دائما مع أى شيء اخر خاتم الخطوبة الماسى الصغير الخاص بها وأسورة الزواج الذهبية ٠ وهذه الاشياء كانت تخلعها لدى الاستحمام فقط ٠ وكانت تظل لابسة لها لدى قيامها بغسل أمشاطها وفرشاتها فى ماء النشادر فى حوض غسيل الايدى ٠ فماء النشادر ينظف الخواتم ويزيد الماسات الصغيرة لمعانا وبريقا ٠

وكانت حياتها الزوجية بهيجة الى حد ما وكانت معجبة بزوجها ٠ وكانت تظن أنها تعرف نقاط ضعفه وحيله وأساليبه ورغباته ٠ وهى نفسها كانت معوقة بما يعرف بحالة « البرود الجنسى » مما حال بينها وبين تحقيق أى نشوة مع زوجها ، كما كانت تعانى من الحموضة مما كان يمنعها من الحمل بالاطفال الا اذا قامت أولا بتحييد الاحماض فى جسدها صناعيا ٠ وهى قد اعتبرت هاتين الظاهرتين أمرا طبيعيا وأى تعديل لهما يعد أمرا شاذا ولا طعم له ٠ وكانت تتحدث عن النساء من ذوات الرغبة الجامحة بأن تشير اليهن بقولها « ذلك النوع من النساء » وكانت تشعر بالاسف بعض الشيء من أجلهن مثلما تشعر بالاسف نحو المدمنين على تعاطى المخدرات والمواد الكحولية ٠

وهى قد تقبلت الرغبة الجنسية المتفتحة لدى زوجها ثم تدرجت

المسألة وأصبحت تتقبلها وهي على وشك الاغماء ولكن عـدم الرغبـة المستمرة من جانبها قد أدى الى اختناق رغبة زوجها تدريجيا الى أن بدأ يعتقد في النهاية أنه بصدد الوصول الى مرحلة من العمر تكون فيهـا مثل هذه الامور غير ذى بال ٠

ومن حيث أسلوبها في الحياة كانت امرأة قديرة للغاية ٠ اذ كانت تدير منزلا مناسبا ونظيفا ومريحا وتعد وجبات مفيدة ومغذية دون أن تكون لذيذة الطعم ، فهي كانت تعتقد أن التوابل لا لزوم لها لانه قيـل لها منذ فترة طويلة أنها تقوى الرغبة لدى الرجال ٠ ولم يكن ثلاثتهم ـ هي والمستر برتشارد وميلدريد ـ يعانون من أى زيادة في الوزن على الاطلاق ، ربما بسبب سخافة الطعام الذى لا يفتح الشهية ٠

وعرفت برنيس بين صـــديقاتها كواحدة من ألطف الناس الذين تصادفهم طوال حياتك ومن أكثر الناس بعدا عن الانانية وحب الذات وغالبا ما كن يتحدثن عنها كقديسة وهي نفسها كثيرا ما قالت أنهـا سعيدة لانها تحتفظ بألطف الصديقات وأكثرهن اخلاصا في العـالم بأسره ٠ وكانت تحب الزهور وتزرعها وتشذبها وتضع لها المخصبات وتقطفها ٠ وكانت تحتفظ دائمـــا في منزلها بفاظات الزهور حتى أن صديقاتها قلن عن منزلها أنه يشبه « محل بيع الزهور » وكانت ترتب الزهور بنفسها بطريقة رائعة للغاية ٠

وهي لم تكن تتعاطى الادوية ٠ وفي أغلب الاحيان كانت تعاني في صمت من الامساك الى أن تريحها الضغوط المتراكمة ٠ وهي لم يسبق لها على الاطلاق أن مرضت مرضا حقيقيا أو أصيبت باصابة بالغة وبالتالى لم يكن لديها مقياس تقيس به الالم ٠ فمجرد وخـزة في جانبهـــا أو صداع أو ألم غازي تحت قلبها كان يجعلها تقتنع بينها وبين نفسها أنها على وشك أن تموت ٠ وكانت واثقة من أنها ستموت عندما تلد ابنتها ميلدريد حتى أنها رتبت كل شيء لكي تكون سهلة بالنسبة للمسـتر برتشارد بل انها قد كتبت رسالة لا تفتح الا عقب وفاتها تنصــح فيها زوجها بأن يتزوج مرة أخرى حتى يمكن للطفل أو الطفلة أن يحصل على نوع من الام ٠ ومزقت الرسالة فيما بعد ٠

وكان جسدها وعقلها بليدين كسولين ٠ وفي أعماقهـــا كانت تحارب حقدا دفينا على الناس الذين جربوا أشياء جميلة بينما هي قد اجتازت الحياة كسحـابة رمادية في غـرفة رمادية ٠ ونظـرا لقـلة مدركاتها الحقيقية فانها عاشت وفقا لبعض القـــواعد : التعليم حسن

ومفيد • ضبط النفس ضرورى • كل شيء فى وقته ومكانه • الاسفار توسع الافاق • وكانت هذه القاعدة الاخيرة هى التى أرغمتها أخيرا على الذهاب فى أجازة الى المكسيك •

وهى لم تعرف كيف توصلت الى قراراتها النهائية • فقد كانت عملية مطولة وبطيئة قائمة على تلميحات وايعازات واقتراحات وأحداث لا نهاية لها الى أن دفعت كثرتها العددية المسألة الى التحقق فى النهاية فهى فى حقيقة الامر لم تكن ترغب فى الذهاب الى المكسيك ولكنها كانت ترغب فى مجرد العودة الى صديقاتها عقب زيارة المكسيك • أما زوجها فلم تكن لديه الرغبة فى الذهاب على الاطلاق • وهو كان يفعل ذلك من أجل أسرته ولانه كان يأمل فى أن تعود عليه هذه الرحلة بالخير والنفع الثقافى • أما ميلدريد فكانت ترغب فى الذهاب ولكن ليس مع والديها ، اذ كانت ترغب فى مقابلة أناس جدد وغرباء عليها ومن خلال مثل هذه الاتصالات والعلاقات تصبح هى نفسها انسانة جديدة وغريبة • فقد كانت تشعر أن لديها ينابيع هائلة من العاطفة فى داخلها لم يزح عنها الستار • فلربما كانت لديها تلك الينابيع • فكل شخص لديه هذه الينابيع تقريبا •

ورغم أن برنيس برتشارد ترفض الخرافات • فانها كانت تتأثر تأثرا عميقا بالدلائل والتلميحات ، فانهيار الاتوبيس فى وقت مبكر من الرحلة أخافها أو بدا ذلك كنذير سوء لسلسلة من الحوادث التى تفسد الرحلة تدريجيا • وهى كانت حساسة بالنسبة لما يعانيه المستر برتشارد من قلق • ففى الليلة الماضية قالت له وهى مستلقية بدون نوم فى سرير آل شيكوى المزدوج ومصغية لانفاس زوجها المنبعثة فى تنهد « سيتحول هذا الى مغامرة عندما ينتهى • اننى أكاد أسمعك وأنت تتحدث عنه • سيكون هذا أمرا غير عادى يبعث على التسلية والضحك » فقال لها المستر برتشارد « أظن ذلك » •

لقد كان هناك اعزاز ومحبة من نوع معين بين هذين الشخصين ، تكاد تكون علاقة من النوع الموجود بين أخ وأخته • وقد نظر المستر برتشارد الى حالة القصور عند زوجته كامرأة على أنها من سجايا وصفات المرأة الحميدة • وهو لم يكن يخامره أدنى شك بالنسبة لامانتها واخلاصها • اذ كان يدرك فى اللاشعور أنها لا تستجيب للمؤثرات كما كان يدرك فى داخل عقله أن ذلك أمر سليم • وكان يرجع حالة أعصابه وأحلامه المزعجة والالام الحادة التى تظهر أحيانا

في الجزء الاعلى من جوفه الى تناول قدر كبير للغاية من القهـــوة وعدم ممارسة قدر كاف من الرياضة البدنية ٠

وكان معجبا بشعر زوجته الجميل المتموج دائما والنظيف دائما ٠ كما كان معجبا بملابسها النظيفة الخـالية من البقع والتلوث ٠ وكان يحب التهاني التي تتلقاها زوجته على حسن ادارتها للمنزل وعنايتها بأزهارها ٠ لقد كانت زوجة يفتخر بها الانسان وهي قد أنجبت وربت أبنة جميلة ، ابنة جميلة وفي صحة جيدة ٠

فقد كانت ميلدريد فتاة جميلة ، فتاة طويلة ، أطول من أبيهـا ببوصتين وأطول من أمها بخمس بوصات ٠ وقد ورثت ميلـدريد عن أمها العيون البنفسجية والضعف الذى يسرى فيهما ، فهى كانت تلبس النظارة اذا أرادت رؤية شيء بوضوح ٠ وكان جسدها رائع التكـوين ذا ساقين قويتين ورسغين رشيقين قويين ٠ وكان فخـــذاها وردفاهـا متماسكين ومستقيمين وناعمين بسبب كثرة التمرينات الرياضـية ٠ اذ كانت تجيد لعبة التنس وكانت قلب الهجوم فى فريق كرة السلة التابع لكليتها ٠ وكان ثدياها كبيرين ومتماســكين وعريضــين عند القاعدة ٠ وهى لم ترث النكبة الفزيولوجية الموجودة عند أمها ٠ فهى قد مارست الحب مرتين ممارسة تامة وبالغة حد الكمال مما أعـطاها اشباعا هائلا وجعلها تتطلع باستمرار الى ضرورة وجود علاقة دائمة ٠

وكان ذقن ميلدريد ينم عن التصـميم والعزم مثل ذقن والدها ٠ وكان فمها ممتلئا ولينا ومتهيبا بعض الشيء ٠ وكانت تلبس نظـــارة ثقيلة ذات شنبر أسود مما كان يضفى عليها طابع التلميذة ٠ وكانت المفاجأة تعلو دائما وجوه معارفها الجدد لدى رؤيتها فى حفـل راقص بدون نظارة ، وكانت تجيد الرقص اذا تحرت الدقة بعض الشيء ولكنها كانت تمارس الرياضة البدنية وربما كانت تزاول الرقص فى حرص أكثر من اللازم وبدون الاسترخاء الكافى ٠ وكان لديها شيء من الميل نحو الزعامة والقيادة وان كان ذلك أمرا يمكن التغلب عليه عن طريق شريك له معتقدات وحجج قوية مقنعة ٠

وكانت معتقدات ميلدريد قوية أيضا ولكنها كانت قابلة للتغيير ٠ وهى قد تناولت بعض القضايا وكانت عادة قضايا حسنة ٠ وهى لم تفهم والدها على الاطلاق لانه كان يحيرها ويربكها ٠ فعندما تقول له شيئا معقولا ومنطقيا تجد فيه غباء أبكم وعجزا تاما فى مقـدرته على التفكير مما كان يرعبها ٠ ولكنه بعدئذ يقول أو يفعل شيئا ذكيا للغاية

حتى أنها قد تتحول فجأة الى الاتجاه الاخر • فهى عندما كانت تقتنع بانه صورة كاريكاتيرية لرجل أعمال بخيل وحقير وقاس كان يحطم مفهومها الذهني عنه بعمل أو بفكرة تتسم بالكرم والرقة وحسن التمييز والادراك •

ولم تكن تعرف شيئا عن حياته العاطفية على الاطلاق تماما مثلما لم يعرف هو عنها شيئا • وحقيقة الامر أنها كانت تعتقد أن الرجل فى متوسط عمره لا تكون له حياة عاطفية • فقد كانت ميلدريد ــ وهى الفتاة التى بلغت من العمر واحدا وعشرين عاما ــ تشعر أن العصارات والسوائل تجف عند سن الخمسين طالما أن الجاذبية فى تلك الحقبة من العمر تضيع من الرجال والنساء على حد سواء • وهذه حقيقة واقعة لذلك كانت تعتقد أن من المناظر القبيحة أن ترى رجلا أو امرأة فى سن الخمسين فى حالة حب •

ولكن اذا كانت هناك فجوة بين ميلدريد وأبيها فقد كانت هوة سحيقة بينها وبين أمها • فالمرأة التى ليس لها رغبات قوية تتطلب الاشباع لا يمكن أبدا أن تصبح قريبة من نفس فتاة لها رغبات قوية • وكانت هناك محاولة مبكرة من جانب ميلدريد لان تشترك مع أمها فى النشوة الكبرى وتحصل من وراء ذلك على التثبت ولكنها قوبلت بالذهول والحيرة وعدم التوصل الى فهم المطلوب مما دفع ميلدريد الى الانسحاب الى داخل ذاتها • ثم ظلت لفترة طويلة فاقدة الثقة فى أى فرد ومعتقدة أنها فريدة من نوعها وأن جميع النساء الاخريات يشبهن أمها • ومع ذلك فقد تمكنت امرأة شابة ضخمة الجثة قوية العضلات تعلم الهوكى والكرة الرخوة والرماية بالسهام فى الجامعة من كسب ثقة ميلدريد أخيرا • كسبت كل ثقتها ثم حاولت الذهاب معها الى الفراش • ولم تنسج هذه الصدمة من نفسها الا عندما ذهب معها بالفعل الى الفراش طالب فى الهندسة رخيم الصوت وله شعر كالاسلاك •

وبعدئذ أصبحت ميلدريد صامتة لا تفصح عن أفكارها وخططها • وأصبحت تدبر أفكارها بنفسها وانتظرت الوقت الذى تتحرر فيه من والديها اما بالموت أو الزواج أو الحوادث • ولكنها كانت تحب والديها وهى كانت ستخاف من نفسها لو أن رغبتها فى موتهما قد ظهرت على سطح عقلها يوما ما •

ولم يكن هناك على الاطلاق أى ارتباط وثيق بين هؤلاء الثلاثة على

الرغم من المحافظة على الشكليات محافظة تامة . فقد كانوا أعزاء وأحباء وودودين ، ولكن جوان شيكوى وزوجته أقاما علاقة بينهما بشكل منتظم وعلى نحو لا يدرك كنهه المستر برتشارد وزوجته . وكانت صداقات ميلدريد الوطيدة التي تحقق لها الاشباع لا يعرف والداها أى شيء عنها . وكان يجب ألا يعرفا . كان الموقف يتطلب الا يعرفا . اذ كان والدها ينظر الى الفتيات الصغيرات اللائى يرقصن عاريات فى المواخير على أنه لاخلاق لهن . ولكنه لم يكن يتصور أنه وهو الذى شاهد وصفق ودفع النقود للفتيات كان بأى شكل من الاشكال مرتبطا بالفساد والرذيلة .

وهو قد حاول مرة أو مرتين بناء على اصرار من زوجته أن يحذر ميلدريد من الرجال لمجرد أن يعلمها كيف تحمى نفسها . ولقد كان يعتقد ان لديه معلومات وفيرة عن العالم مع أن كل معلوماته كانت عبارة عن الاقوال والروايات التي سمعها علاوة على الزيارة الوحيدة التي قام بها الى منزل اللهو وزيارة المواخير واذعان زوجته له وهو اذعان خال من العاطفة والاستجابة .

وفى هذا الصباح كانت ميلدريد ترتدى سويتر وجونلة مطوية وحذاء منخفضا يشبه الخف . وكان ثلاثتهم يجلسون الى المنضدة الصغيرة فى صالة الطعام . وكان معطف المدام برتشارد المصنوع من فراء الثعلب والذى له ثلاثة أرباع طول معلقا على مشجب بجانب المستر برتشارد . وكان من عادته أن يرعى هذا المعطف وأن يساعد زوجته على ارتدائه ويأخذه منها ويتأكد من أنه قد علق بطريقة سليمة ولم يلق فى اهمال . وكان يربت على زغب الفراء بيده عندما يتضح له انه تعرض للتكسير والدغدغة . وهو قد أحب هذا المعطف وأحب فيه أنه غالى الثمن . وكان يحب أن يرى زوجته مرتدية هذا المعطف وأن يسمع النساء الاخريات وهن يتحدثن عنه فى تأمل ، فالفراء المأخوذ من ثعلب أسود اللون كان نادر الوجود نسبيا ولذلك فهو شيء قيم يمتلكه الانسان ومن ثم كان المستر برتشارد يهتم به اهتماما خاصا . وكان هو أول من يقترح دائما وضعه فى الدولاب مع بوادر الصيف وهو الذى اقترح عدم أخذه الى المكسيك بالمرة . أولا لان المكسيك دولة استوائية وثانيا بسبب وجود العصابات التى قد تسرقه . أما المدام برتشارد فأشارت الى ضرورة أخذه الى المكسيك أولا لانه ينبغى عليهم أن يزوروا لوس أنجلوس وهوليود حيث يرتدى الجميع معاطف من الفراء وثانيا لان الجو بارد للغاية فى المكسيك ليلا

واستسلم المستر برتشارد لرأيها بسهولة اذ كان المعطف بالنسبة له وبالنسبة لزوجته هو البادج الذى يدل على علو مركزهم الاجتماعى وعلى أنهم ناجحون فى الحياة ومحافظون وراسخون ٠

كان المعطف فى تلك الاونة معلقا بجوار المستر برتشارد ٠ فجرى بأصابعه فى مهارة بين الشعر لكى يبعد شعر الوقاية الطويل عن الطبقة الداخلية للمعطف ٠ ولقد سمعوا أثناء جلوسهم الى المنضدة ــ من خلال غرفة النوم ــ هجوم أليس الصارخ الخشن على نورما وصدموا صدمة كبيرة لدى سماعهم السفالة والابتذال الحيوانى فى هجومها مما دفعهم لان يقتربوا من بعضهم البعض بقدر المستطاع ٠ وأشعلت ميلدريد سيجارة متجنبة النظر فى عينى أمها ٠ وكانت قد بدأت تدخن السجائر منذ الشهور الستة الاخيرة أى عندما بلغت سن الواحد والعشرين ٠ وبعد الانفجار الاول لم يطرق الموضوع شفاهة مرة أخرى على الاطلاق ٠ ولكن أمها كانت تعبر عن عدم ارتياحها بتعبيرات من وجهها فى كل مرة تشعل فيها ميلدريد سيجارة أمامها ٠

وكان المطر قد توقف ٠ وكان الماء يتساقط من أشجار البلوط البيضاء فوق السطح ٠ وكانت الارض مبتلة بالماء والتراب معجونا بالمياه وكانت الارض مخضلة ٠ أما الحبوب الممتلئة والثقيلة بفعل البلل وبفعل الربيع الخصيب فقد مالت فى تثاقل الى أسفل تحت وطأة كميات المطر الاخيرة حتى أنها امتدت بعيدا فى تموجات مكدودة وكانت المياه تسيل وتجرى وتبقبق وتندفع لتجد لنفسها أماكن منخفضة فى الحقول ، وكانت الحفر بجانب الطريق الرئيسى المرصوف الخاص بالولاية ممتلئة بالمياه ، بل وكانت المياه تغزو هذا الطريق المرتفع فى بعض الاماكن ٠ وفى كل مكان كان هناك خرير المياه واندفاع المياه ٠ وفقدت جميع نباتات الخشخاش الذهبية أوراق زهورها وأصبحت نباتات الترمس مستلقية ومنتفخة وثقيلة للغاية بحيث لا تقوى على رفع رءوسها ٠

وبدأت السماء تصفو وبدأت المساحة الشاملة للسحب فى التمزق الى قطع فأصبحت هناك مساحات من السماء الصافية المحببة للنفس تتحرك عليها سحب خفيفة بسرعة ٠ وهبت ريح عاتية فى طبقات الجو العليا وأخذت تنشر وتمزج وتنسج السحب مع بعضها البعض كالحصيرة ولكن الهواء على الارض كان ساكنا تماما وكانت هناك رائحة الديدان والحشرات ورائحة الاعشاب المبللة والجذور المكشوفة٠

وجرت المياه فى الحفر الضحلة من منطقة صالة الطعام والجراج فى الريبل كورترز الى الحفرة الكبيرة بجوار الطريق الرئيسى • وكان الاتوبيس يقف لامعا ونظيفا فى طلائه الالمنيوم وكانت المياه مازالت تقطر من جوانبه وزجاجه الامامى الذى ظهرت به خطوط صغيرة من الامطار • وفى داخل صالة الطعام كان الدفء يزيد بعض الشيء عن الوضع الطبيعى •

وكان بيميلز خلف الكاونتر يحاول تقديم العون والمساعدة بانجاز أى عمل • وهو لم يفعل هذا على الاطلاق من قبل • فهو قد التحق بأعمال مختلفة قبل مجيئه للريبل كورترز ولكنه كان دائما يكره العمل وبالتالى يكره مستخدميه • الا أن تجربة الصباح كانت لا تزال قوية التأثير عليه حيث كان لا يزال يسمع صوت جوان فى أذنيه وهو يقول له « كيت • امسح يديك وتبين ما اذا كانت اليس قد أعدت القهوة » لقد كانت أجمل عبارة سمعها فى حياته فأحدثت أعظم تأثير عليه • ولذلك فقد أراد أن يفعل شيئا من أجل جوان • فقام بعصر البرتقال ليقدم العصير لآل برتشارد وحمل القهوة اليهم وكان يحاول الان أن يراقب محمصة الخبز ويقلى البيض على نحو يختلط فيه الصفار بالبياض •

وقال المستر برتشارد « نحن جميعاً سنتناول بيضا مقليا مختلطا البياض بالصفار • فهذا سيسهل الامر أكثر • ويمكنك أن تترك الجزء الخاص بى من البيض فى المقلاة لفترة أطول ليصير جيدا وجافا »

فقال بيميلز « أوكى » وكانت مقلاته ساخنة للغاية وكان البيض يتكتك ويخشخش وتصدر عنه رائحة تشبه رائحة ريش الدواجن المبلل بسبب القلى السريع للغاية •

وكانت ميلدريد قد وضعت ساقا على ساق وهى جالسة • وكانت جونلتها مسحوبة تحت ركبتها على نحو يوحى بانكشاف الجانب البعيد عن بيميلز • فأراد أن يذهب للجانب الاخر لالقاء نظرة • ونظرت عيناه الضيقتان المتحركتان بسرعة نظرات سريعة لا حصر لها نحو المساحات التى سيراها • ووضع خطة فى ذهنه بحيث اذا لم تتحرك هى فان عليه أن يقدم البيض ويضع فوطة صغيرة على ذراعه وبعد أن يضع لهم أطباقهم يتخطى منضدتهم ويستمر فى السير لمسافة عشرة أقدام ويسقط الفوطة كما لو كان ذلك بطريق الصدفة • ثم ينحنى لأسفل وينظر للخلف من تحت ذراعه وعندئذ يكون باستطاعته رؤية ساق ميلدريد •

واحضر فوطه السفرة وراح يمزج البيض ويخلطه بسرعة لكى يتم اعداده قبل أن تتحرك ميلدريد فى جلستها . ولكن البيض كان قد التصق حتى أنه اضطر لان يجرفه من على السطح لكى يترك القشرة المحروقة فى المقلاة . وملأت رائحة البيض المحروق صالة الطعام .
فنظرت ميلدريد لاعلى وشاهدت البريق فى عينى بيميلز ثم نظرت لاسفل ولاحظت ان جونلتها ممسوكة فجذبتها . وراها بيميلز وهى تفعل ذلك دون أن ينظر اليها نظرة مباشرة . وأدرك أنه قد انكشف أمره فاندفعت الدماء الى وجهه وأحس باللسع والوخز فى خديه .
وارتفع دخان أسود من مقلاة البيض كما ارتفع دخان أزرق من محمصة الخبز . فجاء جوان فى هدوء من غرفة النوم وراح يشمم الرائحة فى عمق .
وقال « يا الهى . ماذا تفعل يا كيت ؟! » .
فرد بيميلز فى قلق واضطراب « اننى أحاول تقديم العون والمساعدة بعمل أى شىء » .
فابتسم جوان وقال « حسنا . شكرا لك . ولكن أظن أنه يستحسن ألا تساعد باعداد البيض » ثم تقدم نحو موقد البوتاجاز وأخذ المقلاة الساخنة المليئة بالبيض المحروق ووضعها كما هى فى الحوض وفتح صنبور الماء عليها فأحدثت أزيزا وصفيرا وبقللة لفترة قصيرة ثم خمدت فى توجع تحت الماء .
وقال جوان « ياكيت . اذهب للخارج وحاول تشغيل الموتور . فاذا لم يدر لا تجعله يشرق لان ذلك سيؤدى الى اغراقه فقط . اذا لم يدر الموتور مباشرة اخلع رأس الموزع وجفف أطرافه فلربما قد أصابه بعض البلل . واذا نجحت فى تشغيل الموتور اجعله يدور ببطء لدقائق قليلة وبعد ذلك انقله الى سرعة عالية واجعل العجلات تدور وتلف ولكن احرص على ألا يتخلص الاتوبيس نفسه وينزل من فوق تلك الركائز الخشبية . اجعل الموتور يدور ببطء ودون أن يتحرك الاتوبيس بالفعل » .
فمسح بيميلز يديه وتساءل « أينبغى أن أفتح صمام الزيت أولا لاتأكد من أن وعاء الزيت لا يزال ممتلئا ؟ » .
« نعم . أنت تعرف طبيعة عملك . نعم القى نظرة . فالزيت على المتسلك فى نهاية محور العجل كان سميكا بعض الشىء هذا الصباح »
فقال بيميلز « ولكن الاتوبيس قد يهز نفسه ويهبط من فوق القوائم

الخشبية » وكان قد نسى النظرة الاخيرة على ساق ميلدريد وبدأ يزهو بنفسه بسبب مديح جوان له ٠

« يا كيت ٠ انني لا أتخيل أن يقوم أى انسان بسرقة الاتوبيس٠ ولكن عليك بمراقبته » فضحك بيميلز فى مرح ممزوج بالتملق على نكتة رئيسه فى العمل وخرج من الباب ٠

ونظر جوان عبر الكاونتر وقال للحاضرين « زوجتى ليست على ما يرام الان ٠ ماذا تريدون لاحضره لكم أيها الناس ؟ مزيد من القهوة ؟ » ٠

فقال المستر برتشارد « نعم ٠ لقد كان الولد يحاول أن يقلى بعض البيض فحرقه تماما ٠ زوجتى تحب البيض غير ناضج تماما » فاستدركت مدام برتشارد « أحبه كذلك اذا كان طازجا » ٠

فقال المستر برتشارد « اذا كان طازجا ٠ وأريد البيض الخاص بى جافا » ٠

فقال جوان « البيض طازج وعلى ما يرام ٠ طازج لانه خارج لتوه من الثلج »

فقالت مدام برتشارد « لا أظن أننى أستطيع تناول بيض مخزون فى الثلج » ٠

« حسنا هذه هى حالة البيض ٠ فلن أكذب عليكم »

فقالت مدام برتشارد « سأتناول فطيرة فقط » ٠

وقال المستر برتشارد « وأنا أريد نفس الشىء » ٠

ونظر جوان نظرة جريئة مكشوفة مليئة بالاعجاب الى ساقى ميلدريد ٠ ونظرت هى اليه فارتفعت عيناه تدريجيا من فوق ساقيها وامتلأت عيناه السوداوان بمتعة كبيرة للغاية وظهر فيها الاعجاب بكل صراحة ودون مواربة حتى أن ميلدريد احمر وجهها خجلا بعض الشىء ودبت الحمى والسخونة فى كيانها وخارت قواها وشعرت بهزة كهربائية ٠

وأشاحت بنظرها بعيدا عنه وقالت « أظن أننى بحاجة الى مزيد من القهوة ٠ وسأحتاج أيضا الى فطيرة » ٠

فقال جوان « لم يتبق سوى فطيرتين فقط ٠ سأحضر لكم فطيرتين وقوقعة حلزونية من الحلوى ويمكنكم أن تتصارعوا على هذه الاشياء » ٠

ودبت الحركة فجأة فى موتور الاتوبيس بالخارج وبعد برهة قصيرة انخفضت سرعته الى هدير خفيف ٠

فقال جوان « صوت الاتوبيس على مايرام » وخرج أرنست هورتون

فى هدوء من باب حجرة النوم فى خفية بعض الشيء وأغلق الباب وراءه وسار الى أن وصل الى المستر برتشارد ووضع الستة لفائف على المنضدة وقال « هاك ستة منهم » .

فانتزع المستر برتشارد حافظة نقوده وتساءل « أمعك فكة ورقة فئة العشرين دولار ؟ »

فضغط جوان على الزر المكتوب عليه « ليس للبيع » فى الة تسجيل النقود ورفع العجلة فى قسم الفواتير وقال :

« باستطاعتى أن أعطيك ورقتين من فئة العشرة دولارات »

فقال ارنست هورتن « هذا يفى بالغرض المطلوب » فأنا معى دولار أو نحو ذلك وأنت مدين لى بتسعة دولارات » وأخذ ورقة من فئة العشرة دولارات وأعطى المستر برتشارد دولارا .

فتساءلت مدام برتشارد « ما هذه الاشياء ؟ » .

والتقطت واحدة منها . فجذبها زوجها بسرعة من يدها . وقال لها فى غموض « لا تأخذيها » .

« ولكن ما هذه الاشياء » .

فقال المستر برتشارد فى مداعبة « ذلك أمر أعرفه أنا . ولن يمضى وقت طويل حتى تعرفيه » .

« أوه . أهى مفاجأة ؟ » .

« هذا صحيح ، وعلى الفتيات الصغيرات عدم التدخل فيما لا يعنيهن » وكان المستر برتشارد يسمى زوجته دائما « الطفلة الصغيرة» عندما يود المزاح معها مما كان يجعلها تتحول تلقائيا الى نفس المزاح عند زوجها فتصير لعوبة هى الاخرى .

فسألته « ومتى ترى الفتيات الكسولات اللائى بدون عمل الهدايا الجميلة ؟ » .

فقال « ستعرفين » وحشى اللفائف المنبسطة فى جيبه الجانبى . وأراد أن يدخل عليها وهو يعرج عندما تحين له الفرصة . وقرر أن يدخل تغيرا من عندياته على هذه الخدعة . اذ سيدعى أن قدمه محتقنة الى حد كبير بحيث لا يستطيع أن يخلع حذاءه وجوربه بنفسه وسيجعل زوجته تخلع له جوربه . ويا لها من اثارة عظيمة وهو يرقب وجهها . ستكون على وشك الاغماء عندما ترى قدمه المحتقنة .

وسألته فى ضيق بعض الشيء « ما هذه الاشياء يا اليوت ؟ » .

« ستعرفين . ولا داعى لان تضايقى نفسك يا فتاتى الصغيرة » .

واستأنف الحديث مع أرنست « اسمع • لقد خطرت لى توا فكرة جديدة • سأقولها لك فيما بعد » •

فقال أرنست « نعم • ان هذا هو ما يجعل العالم يفور بالحيوية والتجديد • فأنت تتوصل الى فكرة جديدة وتتسلط الفكرة على عقلك• وأنت تريد أن تحدث تغييرا جذريا ولكن المسألة مجرد فكرة بسيطة تشبه ما يسمونه في هوليود بتغيير فى خط السير • فأنت تأخذ أحد الاشياء التى حققت نجاحا ماديا وتدخل عليهـا التغيير • وهو تغيير ليس كبيرا للغاية ولكنه تغيير بالقدر الكافى وعندئذ تكون قد حصلت على شيء جديد » •

فقال المستر برتشارد « ان ذلك أمر معقول ومنطقى » •

فقال ارنست « ان مسألة الافكار الجديدة غريبة ومدهشة » •

ثم جلس على كرسى بدون مسند ووضع ساقا على ساق واستطرد قائلا « فلقد توصلت الى نوع من الابتكـار وتوهمت أننى سـأجلس لاحصى أرباحى ولكننى كنت مخطئا فى أوهامى هذه • ان هناك عـددا كبيرا من الاشخاص يسافرون كثيرا مثلى هنا وهناك ويعتمـدون فى حياتهم على الحقيبة • حسنا وربما يكون هناك اجتماع أو مؤتمر يتعين عليك أن تحضره أو ربما يكون أمامك موعد جميل ، عندئذ فأنت تحب أن تكون مرتديا جاكيت توكسيدو للسهرة حسنا ، فأنت اذا وضعت هذه الجاكيت فى حقيبة السفر فانها تشـغل حيزا كبيرا وربمـا لا تستخدمها سوى مرة واحدة أو مرتين طوال الرحلة • حسنا ، من هنا جاءت لى الفكرة • افترضت أن يأخذ المسافر معه بدلة جميلة قاتمة تصلح للاعمال ـ يكون لونها كحلى غامق أو تكاد تكـون سـوداء أو اكسفورد ـ وافترضت أن يكون لهذه البدلة أغطية من الحرير تشبه الاهداب الصغيرة والاشرطة الحريرية التى تمسـك بالبنطلون • ففى فترة ما بعد الظهر تكون لديك بدلة داكنة جميلة ثم تنـزل الاغطيـة الحريرية الى الاهداب المزركشة وتربط الاشرطة وعنـدئذ يكون لديك جاكيت توكسيدو • ولقد فكرت أيضا فى كيس صغير لوضعها فيه »

فصاح المستر برتشارد « يا لها من فكرة رائعة ، اننى أقول لك أننى قد اضطررت لتخصـيص مكان فى حقيبتى من أجـل جـاكيت توكسيدو • ويهمنى أن أعرف شيئا من هذا القبيل • ولو أنك أعددت العدة لهذا الابتكار ونظمت حملة دعائية على المستوى القومى فلربمـا نستطيع الحصول على موافقة أحد نجوم السينما الكبار على هذه الفكرة »

فرفع أرنست يده وقال « وهذا بالضبط هو ما تخيلته • ولكننى

كنت مخطئا وأنت على خطأ أيضا • لقد رسمت كل شيء على الورق وكيف ان العملية ستسير على ما يرام وكيف أن ساق البنطلون سيكون لها عروات صغيرة جدا من الحرير من أجل المشابك وبعدئذ تصادقت مع شخص يسافر ويجوب البلدان من أجل التسويق لمحلات كبيرة تبيع الملابس » ثم ضحك أرنست واستطرد قائلا :

« وهذا الصديق أوضح لى الموقف على وجه السرعة فقال لى :

أنت بهذه الطريقة تعاقب المحلات الكبرى عقابا قاسيا • انهم يبيعون التوكسيدو فى أى مكان بسعر يتراوح بين ٥٠ و ١٥٠ دولارا أمريكيا • وأنت تجيء بأفكار جديدة لتبيع التوكسيدو بمبلغ بسيط تافه لا يتعدى عشرة دولارات • انهم سيطردونك من المنطقة بأقصى سرعة » •

وهنا أومأ المستر برتشارد فى حزم وقال « نعم ، اننى أدرك الموقف الان • انهم يعملون على حماية أنفسهم وحماية المساهمين » •

وقال أرنست « وكنت قد تصورت أننى سأجلس لاحصى أرباحى • وتخيلت أن الشخص الذى يسافر بالطائرة مثلا تواجهه مسألة عدم تخطى حقائبه لوزن معين وأن ذلك الشخص لديه كل الحق فى أن يوفر مكانا فى حقيبة سفره • فالمسالة تبدو كأنها بدلتان تأخذان وزن بدلة واحدة • وبعدئذ تصورت أن شركات المجوهرات ربما تشترى الفكرة مجموعة من أزرار الزينة وأزرار كم القميص وطيات الجاكيت والاساور كلها فى عبوة جميلة • وأنا لم أبدأ فى تنفيذ فكرتى هذه ولم أسترشد برأى أى شخص ولم أقم بالدعاية اللازمة حتى الان • فلربما لا يزال بها شيء ما »

فقال المستر برتشارد « الامر يستلزم أن نجلس سويا لنتباحث الامر جيدا • هل سجلت هذه الفكرة ؟ »

« حسنا ، لا • فأنا لم أرغب فى الدخول فى النفقات قبل أن أعثر على شخص تستهويه الفكرة » •

فقال المستر برتشارد « أوه • أظن أنك على حق •• مصاريف المحامين وغير ذلك يكلف قدرا من المال أنت على حق » •

ثم غير موضوع الحديث وسأل جوان « متى سنبدأ الرحيل » •

« حسنا • الاتوبيس الجريهاوند سيصل الى هنا حوالى الساعة العاشرة • وهذه الاتوبيسات تحضر لنا بضائع بشكل منتظم كما تحضر لنا بعض المسافرين • لذلك ينبغى علينا أن نبدأ الرحيل فى العاشرة والنصف وهذا هو جدول المواعيد • هل لى أن أحضر لكم أيها الناس

أى شيء اخر ؟ هل احضر المزيد من القهوة ؟ .

فقال المستر برتشارد « أريد قدحا اخر من القهوة » فأحضر له جوان القهوة . ونظر الى الخارج من النافذة فرأى الاتوبيس الذى تدور عجلاته فى الهواء . ونظر المستر برتشارد الى ساعته وقال « لا يزال أمامنا ساعة من الزمن » .

وجاء رجل طويل منحنى الظهر كبير فى السن من حول جانب المبنى . وهو الرجل الذى كان قد نام فى سرير بيميلز . ثم فتح الباب المؤدى الى صالة الطعام ودخل الى الصالة وجلس على كرسى بدون مسند . وكان رأسه منحنيا باستمرار نحو الامام على جذع رقبته حتى أن أرنبة أنفه كانت تشير مباشرة نحو الارض . وكان قد تخطى سن الستين بكثير . وكان حاجباه متدليين فوق عينيه تماما مثل حاجبى كلب صيد من نوع « سكاى » . وكانت شفته العليا الطويلة ذات المجرى العميق مرفوعة فوق أسنانه مثل زلومة الحلوف الصغيرة وبدا طرف سنته الوسطى كأنه ممسوك . أما عيناه فلها لون ذهبى ممزوج باللون الاصفر مما جعله يبدو متوحشا .

وقال بدون أى مقدمات تمهيدية « اننى لا أستريح لذلك وبالامس لم أسترح لما حدث عندما تعطل الاتوبيس . وشعورى بالقلق متزايد اليوم أكثر من الامس » .

فقال جوان « لقد أصلحت آلات الجر الخلفية للاتوبيس ، وهو يدور الان بشكل لائق » .

فقال الرجل « يبدو أننى سألغى رحلتى وأعود الى سان يسيدرو فى الاتوبيس الجريهاوند » .

« حسنا . باستطاعتك أن تفعل ذلك » .

فقال الرجل « لقد جاءنى شعور معين . كل ما فى الامر أننى غير مرتاح لذلك . فهناك شيء ما يحذرنى من الاخطار وسبق له أن أنذرنى مرتين من قبل ولم أهتم لتحذيره فوقعت فى المتاعب » .

فقال جوان وقد ارتفع صوته قليلا فى ضيق وتبرم « ان الاتوبيس على ما يرام » .

فقال الرجل « اننى لا أتحدث عن الاتوبيس . اننى أعيش فى هذه المقاطعة ومن أهالى هذه المنطقة . فالارض تمتلىء بالمياه مما يجعل نهر سان يسيدرو يفيض بالماء . وأنت تعرف كيف يفيض نهر سان يسيدرو . فهو من تحت منطقة بيكو بلانكو ينزل حتى منطقة لون بين كانبون فى شكل عروة كبيرة . والارض تصبح مليئة بالمياه . وكل

قطرة من الماء تجرى لتصب في نهر يسيدور • وهو الان سيكون هائجا مائجا » •

وبدأت دلائل الذعر تظهر على وجه المدام برتشارد فتساءلت : « اتظن أن هناك أخطارا ؟ »

فقال الرجل « لدى احساس بالخطر • فقد كان الطريق القديم يدور عادة حول تلك العروة من النهر ولا يعبرها مطلقا • ومنذ ثلاثين عاما ظهر لنا المستر « تراسك » وتحايل الى أن أصبح رئيسا لهيئة الطرق في هذه المقاطعة ولما كان الطريق القديم غير ملائم بالنسبة له فقد انشأ اثنين من الكبارى ليوفر ماذا ؟ ليوفر اثنى عشر ميلا فقط • هذا هو كل ما وفره • وتكلف انشاء الكوبريين سبعة وعشرين الف دولار من ميزانية المقاطعة • لقد كان المستر تراسك لصا وغشاشا » •

ثم أدار رقبته المتخشبة وراح يرقب آل برتشارد •

واستطرد قائلا « لص • وغشاش • .وبينما كانت أصابع الاتهام تشير اليه في عملية أخرى مات • مات منذ ثلاث سنوات • مات بعد أن أصبح رجلا غنيا • وخلف وراءه ولدين في جامعة كاليفورنيا يعيشان الان على النقود التى قدمها دافعو الضرائب » •

ثم توقف عن الحديث وتحركت شفته العليا من جانب لاخر فوق أسنانه الطويلة الصفراء واستطرد قائلا « واذا تعرض هذان الكوبريان لاى ضغوط حقيقية فانهما سيتداعيان لان الخرسانة المسلحة ليست قوية بالقدر الكافى • ساضطر لالغاء رحلتى والعودة الى سان يسيدور » •

فقال جوان « لقد كان النهر على ما يرام أمس الاول • لم تكن به مياه الا فيما ندر » •

« أنت لا تعرف نهر سان يسيدور • فهو يمكن أن يرتفع خلال ساعتين • لقد سبق لى أن رأيته وقد وصل اتساعه الى نصف ميل وتغطى بالابقار والدواجن الميتة • لا • اننى لن أسافر طالما سيطر على هذا النوع من الاحساس • ومع كل ذلك فأنا لست من المؤمنين بالخرافات والخزعبلات » •

« أتظن أن باستطاعة الاتوبيس اجتياز الكوبرى ؟ •

« اننى لا أقول ما أظنه • لقد كان تراسك لصا وغشاشا • وخلف وراءه رأسمال قدره ٣٦٫٥٠٠ دولار وولداه اللذان يتعلمان فى الكلية ينفقان من هذا المال فى اسراف شديد » •

وخرج جوان من خلف الكاونتر واتجه الى تليفون الحائط وقال

« هالو • اعطنى محطة خدمة السيارات الخاصة بالسيد « بريد » على خط طريق سان جوان • انني لا أعرف رقم التليفون » وانتظر برهة ثم استطرد « هالو • أنا شـــيكوى أحدثك من الريبل كورنرز • كيف حال النهر ؟ أوه • صـــحيح ؟ • حسنا • اوكى • ســـاراك بالسرعة الكافية » ثم وضع جوان السماعة وقال شارحا الموقف « النهر مرتفع بعض الشيء وهم يقولون أن الكوبرى على ما يرام » •

« من الممكن أن يرتفع ذلك النهر بمعدل قدم عن كل ساعة عندما تغرق الامطار الغزيرة الفجائية منطقة بين كانون ومن المحتمـــل أن يتداعى الكوبرى لدى وصولك الى هناك » •

فنظر اليه جوان فى شيء من الضيق وقال « ماذا تريدنى أن أفعل ؟ هل أؤجل الرحلة ؟ » •

« تصرف كما يحلــو لــك • كل ما فى الامر أننى أريد أن ألغى رحلتى وأعود أدراجي الى ســـان يســـيدور • فأنا لن أقدم على هذا النوع من العبث • فأنا ذات مرة كان عندى شعور كهذا ولم أهتم بهذا الشعور فكانت النتيجة أن كسرت ساقاى الاثنتان • لا • ياسيدى • لقد هبط على هذا الشعور عندما تعطل أتوبيسك بالامس » •

فقال جوان « حسنا اعتبر نفسك ملغيا من الان » •

« ان ذلك هو ما أريده يا سيدى • فأنت لست قديم العهـد فى هذه المنطقة ، وأنت لا تعرف ما أعرفه أنا عن تراسك • مرتبه السنوى ١٥٠٠ دولار ومع ذلك فقد خلف وراءه ثروة تبلـــغ ٣٦٫٥٥ دولار ووثيقة صريحة بامتلاك ١٦٠ فدانا من الاراضى • تصور هذا !! »

فقال جوان « حسنا • سأعمل على أن تعود عن طريق أتوبيس الجريهاوند » •

« حسنا • اننى لا أهدف الى تشويه سمعة تراســـك • ولكننى أقص عليك الحقيقة فقط • ويمكنك أن تتخيل وتحسب هذه المسألة بنفسك ، ٣٦٥٠٠ دولار » •

وتساءل ارنست هورتن « ولنفرض أن الكوبرى تداعى ؟ »

فقال جوان « عندئذ لن نعبر عليه » •

« وعندئذ ماذا سنفعل ؟ هل نلف ونعود أدراجنا ؟ »

فقال جوان « أكيد • اما أن نفعل ذلك واما أن نقفز الى الضـــفة الاخرى » •

فابتسم الرجل المنحنى وهو ينظر فيما حوله فى الغرفة وقد اعتراه شعور بالانتصار • وقال « أتفهمون الموقف ؟ ستعودون أدراجكم الى

هنا وعندئذ سوف لا يكون هنا أتوبيس متجه الى سان يسيدور • والى متى ستقبعون هنا في هذه المنطقة ؟ لشهور ؟ تنتظرونهم لحين بناء كوبرى جديد ؟ أتعرفون من هو رئيس هيئة الطرق الجديد ؟ ولد جامعي • تخرج حديثا في الكلية • كل الكتب ولا خبرات • باستطاعته أن يرسم كوبرى ويضع التصميمات له ولكن هل باستطاعته تشييد كوبرى ؟ سوف نرى • »

فضحك جوان فجأة وقال « حسنا • الكوبرى القديم لم تكتسحه المياه بعد ومع ذلك فأنت من الان قلق على الكوبرى الجديد الذى لم يتم انشاؤه بعد » •

فأدار الرجل رقبته التى ينبعث منها الالم من جانب لاخر • وتساءل « هل ستلجأ للوقاحة وقلة الادب ؟ » •

وللحظة بدا ضوء أحمر كأنه يتوهج في عينى جوان السوداوين وقال « نعم • لا تقلق • سأجعلك تستقل اتوبيس الجريهاوند • فأنا لا أريد أن آخذك معى فى هذه الرحلة » •

« حسنا • ليس باستطاعتك أن تركلنى بعيدا • فأنت سائق للنقل العمومى » •

فقال جوان فى اعياء « وهو كذلك • اننى أتعجب أحيانا من الاسباب التى تجعلنى احتفظ بالاتوبيس • وربما لا أحتفظ به لفترة أطول من ذلك • فهو لا يجلب سوى وجع الدماغ • هبط عليك احساس • كلام فاض وجنون وسخافات » •

وكانت برنيس تتابع سير هذه المناقشات بانتباه شديد • وقالت « اننى لا أؤمن بهذه الامور • ولكنهم يقولون أن موسم الجفاف قد حل الان فى المكسيك وأنه يشبه الخريف وأن المطر يكون هناك فى فصل الصيف » •

فقالت ميلدريد « يا الهى • المستر شيكوى يعرف المكسيك معرفة جيدة • فقد ولد هناك » •

« أوه • هل ولدت هناك ؟ حسنا • انه فصل الجفاف • أليس كذلك ؟ » •

فقال جوان « فى بعض الاماكن • وأظن أنه موجود فى المنطقة التى ستسافرون اليها • فهناك أماكن أخرى لا تشهد أى فصل جفاف على الاطلاق » •

وسلك المستر برتشارد صوته وقال « اننا ذاهبون الى مكسيكو سيتى والى بوبلا وبعد ذلك الى كوزتفاكا وتاسكو وقد تشمل الرحلة

أكابالكو كما سنذهب الى البركان اذا كانت الاحوال على ما يرام » .
فقال جوان « ستكونون على ما يرام » .
فتساءل المستر برتشارد « أتعرف تلك الاماكن ؟ » .
« بالتأكيد » .
فقال المستر برتشارد « وما هي حالة الفنادق ؟ أنت تعرف ما تقوله شركات السياحة — كل شيء رائع وممتاز . فما هى حالة الفنادق فى حقيقة الامر ؟ » .
فقال جوان مبتسما « رائعة ممتازة . انها عظيمة . فالافطار يقدم فى السرير كل صباح » .
فقال المستر برتشارد « انني لم أقصد أن أتسبب فى المتاعب فى هذا الصباح » .
« أكيد . فالامور على ما يرام » ثم استند بذراعيه على الكاونتر وتحدث في سرية « فى بعض الاحيان يفيض بى الكيل بعض الشيء . فأنا أقود ذلك الاتوبيس اللعين ايابا وذهابا وايابا وذهابا . وأحيانا أحس بالرغبة فى أن أتجه بالاتوبيس رأسا صوب التلال . لقد قرأت عن قائد زورق للنقل فى نيويورك انطلق خارجا فى عرض البحر ذات يوم ولم يسمعوا عنه أى أخبار بعد ذلك على الاطلاق . وربما غرق وربما احتجز فوق احدى الجزر فى مكان ما . انني أشعر بأحاسيس ذلك الرجل وأفهمه تماما » .
وفى الخارج هدأت سيارة نقل كبيرة — حمراء اللون ولها مقطورة — من سرعتها فوق الطريق الرئيسى ونظر سائقها للحظات فحرك جوان يده بسرعة من جانب لاخر فانطلقت سيارة النقل على السرعة الثانية ثم أخذت سرعتها وذهبت بعيدا .
فقال المستر برتشارد « ظننت أنه كان قادما الى هنا » .
فقال جوان « انه يحب الفطير المحشو بالتوت الافرنجى . وهو معتاد دائما على التوقف هنا عندما يكون لدينا شيء منه . وقد أخبرته أنه لا يوجد عندنا أى قدر منه » .
وكانت ميلدريد تنظر الى جوان فى اعجاب شديد . فهناك شيء ما فى هذا الرجل الاسمر ذى العينين الغريبتين الدافئتين أحدث تأثيرا عليها مما جعلها تنجذب نحوه . وأرادت أن تجذب انتباهه .. انتباهه الخاص نحوها . فألقت بكتفيها الى الخلف فارتفع ثدياها فى نهود .
وسألته « ولماذا تركت المكسيك ؟ » .. ثم خلعت نظارتها لكى يراها بدون نظارة أثناء اجابته على سؤالها . واستندت على المنضدة ووضعت اصبع السبابة على ناحية عينها اليسرى وجذبت البشرة وجفن

العين للخلف مما غير من بؤرة عينها • واستطاعت بهذه الطريقة رؤية وجهه في مزيد من الوضوح • وأعطى هذا أيضا عينيها شكلا مستطيلا تطل منه رقة المشاعر والاحاسيس • وكانت عيناها جميلتين •

- فقال لها جوان « لست أدرى السبب الذى جعلنى أغادر المكسيك» وبدت عيناه الدافئتان كأنهما تحدقان بها وتعانقانها • فشعرت ميلدريد بالضعف والتفكك يسرى فى كل كيانها وقالت لنفسها « يتعين على أن أكف عن هذا • فهذا جنون » • وتكونت فى ذهنها صورة سريعة لها طابع جنسى •

وقال جوان « الناس هناك في الجنوب اذا لم يكونوا أغنياء يتعين عليهم أن يبذلوا جهدا مضنيا للغاية فى العمل ويحصلوا من وراء ذلك على قدر ضئيل جدا من المال • وأظن أن ذلك هو السبب الرئيسى الذى جعلنى أغادر المكسيك » •

فقالت برنيس برتشارد « أنت تتكلم الانجليزية على نحو جيد للغاية » كما لو كانت تهنئه على ذلك •

« ولم لا ؟ لقد كانت أمى ايرلندية • وبذلك اكتسبت اللغتين فى آن واحد » •

فتساءل المستر برتشارد « هل أنت مواطن مكسيكى ؟ » •

فقال جوان « أظن ذلك • فأنا لم أفعل شيئا فى هذا الموضوع على الاطلاق » •

فقال المستر برتشارد « انها لفكرة طيبة أن تستخرج الاوراق التى تتقدم بمقتضاها للحصول على الجنسية الامريكية » •

« ولاى شىء ؟ »

«انها فكرة طيبة »

فقال جوان « المسألة سيان لدى الحكومة • ففى استطاعتهم أن يفرضوا على الضرائب وباستطاعتهم أن يفصلونى ويطردونى » •

فقال المستر برتشارد « انها ما زالت فكرة حسنة الى حد ما » •

وكانت عينا جوان تلعبان مع ميلدريد ، تتحسسان صــــدرها وتنزلقان فوق ردفيها • ورآها تتنهد وتتألم وتقوس ظهـرها بعض الشىء فتحرك فى أعماق جوان شيطان الكراهية • ولم يكن تحركه بقوة كبيرة لانه لم يكن هناك قدر كبير من الكراهية عنده ولكن الدماء الهندية كانت هناك ، وفى الماضى المظلم تكمن الكــراهية للاوجس كلاروس Ojos Claros ، الكراهية للعيون غير السوداء والكراهية للبشرة

الشقراء • لقد كانت كراهية وخوف من البشرة ومن النـــاس ذوى العيون غير السوداء الذين أخذوا على مدى السنين والاجيـــال أعـظم الاراضي وأفضل الجياد واجمل النساء • وشـــعر جوان بالتحرك فى داخله مثل وميض البرق الحرارى وشعر بحدة النشوة عندما شعر أن باستطاعته أن يأخذ هذه الفتاة ويعتصرها ويغتصبها اذا رغب فى ذلك اذ كان بمقدوره أن يثيرها وينتهكها عقليا وجسمانيا ثم بعــدئذ يلقى بها بعيدا • وتحركت القســـوة فى داخله بعد أن ترك لها العنـــان لتتصاعد فى أعماقه • وصار صوته أكثر رقة وأشد رخامة وتحـدث مباشرة فى عيني ميلدريد البنفسجية •

وقال « وطنى • حتي ولو لم أكن أعيش فيه فهو موجود فى قلبى» وضحك فى نفسه على هذا القول ولكن ميلدريد لم تضحك • وانحنت للامام قليلا وجذبت للخلف ركنى عينيها لكى تتمكن من رؤية وجهه فى مزيد من الوضوح •

وقال جوان « أننى أذكر بعض الاشياء • ففى الميدان الخـــاص بمدينتى كان يوجد كتبة عموميون لكتابة الخطابات وكانوا يقومـون بكل العملية من أجل الناس الذين لا يعرفون القراءة والكتابة • لقـد كانوا رجالا طيبين وكان ينبغى أن يكونوا كذلك • ولو لم يكونوا طيبين لادرك الناس الريفيون ذلك • فأولئك الناس ساكنى التلال يعرفون أشياء كثيرة • وانى لاذكر ذات صباح عندما كنت ولدا صـغيرا أننى كنت جالسا عند الشاطىء ، وكانت هناك احتفالات دينية فى هــذه المدينة تخليدا لذكرى أحد القديسين • وكانت الكنيسة مليئة بالازهار وكانت توجد قوائم من الحلوى وعجلة كبيرة تتدلى من اطارها مقـاعد ثقيلة وكانت توجد أرجوحة الخيول الخشبية•وطوال الليل كان الناس يطلقون الصواريخ الملونة الصاعدة الىعنانالسماء للقديس. وفىالميدان جاء رجل هندى الى كاتب الخطابات وقال)أريد منك أن تكتب رسالة الى الحارس على أموالى • سأخبرك بما يقال وأنت تضع الكلام فى اسلوب جميل لكى لا أكون فظا فى تعبيراتي) فسأله الكاتب (أهى رســالة طويلة؟) فقال الرجل الهندى (لست أدرى) فقال الكاتب (سيكلفك ذلك ريالا مكسنيكيا). فدفع له الرجل الهندى الضئيل الجسم الاحمر وقال له (أريد منك أن تقول للحارس على أموالى أننى لا أســتطيع العودة الى حقولى وقريتي لانني رأيت هنا جمالا عظيما ويجب أن أقيم بجوار هذا الجمال • وأخبره أننى آسف وأننى لا ارغب فى أن اسبب

له الآلام ولا لاصدقائي أيضا . ولكنني لا أستطيع العودة . فانا الان شخص مختلف وأصدقائي لن يعرفونني . سأكون تعيسا في الحقل وسأكون قلقا متململا . ولانني سأكون مختلفا عن ذي قبل فان أصدقائي سيرفضونني وسيكرهونني . لقد شاهدت النجوم وحسبت الطالع . قل له ذلك . وقل له أن يعطي الكرسي الخاص بي لاخي الصديق ويعطي الخنزير الخاص بي وكذلك الخنزيرتين الصغيرتين الى المرأة العجوز التي جلست الى جواري أثناء مرضي بالحمى . أما الاواني الخاصة بي فتعطى لزوج أختي ، وقل للحارس على أموالي أن يرعى الله ولتكن أعماله متمشية مع الجمال والبهاء . قل له ذلك) » .

وتوقف جوان وتلاحظ له أن شفتي ميلدريد كانتا منفرجتين قليلا وادرك أنها نظرت الى قصته على أنها ترمز اليها .

وتساءلت « وماذا حدث له ؟ » .

فقال جوان « لقد رأى أرجوحة الخيول الخشبية فسيطرت على وجدانه ولم يعد باستطاعته أن يتركها . ونام بجوارها . ونفذت نقوده بعد فترة قصيرة وأصبح على وشك الموت جوعا ، وعندئذ سمح له صاحب الارجوحة أن يشغل ذراع الكرنك الخاص بالارجوحة والذي يجعلها تدور وقدم له الطعام . وهو لن يستطيع ترك هذا العمل فقد أحب أرجوحة الخيول الخشبية . وربما لا يزال هنالك الى الان » .

وكان جوان قد أصبح غريبا في حديثه حيث اعترى كلامه مسحة من لكنة أجنبية .

وتنهدت ميلدريد في عمق . وقال المستر برتشارد :

« دعني أفهم الموقف بشكل أوضح . هل تخلى الرجل عن أرضه وعن كل ممتلكاته ولم يعد لوطنه على الاطلاق لانه رأى أرجوحة الخيول الخشبية ؟ » .

فقال جوان « انه لم يكن يمتلك أرضه . فصغار الهنود لا يمتلكون أبدا أراضيهم الخاصة بهم . ولكنه تخلى عن كل شيء اخر كان يمتلكه »

وحدقت ميلدريد والدها بنظرها . فقد كانت هذه احدى المرات التي وجدته فيها غبيا الى حد الغثيان . لماذا لم يتمكن من ادراك عنصر الجمال في هذه القصة ؟ وعادت عيناها الى جوان لتخبره في صمت أنها قد فهمت المعنى وظنت أنها رأت شيئا في وجهه لم يكن متواجدا من قبل . ظنت أنها رأت هناك في وجهه انتصارا قاسيا تشع منه سوء النية ، ولكنها اعتقدت أن الامر قد يكون مرجعه الى ضعف الابصار في

عينيها . عيناها اللعينتان اللتان لا تستطيعان الرؤية بوضوح تماما .
ولكن ما شاهدته كان بمثابة صدمة لها . فنظرت بسرعة الى والدتها
وبعدئذ الى والدها لتعرف ما اذا كانا قد أدركا شيئا أم لا ، ولكنهما
كانا ينظران الى جوان نظرات تدل على البلاهة ونقص الذكاء .

وكان والدها يقول بطريقته البطيئة التى تجعلها تفقد صوابها
« انني أستطيع أن اتصور كيف أن ارجوحة الخيول الخشبية بدت
جميلة فى ناظريه لو أنه لم يشاهد على الاطلاق من قبل أرجوحة خيول
خشبية . ومع ذلك فالانسان يتعود بطبيعته على أى شيء . فباستطاعته
أن يعتاد على قصر فى أيام قليلة معدودة وبعد ذلك يتطلع الى شيء اخر »

فقالت ميلدريد بقدر كبير من الوحشية والغلظة حتى أن والدها
أدار عينيه المليئتين بالدهشة نحوها « أنها مجرد قصة » .

وكانت ميلدريد تكاد تشعر بأصابع جوان على فخذيها فتتخدر
جسدها بالرغبة والاثارة . وثار غضبها على والدها كما لو كانت قد
قوطعت فى ذروة النشوة . ولبست نظارتها ونظرت بسرعة نحو جوان
ثم أشاحت بنظرها بعيدا لان عينيه كانتا محجبتين رغم انه كان ينظر
اليهم جميعا . فقد كان مستمتعا بنوع من الانتصار . اذ كان يضحك
عليها ويضحك أيضا على الشيء الذى كان يحدث دون أن يعرفه والدها
ووالدتها . وفجأة تصلبت رغبتها واتخذت شكل العقدة فى معدتها
فآلمتها معدتها وشعرت بالتحول فى انفعالاتها وخيل اليها أنها على وشك
الوقوع فريسة للمرض .

وقال أرنست هورتن « لقد كانت لدى الرغبة دائما فى أن أسلك
طريق المكسيك جنوبا . وأعتقد أنه ينبغى على أن أطلب من المكتب
الرئيسى التصريح لى بذلك فى وقت ما . فلربما أتمكن من القيام
ببعض الاتصالات الهامة هناك . انني أحب تلك الاعياد الدينية الخاصة
بهم . وهم يبيعون الهدايا التذكارية . أليس كذلك ؟ » .

فقال جوان « بالتأكيد . فهم يبيعون مسبحات صغيرة والصور
المقدسة والشموع وأشياء من هذا القبيل والمسكرات والايس كريم »

« حسنا . لو أن شخصا ذهب الى هناك وتخصص فى تلك السلع
فلربما يستطيع أن يبيعها بسعر أرخص مما يبيعون به . ويمكننا
القضاء على تلك المسبحات وذلك بأن نقدم مسبحات أخرى جميلة
منافسة مصنوعة من زجاج منصهر . وبالنسبة للصواريخ الملونة التى
تطلق الى عنان السماء فان شركتى تمول بعض الاحتفالات الكبرى بجميع

الصواريخ والاسهم النارية • انها لفكرة رائعة • أظن أننى سأبعث برسالة » •

ونظر جوان الى كومة الاطباق المتسخة التى تزايد عددها فى الحوض • وحملق من فوق كتفه الى الباب المؤدى الى غرفة النوم ثم فتح الباب ونظر الى الداخل •

لقد كان السرير شاغرا • فقد نهضت اليس • ولكن الحمام كان موصدا • فعاد جوان ليغسل الاطباق المتسخة فى الحوض •

وكانت السماء قد بدأت تصفو بسرعة آنئذ ، وكانت الشمس النظيفة الصفراء تسطع فوق الاراضى المغسولة • وكانت الاوراق الصغيرة لاشجار البلوط تكاد تكون صفراء تحت الضوء الجديد • وبدت الحقول الخضراء فى نضرة الشباب على نحو لا يمكن تخيله •

وابتسم جوان فى اقتضاب • وقطع شريحتين من الخبز • وقال المستر برتشارد « أظن أننى سأذهب للنزهة قليلا هنا » ثم سأل زوجته « أترغبين فى المجىء للنزهة معى يا عزيزتى ؟ » فنظرت بسرعة نحو باب غرفة النوم وقالت « حالا • لن أتأخر كثيرا » ففهمها ، وقال « حسنا • اننى سأذهب فقط الى الخارج » •

الفصل السادس

لقد رقدت أليس ـ بعد أن تركها جوان لفترة طويلة على ظهرها ويداها متقاطعتان فوق وجهها . وتوقف نشيجها وبكاؤها تدريجيا مثل الاطفال . واستطاعت أن تسمع الكلام المدوى فى الخارج المنبعث من صالة الطعام . وكان بطن ذراعها دافئا ومبللا فوق عينيها . وغمرها نوع من الراحة وزال التوتر عنها كأن تروسا معشقة بشدة قد فكت من جسدها . وبينما كانت ترقدني فى راحة قوامها الاسترخاء والتكاسل قفز عقلها للخلف الى ما حدث . ولم تتذكر المرأة التى صرخت فى نورما وصارت فترة الصباح غامضة وملتبسة عليها . ولم تكن قد عثرت بعد على تبرير لعملها . ومنذ أن فكرت فى الامر وهى تدرك أنها لم تكن تتهم فى الحقيقة نورما بسوء السلوك وحتى لو كانت تتهمها فهذا لم يكن يهمها فى الحقيقة بقدر كبير للغاية ، فهى لم تكن تحب نورما ولم تكن تهتم بنورما على الاطلاق . فهى مجرد قطة صغيرة مسكينة شاحبة اللون .

فعندما التحقت نورما بالعمل وضعت أليس بالطبع حواسها على الفتاة وعلى جوان مثل سماعة الطبيب التى يفحص بها المرضى . وعندما لم تجد أى ردود فعل من جانب جوان ولا حتى مجرد قدر ضئيل من الانتعاش أو التعقب بالعين فقدت الاهتمام بنورما اللهم الا من حيث انها كائن عضوى لحمل القهوة وغسل الاطباق . ولم تكن اليس تعى تماما الاشياء أو الناس اللهم الا اذا كان لهم تأثير مباشر على حياتها بالزيادة أو النقصان . وبينما كانت ترقد آنئذ فى استرخاء ودفء وهدوء بدأ عقلها ينشط فجاء الرعب مع أفكارها .

وعادت بذهنها الى المشهد . فتزايد رعبها بسبب دماثة أخلاق جوان ورقته . لقد كان ينبغى عليه أن يضربها وعدم قيامه بضربها أزعجها وأقلقها فهو ربما لم يعد يشعر باهتمام نحوها . وكانت قد اكتشفت أن العطف الطارىء من جانب الرجل ما هو الا تمهيد بالطرد ثم حاولت أن تتذكر الشكل الذى كانت عليه نساء آل برتشارد وحاولت أن تتذكر ما اذا كان جوان قد نظر فى دفء الى احداهن . كانت تعرف جوان . فعيناه كانتا تتقدان كالموقد عندما يثار اهتمامه

وبعدئذ تذكرت أنه قد تخلى عن سريرها لينام عليه آل برتشارد مما صدمها بعض الشيء ، وترامى الى أنفها رائحة عطر اللافاندر المنبعثة من ملايات السرير ومخداته فأحست بالكراهية والنفور من ذلك العطر .

وأصغت الى دوى الاصوات من خلال الباب . وكان جوان يقـدم لهم الطعام . وهو لم يكن ليفعل ذلك اذا لم يكن مستمتعا ، كان يمكن لجوان ألا يأبه لذلك الامر ويخرج للعمل في الاتوبيس . وتصاعد في داخل أليس خوف ممزوج بالقلق . انها قد أساءت معـــاملة نورما . وكان هذا خطأ . فأنت اذا أظهرت اعجابا أو قدرا ضئيلا من المحبة تجاه فتاة من نوع نورما فانها تذوب وتتفانى في اخلاصها وحبها . فالفتاة التي من نوع نورما لم تحظ الا بقدر ضئيل للغاية من الحب حتى أن أى قدر ضئيل من الحب نحوها يمكن أن يكون له مفعول السحر عليها وكانت أليس تحتقر مثل هذا التصور للحب . ولم تكن لتربط حبهـــا مع نورما . اذ كانت أليس كبيرة في نفسها وكل شـــخص اخر كان ضئيلا للغاية ، كل شخص اخر ولكن باستثناء جوان . ولكنه آنئـذ كان امتدادا لذاتها . وظنت أنه قد يكون من المناسب أيضا أن تعمل على وقوف نورما على قدميها ومساعدتها قبل أى شيء اخر . اذ كانت بحاجة لنورما لكي تدير لها شئون صالة الطعـــام نظرا لان أليس قد عقدت العزم على أن تحتسى الخمر بجنون بمجـــرد أن ينطلق جـوان بالاتوبيس بعيدا . ويمكنها أن تخبره عندما يعود أنها كانت تعاني من ألم في أسنانها كاد يقتلها .

وهي لم تفعل ذلك في أوقات كثيرة للغاية ولكنها كانت في أشــد الاشتياق لان تفعله آنئذ . واذا كانت هي قد عقدت النية على احتساء الخمور فيحسن بهـــا التحـــكم في حركاتها لان جـوان لا يحب النساء المخمورات . ورفعت يديها المتقاطعتين من على وجهها . وكانت عيناها غائرتين بســـبب الضغط وتطلب الامر بعض الوقت الى أن عادتا الى المجرى الطبيعي لهما . ثم أدركت كيف أن الشمس كانت تنساب في جمال على السهل الاخضر خلف غرفة النوم وعلى التلال المرتفعة بعيدا نحو الغرب . يوم رائع .

وبذلت مجهودا لكي تقف معتدلة فوق قدميها ثم ذهبت الى الحمام وهناك بللت طرف فوطة الحمام في الماء البارد وربتت به على وجههـا لتزيل التجعدات التي نجمت عن ضغط ذراعيها على خديهـــا الممتلئين .

ودلكت طرف الفوطة حول وجهها وفوق انفها وعلى طول حافة خط الشعر ٠

وانكسر مشبك البراسيير الخاص بها ٠ ففتحت ثوبها فى انزلاق واكتشفت أن دبوس الامان الذى يمسك به ما زال موجودا ٠ فدبست المشبك فى البراسيير مرة أخرى ٠ وأصبح ضيقا بعض الشىء ولكن كان باستطاعتها ان تحيكه فيما بعد عقب مغادرة جوان المكان ٠ وهى لن تتمكن من ذلك بالطبع فعندما يكون جزء كبير من المشبك مكسورا فان الامر يتطلب شراء مشبك جديد ٠

ومشطت آليس شعرها ووضعت أحمر الشفاه وكانت عيناها مازالتا محتقنتين فى احمرار ٠ فوضعت شيئا من القطرة فى ركن عينيها بواسطة قطارة دواء ودعكت الجفون على مقلتى عينيها بأصابعها ٠ وفحصت نفسها فى مرآة صندوق الادوية لفترة قصيرة ثم خرجت وخلعت ثوبها المكرمش وارتدت ثوبا اخر جديدا له نفس التصميم والطباعة ٠وبسرعة عبرت غرفة النوم الى باب غرفة نورما وطرقت فى رقة على الباب ولم يجىء الرد ٠ فطرقت مرة ثانية ٠ ومن داخل الغرفة جاء صوت كحفيف الاوراق ٠ وجاءت نورما الى الباب وفتحته ٠ وكانت توجد غشاوة على عينيها وبدا عليها كأنها قد أوقظت لتوها ٠ وفى يدها كانت تمسك بعقب قلم الحواجب الذى سبق أن استخدمته فى رسم حاجبى عينيها ٠

وما أن شاهدت آليس حتى ظهر على وجهها دلائل الرعب والخوف والاحساس بالخطر ٠ فقالت على وجه السرعة :

« اننى لم أرتكب الخطيئة مع ذلك الشخص » ٠

فخطت آليس الى داخل الغرفة ٠ لقد كانت تعرف جيدا كيف تعامل نورما وأمثالها عندما تكون فى كامل قواها العقلية وقالت لها « أعرف أنك لم تفعلى شيئا من هذا القبيل ياعزيزتى » ونظرت بعينيها لأسفل كما لو كانت خجلى ٠ لقد كانت تعرف كيف تعامل الفتيات ٠

« ما كان ينبغى أن تقولى ذلك ٠ افرضى أن شخصا ما سمع ذلك الكلام وصدقه ؟ اننى لست من ذلك النوع ٠ فأنا أحاول فقط كسب قوت يومى ولا أثير المتاعب » وسبحت عيناها فجأة فى دموع بسبب شعورها بالشفقة على نفسها ٠

فقالت آليس « كان ينبغى على ألا أفعل ذلك ٠ ولكننى كنت فى حالة سيئة للغاية ٠ فهذا هو الوقت الذى تجيئنى فيه العادة الشهرية ٠

وأنت نفسك تعرفين الى أى حد تشعرين بالتعاسة عندما تجيء لك •
فى بعض الاحيان تشعرين بالخبل » •

وتفحصتها نورما فى اهتمام • اذ كانت هذه أول مرة تجد فى آليس الرقة والحنان • وكانت هذه أول مرة تشعر فيها آليس أنها بحاجة الى مساعدات نورما ومعاونتها وتأييدها • فهى لم تكن تحب النساء الاخريات وعندما رأت عينى نورما تفيضان بدموع الشفقة على نفسها شعرت بالانتصار •

وقالت آليس « أنت تعرفين كيف يكون ذلك الامر • تصبحين فقط مخبولة بعض الشىء » •

فقالت نورما « أعرف ذلك » • وامتدت عنها قرون استشعار من الدفء تفيض رقة وعذوبة • واشتاقت للحب وتلهفت للعلاقات الانسانية الطيبة وتطلعت لان تعقد صداقة مع اى كائن بشرى فى العالم وقالت مرة أخرى « أعرف ذلك » وشعرت أنها أكبر سنا وأكثر قوة من آليس وأنها قادرة بعض الشىء على أن تصون وتحمى وهذا ما كانت تريده آليس •

ورأت آليس قلم الحواجب فى يدها وقالت « ربما يحسن بك أن تخرجى الآن لتقديم المساعدة فالمستر شيكوى يقوم وحده بكل الاعمال »

فقالت نورما « سأفعل ذلك توا » •

وأغلقت آليس الباب وراحت تنصت • كانت هناك فترة من الصمت ثم صوت انزلاق وبعدئذ جاء الصوت الحاد لدى غلق درج الصوان • فدفعت آليس شعرها الى الخلف بيدها وسارت فى خفة نحو باب صالة الطعام • وشعرت أنها على مايرام • لقد جمعت قدرا كبيرا من المعلومات عن نورما وعرفت مشاعر وأحاسيس نورما ازاء الامور • وعرفت المكان الذى وضعت فيه نورما الخطاب •

ولقد سبق لآليس أن حاولت التوصل الى حقيبة السفر الخاصة بنورما • ولكنها دائما ما كانت تجدها مغلقة • وكان باستطاعتها أن تنفذ الى داخلها بأصابعها ــ فقد كانت الحقيبة مصنوعة من الكرتون فقط ــ الا أنها لم تفعل ذلك خوفا من أن تترك علامات تدل على الاتلاف والتخريب وكان عليها أن تنتظر وتتحين الفرصة ، لان نورما مهما كانت حريصة فانها ستنسى أن تغلق حقيبتها إن عاجلا أو آجلا • لقد كانت آليس تمتاز بالدهاء ولكنها لم تكن تعرف أن نورما هى الاخرى تمتاز بالدهاء • اذ سبق لنورما ان عملت عند سيدات كثيرات مثل آليس من

قبل فعندما توصـــلت آليس الى أدراج دولاب نورما وألقت نظرة على الاشياء الخاصة بها وقرأت الخطابات المرسلة اليها من أختها فانهــا لم تلحظ علبة الكبريت المصنوعة من الورق والملقاة في اهمال على حـافة الدرج • اذ كانت نورما تضع تلك العلبة دائما فى ذلك المكان فاذا تغير مكانها أدركت أن شخصا ما كان يحاول النفاذ الى أشـــيائها والاطلاع عليها • وكانت تعرف أن جوان أو بيميلز لا يمكن أن يفعلا ذلك ومن ثم فلابد أنها آليس •

ولم يكن من المحتمل أن تترك نورما حقيبة سفرها غير مغلقة • ففيم يتعلق بأحلامها وخيالاتها لم تكن نورما غبيــة • اذ كانت تحتفظ بمبلغ ٣٧ دولارا في علبة معجون الاسنان بداخل حقيبة سفرها المغلقة • وهى قد رتبت الامور اذا تجمع لديهــا مبلغ ٥٠ دولارا تذهب الى هوليــود وتحصل على وظيفة فى مطعم وتنتظر فرصتها • فالخمسين دولارا من شأنها أن تؤجر لها غرفة لمدة شهرين • أما مســألة الطعــام فيمكنها الحصول عليه فى نفس المكان الذى تعمل فيه • وكانت أحلامها الكبرى هى أهم شيء فى حياتها ولكن كان بمقدورها أن تعتنى بنفسها أيضا • فنورما لم تكن غبية أو مغفلة • وصحيح أنهــا لم تفهم السر فى كراهية آليس لجميع النساء وصحيح أنها لم تدرك أن ذلك الاعتذار كان مجــرد خدعة ولكن كان من المتوقع أن تكتشف ذلك فى الوقت المناسب بحيث تنقذ نفسها • وبينما كانت نورما تعتقد أن أعظم الافكار وأنبل الدوافع تقطن فقط فى داخل كلارك جيبل فانها كانت تدرك دوافع الناس الذين التقت بهم وتعاملت معهم فى الحياة اليومية ولم تكن تحتــرم دوافعهم بالقدر الكافى •

فعندما جاء بيميلز وراح يخربش بأظافره فى هدوء على نافذتهــا بالليل عرفت كيف تحمى نفسها فأغلقت نافذتها • اذ كانت تدرك انه لن يجرؤ على احداث قدر كبير من الضجة والضوضاء محــاولا الدخول خشية أن يسمعه جوان فى الغرفة المجاورة • لقد كانت نورما ذكية وعلى قدر عظيم من الدهاء والحيلة •

وكانت آليس تقف آنئذ أمام الباب بين غرفة النوم وصــالة الطعام وجرت بأصابعها على جانبى أنفها ثم فتحت البـــاب وذهبت الى خلف الكاونتر كأن شيئا لم يحدث على الاطلاق •

الفصل السابع

وتوقف الاتوبيس الجريهاوند الضخم الجميـــل المنظر تحت مظلة الركاب فى سان يسيدور . ووضـــع المساعدون البنزين فى خزان الاتوبيس وقاموا بأعمال المراجعة على الزيت والاطارات بالوســـــائل الاتوماتيكية . وكانت مجموع الاجهزة تعمل فى سلاسة وتوافق . وقام رجل ملون بالتنظيف بين المقاعد وتنظيف الوسائد بالفرشاة والتقـاط ورق اللبان وأعواد الثقاب وأعقاب السجاير من الارضـــــية . ثم جرى باصابعه خلف المقعد الاخير الذى يمتد على طول مؤخرة الاتوبيس ،فهو فى بعض الاحيان كان يعثر على عملات معدنية أو ســكاكين جيب خلف هذا المقعد . وكان يحتفظ بالنقود الصغيرة الملقاة أما الاشـــياء الاخرى فكان يسلمها للمكتب . لان الناس كانوا يثيرون المتاعب حول الاشياء التى تركوها باظهار الانتقادات وتقديم الشكاوى ولكن ليس الامر كذلك بالنسبة لقطع العملات الصغيرة . وأحيانا كانت المقشة تكشف عن قدر كبير من النقود يصل الى دولارين خلف ذلك المقعد . واليوم قد استخرج ٢ دايم وقطعة من فئة الخمسين سنتا بالاضافة الى حافظة نقود من النوع الكبير الذى يوضع فى الجيب الخلفى للبنطلون وبها بطاقة الجنـــدية ورخصة قيادة السيارات وبطاقة عضوية فى نادى ليونز .

فالقى نظرة سريعة على الجزء الذى توضع فيه الاوراق المالية . فلمح ورقتين من فئة الخمسين دولارا وشيكا معتمدا من البنك بمبلغ خمسمائة دولار . فوضع حافظة النقود فى جيب قميصه ونظف المقعد بمقشة من الريش . وبدأ يتنفس بصعوبة بعض الشىء .

فالنقود كان أمرها سهلا . ففى استطاعته أن يأخذها ويترك حافظة النقود خلف المقعد لكى يجدها كناس آخر فى نهاية الخط . ويمكنه أن يترك الشيك أيضا لان الشيكات تكتنفها أخطار هائلة للغاية . أما تلك الورقتان الحلوتان من فئة الخمسين دولارا ــ تلك الورقتان الحلوتان ، الحلوتان من فئة الخمسين دولارا !! وظهرت حشرجة وتوتر فى حلقه وهو توتر سيظل ملازما له الى أن يحصل على تلك الورقتين الحلوتين من فئة الخمسين دولارا بأن يخرجها من حافظة النقود خلف المقعد .

ولكنه لم يستطع اخراجها لان الولد الافاق كان يغسل الجانب الخارجي للنوافذ التي تلطخت بالضباب المتسخ الناجم عن السير في الطريق العمومي الرئيسي · وكان عليه أن ينتظر لانهم اذا أمسكوا به سيطردونه من العمل ·

وكان يوجد فتق صغير في حاشية بنطلونه المصنوع من الصوف الخشن · وذهب في تقديراته الى أنه ينبغي عليه أن يدفع بهاتين الورقتين الحلوتين من فئة الخمسين دولارا هناك في داخل الفتق قبل أن يهبط من الاتوبيس وعليه بعد ذلك أن يدعي المرض قبل أن يغادر مقر عمله · ويمكنه أن يتظاهر بالمرض الشديد بحيث لا يعود الا بعد أسبوع تقريبا · وهو اذا ادعى المرض · ثم ظل في العمل طوال اليوم حتى توقيت انصرافه اليومي من العمل فانهم لن يشكوا في أي شيء في حالة عدم ظهوره لايام قليلة وبهذه الطريقة يمكنه أن ينقذ وظيفته وسمع وقع أقدام على الاتوبيس فتصلب بعض الشيء · ونظر السائق « لوى » في داخل الاتوبيس ·

وقال « هاى · جورج · اسمع · أوجدت حافظة نقود ؟ فهناك شخص يقول أنه فقدها » ·

فتمتم جورج ·

فقال لوى « حسنا · سأجيىء لالقى نظرة » ·

فدار جورج فيما حوله وهو لا يزال على ركبتيه وقال « لقد وجدتها · وكنت سأسلمها بمجرد الانتهاء من العمل » ·

فقال لوى « وجدتها ؟ » وأخذ حافظة النقود من يد جورج وفتحها · فنظر الولد الافاق من خلال النافذة · فابتسم لوى في أسف نحو جورج ورفرف بعينيه نحو الولد الافاق ·

وقال لوى « أظن أنهم دبروا هذه اللعبة ضدنا · فالشخص قال ورقتين من فئة الخمسين دولارا والموجود هنا ورقتان فعلا » ثم استخرج الورقتين والشيك على نحو يمكن الولد الافاق الذى كان ينظر من خلال النافذة من رؤيتهم · ثم استطرد لوى قائلا « أتمنى لك حظا أفضل في المرة القادمة يا جورج » ·

فقال جورج « أظن أن الشخص سيدفع مكافأة » فقال لوى « ستحصل على نصف المكافأة · واذا كانت أقل من دولار ستحصل عليها كلها » ·

وتحرك لوى خارجا من الاتوبيس الى صالة الانتظار وسلم حافظة

النقود الى المكتب وقال « وجدها جورج » وكان على وشك احضارها الى هنا • فهو زنجى طيب » •
وأدرك لوى أن صاحب حافظة النقود كان موجودا بجواره مباشرة ولذلك قال مخاطبا الصراف « لو كنت أنا الذى فقد هذه المحفظة لاعطيت جورج هدية صغيرة مناسبة • فلا شىء يجعل الشخص سيئا مثل عدم التقدير • وأذكر أن شخصا عثر على ألف دولار وسلمها فلم يحصل على أى شىء ولا حتى كلمة شكر • فكان أول شىء فعله بعد ذلك هو السطو على بنك وسرقته وقتل اثنين من الحراس » • وكان لوى يكذب بكل سهولة وبدون أن يبذل أى مجهود •
وتساءل لوى « كم عدد الركاب المتجهين جنوبا ؟ » فقال الكاتب • العدد كامل عندك • وعندك فرد واحد سينزل فى الريبل كورنرز • ولا تنسى الفطائر مثلما فعلت فى الاسبوع الماضى • فلم يحدث فى حياتى أن تضايقت كثيرا مع خمسين فطيرة • هاهى حافظة نقودك ياسيدى • أيمكنك أن تفحصها للتأكد من أن كل شىء على مايرام ؟ »
ودفع صاحب حافظة النقود مكافأة قدرها خمسة دولارات • فقرر لوى اعطاء جورج دولارا واحدا فى أى وقت • وهو كان يعرف أن جورج لن يصدقه ولكن ماذا يضير ؟ لقد كانت لعبة قذرة وطريقا مليئا بالاوحال • وعلى كل شخص أن يأخذ فرصته • وكان لوى ضخما وكان جريئا بعض الشىء ولكنه كان حسن الهندام • وكان أصدقاؤه يسمونه « الوجه المكتظ باللحوم » وكان سريع البديهة وأنيقا ومهندما وكان يحب أن يعرف الناس عنه أن هزاره سمج • فكان يسمى خيول السباق كلابا وكان يتحدث عن جميع المواقف على أنها مراهنات • وكان يرغب فى أن يكون بوب هوب أو افضل من ذلك أن يكون بنج كروسبى •
وشاهد لوى جورج وهو ينظر الى المكتب عبر أبواب رصيف التحميل • فتملكته دوافع من الكرم فسار نحو جورج وأعطاه ورقة من فئة الدولار وقال « ابن الكلب بخيل » وأردف قائلا « خذ أنت الدولار • انه يسترد ما يزيد على ٥٠٠ دولار ولا يدفع سوى دولار واحد » •
فنظر جورج الى وجه لوى • مجرد ومضة واحدة سريعة بنية اللون من عينيه • اذ أدرك انها كذبة كما أدرك انه لا يستطيع أن يفعل شيئا ازاء ذلك الموقف • فلو غضب منه لوى لجعل الامر متسما بالقسوة والعناد • ثم ان جورج كان يرغب فى ذلك المرح الناجم عن تناول الخمور • وكان يشعر بالخمر وهى تمسك به وتسيطر عليه • آه • لو

أن ذلك الولد الافاق لم يدس أنفه الكبير فى هذا الموضوع ٠
وقال جورج « أشكرك »
ومر الولد الافاق بالقرب منهما ومعه الدلو والاسفنج ٠ فقال جورج « وتسمى تلك النوافذ نظيفة ؟ » وأراد لوى ان يتودد ويتقرب لجورج فقال هو الآخر للولد « اذا أردت أن تكون سيدا فى أى مكان يحسن بك أن تكون على قدر من الكفاءة ٠ فتلك النوافذ ليست على مايرام ٠ نظفها مرة أخرى » ٠
« اننى لا أتلقى الاوامر منكما ٠ سأنتظر لحين تلقى بعض الشكاوى من المراقبين والملاحظين » ٠
فتبادل كل من لوى وجورج النظرات ٠ لقد كان مجـرد ولد أفاق لا أهمية له ٠ ويمكن أن يلقى به بعيدا على مؤخرته فى أقل من أسبوع لو فكر لوى فى ذلك ٠
وكانت أتوبيسات الجريهاوند الضخمة تدخل الى مظلة نقل الركاب المغطاة وتخرج منها ثقيلة وعالية كالمنازل ٠ وكان السائقون ينزلقـون بها فى نعومة وسلاسة وجمال الى داخل المكان . . وكانت المحطة تنبعث منها رائحة الزيوت ودخان العادم الناجم عن ماكينات الديزل ورائحـة قضبان الحلوى ورائحة منظف قوى للارضية تنفذ الى الانوف ٠
وعاد لوى الى الواجهة ٠ فقد لمحت عيناه فتاة قادمة من الشارع نحو المحطة ٠ وكانت تحمل حقيبة سفر صغيرة ٠ لمحها لوى فى ومضة بصر واحدة ٠ طبق لذيذ ٠ طبق شهى ٠ ويمكنه أن يجلسـها على مقعد خلف كرسى السائق المرتفع مباشرة أى خلف الكرسى الخاص به حيث يـكون باستطاعته أن يرقبها فى مرآة الاتوبيس التى تكشـف المنظر الداخلى ويتعرف على شخصيتها الحقيقية عن كثب ٠ فلربما هى تقطن فى مكان ما على الطريق الذى يسـلكه ٠ ولقد سبق له أن قام بقـدر كبير من المغامرات التى بدأت على هذا النحو ٠
وكان الضوء المنبعث من الشارع منيرا خلف الفتـاة ولذلك فهو لم يتمكن من رؤية وجهها ولكنه أدرك أنها امرأة جميلة ٠ وهو لم يعـرف كيف أدرك أنها جميلة ٠ اذ كان بالمستطاع أن تجيىء خمسون فتاة مع أضواء خلفهن ٠ ولكن كيف بدت له هذه الفتـاة بالذات جميلة ؟ كان بامكانه أن يرى قواما جميلا وساقين جميلتين ٠ ولكن هذه الفتاة بالذات كانت تنبعث منها رائحة الجنس بطريقة ما تتسم باللباقة والذكاء ٠٠

ولاحظ أنها حملت حقيبة سفرها معها الى نافذة صرف التـــذاكر ولذلك لم يذهب نحوها مباشرة . وانما ذهب الى حجرة الاغتسال وهناك وقف عند حوض الغسيل وغمر يديه فى الماء وجرى بهما بين شعره . واستخرج من جيبه الجانبى مشطا صغيرا ومشط شعره للخلف برفق وربت عليه من الخلف حيث برزت كمية من الشعر على شكل ذيل بطة . ثم مشط شاربه رغم أن شاربه لم يكن فى حاجة للتمشـيط حيث كان قصيرا للغاية . وسوى من شـــأن الجـــاكيت الرمادى الذى يرتديه والمصنوع من نسيج يشبه القطيفة . ثم زاد من تضـــييق الحزام حول وسطه بعد أن دفع ببطنه للداخل بعض الشىء .

وأعاد المشط الى جيبه وفحص نفسه فى المرآة مرة ثانية . ثم جرى بيده على جانبى شعره . وتحسس رأسه من الخلف ليتــأكد من أنه لا توجد أية كتل من الشعر خارجة عن مكانها وليتأكد من أن ذيل البطة متجه الى أسفل . وعدل من وضع الفيونكة السوداء الجاهزة التى تلازمه دائما لتكون فى المنتصف تماما . ثم أخرج حبــات قليلة من السن‌سن من جيب قميصه الداخلى وألقى بها فى فمه . وبعدئذ بدا عليه كأنه يهز نفسه لاسفل فى معطفه .

وما أن ذهبت يد لوى اليمنى الى الاكرة النحاســـية لباب غـرفة الغسيل حتى حركت يده اليسرى أصابعها حركة سريعة لأعلى ولأسـفل على حاشية الازرار ليتأكد من أن أزراره كلها موضــوعة فى العــراوى الخاصة بها . ووضع على وجهه ابتسامة ملتوية مغرضـــة بعض الشىء نصفها يعبر عن الاهتمام بالامور الدنيوية ونصفها الآخر عن الســذاجة والبساطة ، وهو تعبير على الوجه أثبت نجاحه معه فى حالات سابقة . وهو قد قرأ فى موضع ما أنك لو نظرت فى عينى فتاة نظرة مبـــاشرة وابتسمت لها فان ذلك يحدث تأثيرا . ويجب عليك أن تنظر اليها كأنها أجمل شىء فى العالم بل وعليك أيضا أن تظل مســتمرا فى النظر الى عنيها الى أن تنظر هى بعيدا . وكانت هناك خدعة أخرى أيضا . فلو كان النظر فى عيون الناس الآخرين يضايقك ينبغى عليك أن تنظر الى موضع على كوبرى الانف فيما بين العينين تماما . اذ يبدو للشــخص الذى تنظر اليه أنك تنظر الى عينيه وحقيقة الامر أنك لا تنظر اليهما . وقد وجد لوى فى ذلك طريقة ناجحة للغاية للتقرب للفتيات .

وكان لوى يفكر فى الفتيـــات طوال ساعات قيـادته للاتوبيس

تقريبا • اذ كان يرغب فى الاعتداء عليهن وانتهاكهن • وكان يحلو له أن يوقعهن فى حبه ثم يتخلى عنهن ويتركهن للعـــذاب • وكان يسميهن « الخنزيرات » فيقول مثلا « سأحصل على خنزيرة • وتحصل أنت على خنزيرة • ونخرج للهو والمرح » •

وسار عبر باب حجرة الاغتســـال فى نوع من العظمة والاعتزاز بالنفس • ثم اضطر للتراجع للخلف لان رجلين دخلا بين المقاعد حاملين سلة طويلة بها شقوق تسمح بدخول الهواء • وعلى جانب السلة كتبت هذه العبارة بحروف بيضاء كبيرة « فطائر الأم ما هو فى المعدة بالمنزل » وتقدم الرجلان أمام لوى وعبرا الى رصيف التحميل •

وكانت الفتاة جالسة على مقعد آنئذ ، وحقيبة سفرها بجانبها على الأرض • وأثناء مرور لوى عبر الغرفة ألقى نظرة سريعة على ساقيها ثم نظر الى عينيها بشكل مستمر أثناء سيره • وابتسم ابتسامته الملتوية وتحرك نحوها • فالتفتت اليه دون أن تبتسم ثم حولت عينيها بعيــدا عنه •

فشعر لوى بخيبة الأمل • لانها لم يعتريها أى ارتباك وكان ينبغى أن يصدر عنها شىء من هذا القبيل • انها بكل بساطة قد فقدت الاهتمام به • وكانت جميلة للغاية ــ ساقان جميــلان ممتلئـــان امتلاء حسنا وفخذان ملفوفان • وخصر نحيل بدون كرش وثديان ناهدان استفادت منهما أعظم استفادة فى اظهار جمالها • وكانت شقراء • وكان شعرها خشنا وبه شىء من التكسير فى نهاياته بسبب استخدام مكواة للشــعر ساخنة للغاية ولكنه شَعر منسق بالفرشاة بشـــكل جيد وبه أضــواء جميلة وبه خصلة طويلة متجعدة من النـــوع الذى يحبه لوى وكانت عيناها مزدانتين بكحل العيون الازرق اللون وببعض الكريم البارد على الجفون وبقدر كبير من الماساكر فوق الرموش • لم تضـــع روجا على وجهها وانما اكتفت بوضع قدر من أحمر الشفاه على شفتيها على نحـــو يجعل فمها مستديرا مثل بعض ممثلات السينما • وكانت ترتدى طاقما: عبارة عن جونلة ضيقة وجاكيت لها ياقة مستديرة • أما حذاؤها فكان من جلد أحمر قاتم تتخلله غرز بيضاء •

ودرس لوى وجهها أثناء سيره • وتملكه شعور بأنه سبق أن رآها من قبل • وربما كانت تشبه فتاة ما عرفها من قبل أو ربما قد شاهدها من قبل فى فيلم سينمائى • فقد حدث له ذلك فيمـــا مضى • وكانت عيناها متسعتين ، تكاد تكون متسعتين بشكل غير طبيعى • وكان لونها

أزرق مع قدر ضئيل من البقع البنية بهما ومع خطوط مظلمة محـــددة بشدة من حدقة العين الى الحافة الخارجية لقزحية العين • وكان حاجبا عينيها منتوفين ومرسومين بالقلم فى شكل قوس حتى أنها بدت كأنها مندهشة بعض الشيء •

ولاحظ لوى أن يديها الموضوعتين فى القفاز لم يعتريهمـا القلق • فهى لم تكن غير صبورة ولم تكن عصـــبية • وهذا سبب له الضيق • كان خائفا من رباطة جأشها • وشعر بالفعل أنه ســـبق له أن رآها فى مكان ما • وكانت ركبتاها مكسيتين باللحم بطريقة ممتازة فعظامهـا لم تكن بارزة • وجعلت جونلتها تتجه لاسفل بدون أن تجذبها •

وعندما تجول لوى بجانبها عاقبها على تحويل عينيها عنه بأن حملق فى ساقيها • وهذه الحركة غالبا ما تجعـــل أى فتاة تشد جونلتها الى أسفل حتى ولو لم تكن مرتفعة للغاية • ولكن هذه الحركة لم تحدث أى تأثير على هذه الفتاة • فشعر لوى بالقلق وعدم الارتياح لعدم تجاوبها مع حيله وأساليبه وقال لنفسه انســـانة شرســـة تنجز أمورها بسرعة ، انسانة شرسة بإثنين من الدولارات • وبعدئذ سخر من نفسه • لا يمكن أن تكون بإثنين من الدولارات مع كل تلك الملابس التى ترتديها •

واستمر لوى فى مشيته نحو نافذة صرف التذاكر وابتسم ابتسامته التهكمية وهو ينظر الى ادجار الـــكاتب الذى يقوم بصرف التذاكر • وكان ادجار معجبا بلوى ويتمنى أن يصبح مثله •

وتساءل لوى « الى أين الخنزيرة ذاهبة ؟ »

« خنزيرة ؟ »

« أوه • نعم » • وتبادل ادجار نظرة خفية لهـــا طابع الرجولة مع لوى وقال « الى الجنوب » •

« فى عربتى ؟ »

« نعم » •

فراح لوى يقرع بخفة على الكاونتر باصبعه • لقد ترك ظفر اصبعه الصغير ليده اليسرى ينمو ليصير طويلا للغاية • وكان مقوسا مثـــل نصف أنبوبة ومرملا لمسافة ضحلة • ولم يعرف لوى السبب الذى جعله يفعل ذلك • ولكنه كان مسرورا عندما لاحظ أن بعض سائقى الاتوبيس الآخرين قد تركوا أظافر أصابعهم الصغرى تنمو أيضا • لقد كان لوى يبتكر أسلوبا وشعر بالارتياح لذلك • وكان هناك ذلك السائق للعربة

الذى ربط ذيل حيوان الراكون على غطاء الردياتير فى عربته ولم يجىء الليل الا وكان كل شخص قد حصـــل على قطعه من الفراء ترفرف مع النسيم • فصنع تجار الفراء اذيال تعالب صناعية واصبح لا يمكن رؤيه أولاد المدارس العليا فى سيارة بدون ذيل يلف ويدور حولهم • وأمكن لذلك السائق أن يجلس مضــــطجعا للخلف وهو مسرور لانه أول من ابتكر الفكرة • وها هو لوى قد ترك ظفر اصـــبعه الصغير ينمو لمدة خمسة شهور ثم رأى بالفعل خمسة أو ستة من الســـــائقين الآخرين يفعلون ذلك • وقد تكتسح هذه الظاهرة الدولة فيكون لوى بذلك هو الذى ابتكر الفكرة بأسرها •

وطرق على الكاونتر بظفره الطويل المنحنى • ولـكن فى رفق لانه عندما يطول ظفر أكثر من اللازم يتعرض للكسر بسهولة • ونظر ادجار الى الظفر • وظل مبقيا يده اليسرى أسـفل الكاونتر • فقد كان يربى ظفرا هو الآخر ولكن ظفره لم يكن قد أصبح طويلا للغـاية • وأراد أن يخفى ذلك عن لوى الى أن يصبح الظفر أطول من ذلك بكثير • وكانت أظافر ادجار من النوع الهش سهل الانكسار مما كان يضطره الى وضع ورنيش للاظافر عديم اللون لمنعه من الانكسار بسرعة • اذ سـبق أن انكسر فى احدى المرات أثناء نومه فى السرير •

وحملق ادجار نحو الفتاة • وقال « أتعتقد أنك ستسارع الى التفاهم مع •• •• •• الخنزيرة ؟ »

فقال لوى « لا ضرر من المحاولة » واستطرد « ربما تكون انســانة شرسة من النوع العملى الذى ينجز أموره على وجه السرعة » •

« حسنا ، وهل هناك مانع من أن تجرب حظك مع انسانة شرســـة وجميلة ؟ »

وانتفضت عينا ادجار • فقد وضعت الفتاة ســـاقا على ساق من جديد • وقال متأسفا « لوى • قبـل أن أنسى • يحسن بك أن تشرف بنفسك على تحميل تلك السلة المليئة بالفطائر • فقد جاءت لنا شكوى فى الاسبوع الماضى • ففى مكان ما على طريق الاتوبيس أوقع شخص ما السلة فاختلطت فطيرة توت مع فطيرة ليمون فأصبح هناك زبيب عنب فى كل مكان • وكان علينا أن ندفع التعويض » •

فقال لوى فى شراسة ووحشية « لم يحــدث ذلك فى رحلاتى على الاطلاق • ان الاتوبيس يذهب الى سان جوان • أليس كذلك ؟ ولابد أن

الطريق المنحنى عند ريبل كورنرز هو الذى تسبب فى ذلك » ٠
فقال ادجار « حسنا ٠ نحن دفعنـــا التعويض ٠ مجـــرد نوع من المراجعة والاشراف ٠ ممكن ؟ »
فقال لوى وقد تملكه الاحساس بخطورة الموقف « لم تســـقط أية فطائر أثناء رحلاتى » ٠
« أعرف ذلك ٠ أعرف أنك لم تسقط شيئا ٠ ولكن المكتب الامامى أخبرنى بأن أقول لك بأن تراجع على الفطائر للتأكد » ٠
فتساءل لوى « ولماذا لم يجيئوا هم الى ؟ ٠ واستطرد : « هم وصلتهم شكاوى ٠ فلماذا لم يستدعونى بدلا من ارسال رسائل ؟ » وتصـــاعد الغضب فى داخله ٠ ولكنه كان فى الحقيقة غاضبا من الفتاة الشقراء ٠ الانسانة الشرسة الملعونة ٠ ونظر الى ساعة الحائط الضخمة المعلقة على الحائط ٠ وكان هناك عقرب طوله قدمان يجرى بالثوانى على الميناء ٠ وفى انعكاس المرآة شاهد لوى الفتاة جالسة وقد وضعت ســـاقا على ساق ٠ وظن أنها كانت تنظر الى مؤخرة رأسه وان كان لم يســـتطع التأكد من ذلك بسبب الانحناء فى المرآة ٠ فتبدد غضبه ٠
وقال « سأقوم بالمراجعة على الفطائر وأخبرهم بأنه لن يكون هنـــاك اختلاط بين فطائر التوت وفطائر الليمون ٠ أظن أننى سأمضى قليلا من الوقت مع الخنزيرة » ٠ ورأى الاعجـــاب فى عينى ادجار عندما التفت ببطء وواجه غرفة الجلوس ٠
وكان على حق ٠ فقد كانت الفتاة تنظر الى مؤخرة رأســـه ٠ لانه عندما استدار رآها تنظر الى وجهه ٠ ولم يكن هناك اهتمام أو أى تعبير آخر فى نظرتها ولكنها كانت لها عينان جميلتان ٠ يا للملعونة ٠ لقـد كانت جميلة ٠ وكان لوى قد قرأ فى احدى المجـــلات عن أن العيـــون الواسعة تعنى الاثارة الجنسية ٠ ولم يكن هناك أدنى شك فى أن هـذه الفتاة تشع من كيانها هالات جنسية مثيرة للغـــاية ٠ كانت فتاة من النوع الذى يسير بجوارها أى شخص يراها ٠ وهاهى قد سارت فى هذا المكان فاستدار نحوها كل شخص ونظر اليها ٠ وكان باستطاعتك ان ترى رءوسهم تدور وتلتفت كأنهم يشاهدون ســـباقا للخيـــول ٠
والسبب هو وجود شىء ما فى هذه الفتـــاة ٠ ولم يـــكن هذا الشىء هو المكياج ولم يكن طريقة مشيتها ٠ وان كان المكياج وطريقة المشى جزءا من ذلك الشىء ٠ ومهما كان أمر هذا الشىء فانه كان منثورا ومنتشرا فيما حولها ٠ وقد شعر لوى بذلك الشىء عندما قدمت من الشـــارع مع وجود الضوء خلفها فى أنه لم يستطع أن يراها حينئذ رؤية حقيقية

واضحة · وهى الآن كانت تنظر في وجه لوى دون أن تبتسم ودون أن يعبر وجهها عن أى شيء · كانت تنظر اليه فقط ، وظل يشعر بذلك. فأصيب بضيق وتوتر فى حلقه وبزغ من ياقته أحمر خفيف · وأدرك أن نظرته قد تنزلق بعيدا بعد برهة وجيزة · وكان أدجار منتظـــرا وكان ادجار مؤمنا بلوى وواثقا منه ·

وكانت هناك بعض الاكاذيب والمبالغات حول سمعة لوى · ولكنــه في الحقيقة كان له أسلوب خاص به وهو سبق له بالفعل أن قضى بعض الوقت مع الخنزيرات · ولكنه فى تلك اللحظة فقط لم يكن يشـــعر بالارتياح · فهذه الخنزيرة كانت تقلل من شـــأنه · فأراد أن يصفع وجهها بكف يده · وكانت أنفاسه تتصاعد فى صـدره فى ألم · كانت الفرصة على وشك الضياع اذا لم يفعل شيئا · واســـتطاع أن يرى الخطوط المعتمة التى تشبه الاشعة فى قزحية عينيها كمـــا تمكن من رؤية امتلاء خديها · ورسم على وجهه نظرته المعـــانقة المقبلة واتسعت عيناه قليلا وابتسم كمـــا لو كان قد تعرف عليها فجأة · وفى نفس الوقت تحرك نحوها ·

وحرص على أن يجعل ابتســامته مليئة بالاحترام بعض الشيء · فتعلقت عيناها بعينيه وزال عنها قدر ضئيل من البرود · فخطا بالقرب منها وقال لها « يقول الرجل أنك متجهة جنـــوبا على الاتوبيس الخاص بى · يا ماما » · وهو غالبا ما كان يضـــحك على كلمة « ماما » هذه ، ولكنها كانت عادة تأتى بالنتيجة المرجـــوة · وقد أتت هذه الكلمـــة بنتيجة مع هذه الفتاة · اذ ابتسمت قليلا ·

فاستطرد لوى قائلا « سأهتم بحقيبتك · نحن سنتحرك فى خـلال ثلاث دقائق » ·

فقالت الفتاة « شكرا » · وخيـــل للوى أن صوتها جاء نابعا من الحلق ومفعما بالجنس ·

« دعينى آخذ حقيبتك · سأضـــعها الآن فى الاتوبيس · وبعدئذ ستحصلين على مقعد » ·

فقالت الفتاة « انها ثقيلة » ·

وقال لوى « لست قزما تماما » ثم حمل حقيبتها وخرج بها مسرعا الى رصيف التحميل ، وصعد الى داخل الاتوبيس ووضـــع الحقيبة أمام المقعد الذى يقع خلف مقعده مباشرة ·· حتى يمكنه أن يرقب الفتاة فى مرآته ويتحدث اليها قليلا عندما يمضـــون فى طريقهم · ثم خرج من

الاتوبيس ورأى الولد الافاق مع أفاق آخر يضعان سلة الفطـائر على سطح الاتوبيس ·

فقال لوى بصوت مرتفع « اعتنوا بتلك الاشـيـاء · لقد أوقعتم يا أولاد الحرام واحدة فى الاسـبوع الماضى وأنا تلقيت الشـكاوى والاحتجاجات » ·

فقال الولد الافاق « لم أوقع شيئا على الاطلاق » ·

وقال لوى « لم تفعل بحق الجحيم » واسـتطرد « عليك بمراقبة خطواتك » ·

ومر عبر الابواب المتحركة الى غرفة الانتظار ·

فتساءل الافاق الآخر « ما الذى جعله تعيسا متضايقا ؟ » فقـال الولد الافاق « أوه · اننى ضايقته بشـكل ما · فالزنجى وجد حافظة نقود وأنا رأيتها · ولذلك فقد قررا تسليمها للمكتب · كانت بمثـابة قربة مليئة بأوراق البنكنوت · وهما الاثنان غضبا منى لانى رأيتهما · وكان لوى وذلك الزنجى سيقتسمون المبلغ بحيث يحصل كل منهما على خمسين دولارا ولكننى وضعتهما فى موقف حرج مما اضطرهمـا بالطبع الى تسليمها للمكتب عندما لاحظا أننى رأيتهما » ·

فقال الافاق « كان باستطاعتى استثمار هذا المبلغ »

« ومن الذى لا يستطيع »

« اذا أخذت مائة دولار يمكننى الانطلاق الى مكان آخر واشـترى ممتلكات شخصية جميلة للغاية بهذا المبلغ » واستمرا لبعض الوقت فى حديث له طابع الطقوس الدينية ·

ودب قدر ضئيل من الحركة والنشاط فى صالة الانتظار · اذ أخـذ يتجمع جمهور الاتوبيس المتجه جنوبا · وكان ادجار مشـغولا خلف الكاونتر الخاص به الا أنه كان يراقب الفتـاة فى نفس الوقت · وقال لنفسه فى همس « خنزيرة » فهذه كلمة جديدة بالنسبة له وباستطاعته أن يستخدمها من الآن فصاعدا · وحملق فى ظفر الاصـبع الصغير فى يده اليسرى · قد يمضى وقت طويل قبل أن يصير له ظفر فى مثل جودة ظفر لوى · ولكن لماذا يضايق نفسه ؟ فهو لا يمـكنه أن يعوض الوقت الضائع ويلحق بلوى فى هذا المجال · فهو كان ينهـزم دائما فى جولة السباق ·

وكان هناك الهرج والمرج الذى يصـدر عن الزبائن فى الدقيقة الاخيرة عند ماكينات بيع الفول السودانى وآلات بيع اللبان · واشترى

رجل صيني نسخة من « التايمز » وأخرى من « النيوزويك » · وطواهما في حرص ووضعهما في جيب معطفه الاسود ذى القماش السـميك · وقامت سيدة عجوز بتصفح المجلات الموجودة على رف المجلات دون أن تكون لديها النية لشراء واحدة منها · وكان اثنـان من الهنود يرتديان عمامتين ناصعتى البياض ولهما لحيتان سوداوتان لامعتـان مجعدتان يقفان بجانب بعضهما البعض عند نافذة صرف التذاكر · وكانا يحملقان في وحشية فيما حولهما كما لو كانا يحاولان فهم ما يقال لهما ·

ووقف لوى بالقرب من المدخل المؤدى الى رصيف التحميل وحملق في الفتاة باستمرار · وتلاحظ له أن كل رجل في الغـرفة كان يفعل نفس الشيء · فهم جميعا كانوا يختلسون النظر اليهـا ولم تكن لديهم الرغبة في أن يلحظهم أحد وهم يفعلون ذلك · والتفت لـوى ونظر من خلال الابواب الزجاجية المتحـركة وتأكد له أن الولد الافاق والافاق الآخر قد وضعا سلة الفطائر في أمان فوق سطح الاتوبيس وأن القماش المشمع قد جذب عليها لأسفل لحمايتها · وصار الضوء معتما في صالة الإنتظار الى درجة الغسق · لابد أن سحابة قد حجبت الشـمس · ثم أشرق الضوء مرة أخرى كما لو كانت تتحكم فيه مقاومة متغيرة · ودق الجرس فوق الابواب الزجاجية بصوت مرتفع · فنظر لوى الى سـاعته وذهب عبر الباب الى أتوبيسه الضخم ونهض المسـافرون في غرفة الانتظار وساروا في تثاقل نحو الباب ·

وكان ادجار مازال يحاول معرفة المكان الذى يريد أن يذهب اليـه الهنديان · وقال لنفسه « تلك الرءوس البالية · لماذا لم يتعلما اللغـة الانجليزية قبل البدء في الجرى والسفر ؟ » ·

وصعد لوى الى المقعد العالى المحـاط بقضيب من الصـلب الذى لا يصدأ وراح يفحص التذاكر لدى دخول المسـافرين الى الاتوبيس · واتجه الرجل الصينى المرتدى معطفا أسود مباشرة الى المقعـد الخلفي وخلع معطفه ووضع مجلتي التايم والنيوزويك في حجره · وتشعبطت المرأة العجوز متسـلقة الدرج في الاتوبيس وهي لاهثة الانفـاس ثم جلست في المقعد الذى يقع خلف لوى مباشرة ·

فقال لها لوى « معذرة يا ماما · فقد أخذ هذا المقعد » ·

فقالت في تحد سافر « ماذا تقصـد بكلمة أخذ ؟ اذ لا توجد أية مقاعد محجوزة » ·

فكرر لوى القـول « لقد أخذ هذا المقعد يا ماما · ألا ترين حقيبة

السفر بجانبه ؟ » • ولقد كان لوى يكره النساء الكبيرات فى السن • كان يحس بالاختناق لدى رؤيتهن • اذ كانت هناك رائحة خاصة بهن تسبب له التوتر والضيق • وكان يعتقد أنهن يملن للشراسة والقسوة وعدم الاعتزاز بالنفس وعدم المبالاة. بما قد ينجم عن تصرفاتهن من مناظر مؤلمة ، والاصرار على الحصول على ما يردنه • ولقد كانت جدة لوى امرأة طاغية مستبدة وكانت .تحصل على كل ماتريده وذلك باللجوء للقسوة والوحشية • وبزاوية من عينه استطاع أن يرى الفتاة على أسفل سلمة للاتوبيس منتظرة دورها للصعود خلف الرجلين الهنديين • فوجد نفسه فى موقف حرج للغاية • فتملكته مشاعر الغضب على الفور •

وقال « يا ماما • اننى السيد المهيمن على الاتوبيس الخاص بى • ويوجد عدد كبير من المقاعد الملائمة • والآن هل لك أن تتحركي للخلف الى مقعد آخر ؟ » •

فشمخت المرأة العجوز بذقنها فى صرامة ونظرت اليه فى تجهم • وحركت مؤخرتها بعض الشىء لكى تزيد من استقرارها فى المقعد •

وقالت « أنت تريد أن تضع هذه الفتاة فى هذا المقعد • هذا هو ما تريده • وسأقدم تقريرا عنك الى الادارة » •

فازدادت حدة غضب لوى • وقال « وهو كذلك يا ماما • أخرجى الآن وأبلغى تقريرا عنى • فالشركة لديها أعداد كبيرة من المسافرين ولكنها ليست لديها الكثير من السائقين الممتازين » وتلاحظ له أن الفتاة كانت مصغية فشعر بالارتياح لذلك بعض الشىء • ولاحظت المرأة أنه غاضب للغاية فقالت « لن أقدم تقريرا عنك » •

فقال لوى بصوت مرتفع « حسنا • قدمى تقريرا عنى • يمكنك أن تخرجى من الاتوبيس ولكنك لن تجلسى فى هذا المقعد • فالمسافرة على هذا المقعد معها توصية من الطبيب » •

وكان هذا مجرد عذر للتخلص من المأزق ولكن المرأة العجوز أمسكت عليه هذه الغلطة وقالت « ولماذا لم تقل ذلك منذ البداية ؟ اننى لا ينقصنى الذوق والادراك السليم • ولكننى سأقدم تقريرا عنك بسبب قلة أدبك وقلة ذوقك » •

فقال لوى فى اعياء « وهو كذلك يا ماما • اننى معتاد على ذلك » •

وتحركت المرأة للخلف الى المقعد التالى مباشرة • وراح لوى يفكر • انها ستصغى بأذنيها الكبيرتين وتتصيد الاخطاء لى • وقال لنفسه « حسنا • فلادعها تفعل ذلك • فعدد المسافرين عندنا أكثر من عدد

السائقين » • وكانت الفتاة قد وصلت الى جانبه حينئذ وقد أبرزت تذكرتها • فقال لها لوى بطريقة لا ارادية « أستذهبين فقط الى الكورنرز ؟ » •

فقالت الفتاة « نعم • وعلى أن استقل أتوبيسا آخر من الكورنرز » وابتسمت بسبب نغمة الشعور بخيبة الامل التى ظهرت لدى تساؤله •

فقال لها « هذا هو مقعدك • هنا مباشرة » ثم راقبها عندما جلست ووضعت ساقا على ساق وجذبت جونلتها الى أسفل ووضعت حقيبة يدها الى جوارها وانتصبت فى جلستها وأصلحت من شأن ياقتها •

وكانت الفتاة تدرك أن لوى يرقب كل حركة تأتى بها • فهذا هو ما كان يحدث لها دائما • وهى كانت تعرف أنها تختلف عن الفتيات الاخريات ولكنها لم تعرف تماما كيف كان ذلك الامر • ومن ناحية اخرى كان شيئا لطيفا أن تحصل على أحسن مقعد وأن تجد من يشترى لها الطعام وأن تجد يدا ممسكة بذراعها لدى عبورها الشوارع ، اذ لم يكن بمقدور الرجال أن يمنعوا أنفسهم من وضع أيديهم عليها ولكن كانت هناك دائما المتاعب مما كان يضطرها لان تتملق أو تسب أو تقاتل لكى تخلص نفسها من مأزق اذ كان جميع الرجال يريدون منها نفس الشيء وكان ذلك هو ما يحدث بالضبط • وكانت تسلم بالامر الواقع وكانت تلك حقيقة واقعة •

وهى قد عانت من ذلك الامر عندما كانت صغيرة فى السن • فقد كان عندها احساس بالشعور بالذنب بسبب عدم الالتزام بالاخلاق الحميدة • ولكن ما أن أصبحت أكبر سنا حتى تقبلت هذا الامر وطورت من وسائلها وطرائقها وحيلها • وهى أحيانا كانت تستسلم وأحيانا أخرى كانت تحصل على النقود أو الملابس • وكانت تعرف معظم المحاولات التى يقوم بها الناس للتودد اليها وكسب رضاها • حتى أنه كان باستطاعتها أن تتنبأ بكل شيء سيقوله لوى أو سيفعله فى نصف الساعة التالية • وهى من خلال حاسة توقع الامور قبل حدوثها كان باستطاعتها فى بعض الاحيان أن تحول دون وقوع المواقف المؤلمة • فالرجال الاكبر سنا كانوا يريدون تقديم العون والمساعدة لها وادخالها فى المدرسة أو وضعها على المسرح • أما الشبان فكان بعضهم يريدون الزواج منها أو تقديم الحماية لها • ولكن عددا قليلا للغاية من الشباب كان يريد بكل صراحة وأمانة أن يذهب معها الى الفراش مع التعبير عن ذلك لها •

وهؤلاء كانوا أسهل الفئات ، حيث كان باستطاعتها أن توافق أو ترفض وتحسم الامر على النحو الذى تراه • أما أبغض الامور الى نفسها فيما يتعلق بموهبتها أو بنواحي الضعف فيها هو المشاجرات التى كانت تدور من حولها • اذ كان الرجال يقاتلون بعضهم البعض فى وحشية عندما تسافر من مكان لآخر • كانوا يقتتلون مثل كلاب الصيد • وكانت أحيانا تتمنى أن تجد الحب والتعاطف فى قلوب النساء نحوها • الا أن النساء كن يكرهنها • وأدركت بذكائها السبب فى عدم حب النساء لها ولكن لم يكن فى استطاعتها أن تفعل شيئا ازاء هذا الامر • فكل ما كانت تريده فى الحقيقة هو منزل جميل فى مدينة جميلة وطفلان ومجموعة من السلالم تقف عليها بالاضافة الى ارتدائها للثيـاب الانيقة وحضـور الضيوف الى منزلها لتناول العشاء وبالطبع سيكون لها زوج ولكنها لم تستطع رؤيته فى مخيلتها لان الاعلانات فى المجلات النسائية والتى نبع منها حلمها لم تكن تشتمل على أى رجل على الاطلاق • مجرد امرأة محببة للنفس فى ملابس لطيفة تهبط الدرج وضيوف فى صالة الطعام وشموع ومنضدة للطعام داكنة اللون ومصنوعة من الخشب وأطفـال يتميزون بالنظافة تقبلهم وهى تقول لهم تصبحون على خير • ذلك هو ما كانت تريده فى الحقيقة وهى كانت تدرك أن ذلك أمر لن يتحقق شأنه فى ذلك شأن أى شىء آخر •

وكان يوجد قدر كبير من الحزن فى داخلها • وكانت تتعجب من أمر النساء الاخريات • هل كن مختلفـات عنهـا ؟ اذ تلاحظ لها أن استجابات الرجال مع معظم النساء مختلفة عن استجاباتهم معها • ان رغباتها لم تكن قوية ومستمرة بشـكل هائل ولكنها لم تكن تعـرف الحالة التى عليها النساء الاخريات • اذ لم تناقش هذا الامر مع احداهن من قبل لانهن جميعا لا يشعرن بالارتياح اليها • وذات مرة ذهبت الى طبيب شاب لتخفيف حدة الآلام الشهرية عندها فقام بالاضطجاع معها وعندما تحدثت معه بصراحة ووضوح فى ذلك الامر فقال « كل ما فى الامر انك تنشرين الرغبة فى الهـواء • ولست أدرى كيف يتم ذلك • وبعض النساء لديهن نفس الظاهرة • ونحمد الله على أنه لا يوجد عدد كبير من هذا النوع لكى لا يجن جنون الرجال » •

وحاولت أن ترتدى ملابس بسيطة خالية من الزينة ولكن ذلك لم ينفع كثيرا • ولم يكن باستطاعتها الاحتفـاظ بوظيفة عادية ألا وهى الكتابة على الآلة الكتابة • لان المكاتب كانت تتحطم تماما عندما تذهب

لتأدية عملها • فاضطرت في الآونة الاخيرة أن تحصـــل على النقـود بطريقة غير شرعية • طريقة تدر عليها مبالغ كثيرة ولا تعرضها لكثير من المتاعب • اذ كانت تخلع ملابسها في بيوت اللهو • وكانت هنـاك وكالة تصرف لها أمورها وفقا للنظم المرعية • وهي لم تكن تفهم بيوت اللهو ولا نوع الاشباع الذى يحققه الرجال من ورائها ولكن ها هم كانوا هناك وكانت تحصل على خمسين دولارا كأجر لها نظير خلع ملابسها • وكان ذلك أفضل لها من أن تتمزق ملابسها في أحد المكاتب • وهي على أية حال قد قرأت عن شبق النساء بما فيه الكفـاية فأدركت أنها ليس لديها هذه الحالة • وكثيرا ما تمنت أن تكون لديها حالة الشبق هذه • وأحيانا كانت تعتقد أن عليها أن تدخل في أحد البيـوت وتوفر قدرا كبيرا من النقود ثم تعتزل العمل وتذهب للريف أو تتزوج رجلا كبيرا في السن بحيث تستطيع السيطرة عليه • وقد يكون ذلك هو أسـهل الطرق • فالشباب الذي يمثـل اغراء بالنسـبة لها كانوا يميلون للشراسة والبذاءة ويشكون فيها ويتهمونها بالفسق والخداع • وكانوا اما ان يتجهموا في وجهها واما أن يحاولوا اعطاءها علقة ساخنة واما أن يتفجر غضبهم ويلقون بها بعيدا •

وبدأت تصون نفسها وذلك هو ما انتهت اليه الامور • ولكن ربمـا كان المخرج الحاسم لها هو الاقتران برجل عجوز يمتلك بعض الاموال • وستكون هي طيبة معه وستجعله يشـعر فعلا أنها تسـتأهل أمواله ووقته • وكان لها صديقتان فقط • وكانتا تسـكنان معهـا في منزل واحد • ولم يحدث أبدا أن شعرتا نحوها بالحقد أو الغيرة أو الاستياء أو الاستنكار • ولكن احداهن قد غادرت المنطقة ولم تعرف المكان الذى ذهبت اليه فهي سارت مع مجموعة من الناس الى مكان ما • أما الفتـاة الاخرى فكانت تعيش مع رجل يعمل في مجال الاعلانات ولم ترد لها أن تكون بالقرب منها •

كانت تلك هي لوزين • وكانتا تعيشان سويا في شقة واحدة • ولم تهتم لورين كثيرا بالرجال ومع ذلك فهي لم تحب النسـاء بقدر كبير للغاية ولكن لورين بعدئذ ارتبطت فجأة مع رجل الاعلانات هذا وطلبت منها أن تترك الشقة وشرحت لورين لها كل شيء عندما طلبت منها عدم الاقامة معها •

لقد كانت لورين تعمل في أحد البيـوت ووقع في حبهـا رجل الإعلانات وكانت لورين قد أصيبت بمرض السـيلان وحتى قبل أن

تظهر عليها أعراض المرض فانها نقلت هذا المرض الى رجل الاعلانات ٠ وكان هو من النوع العصبى ففقد أعصابه الى حد الجنون وفقد وظيفته ، وجاء الى لورين شاكيا لها مما حدث ٠ فشعرت على نحو ما أنها مسئولة عما حدث له ولذلك فانها لمت شمله وأطعمته أثناء تناولهما العلاج ٠ وكان ذلك قبل ظهور طرق العلاج الجديدة ولذا كان العلاج قاسيا وعنيفا الى حد ما ٠

وبعدئذ داوم رجل الاعلانات هذا على تناول الحبوب المنومة ٠ وكان يتعرض لنوبات من الاغماء وفقد الوعى وكان غامضا بعض الشىء وكان يشعر بحدة المزاج ما لم يتناول الحبوب الخاصة به وراح يتناول الكثير والكثير منها حتى أن لورين اضطرت لان تجرى له غسيل معدة مرتين ٠

وكانت لورين فى الحقيقة فتاة طيبة وكانت الامور صعبة بالنسبة لها لانه لم يكن باستطاعتها العمل فى المنزل الى أن تشفى من مرضها فهى لم ترغب فى نقل العدوى لاى شخص تعرفه ٠ وفى نفس الوقت كان عليها أن تحصل على النقود لكى تدفع ثمن روشتات الاطباء والعلاج والطعام وقيمة ايجار الشقة ٠ فكانت مضطرة للعمل فى الشوارع فى « جليندال » لتحصل على النقود ولم تكن هى نفسها تشعر بالارتياح لذلك ٠ وبعدئذ أصبح رجل الاعلانات هذا يشعر بالغيرة عليها ولا يريد لها أن تعمل على الرغم من أنه هو نفسه أصبح بدون وظيفة يكسب منها قوته ٠ وتمنت لو أن الامر كله قد نسف من أساسه فى هذا الوقت بحيث تحصل هى ولورين على الشقة وتعيشا سويا فقد كانتا ثنائى لطيف مع بعضهما البعض ٠ اذ كانتا تعيشان فى مرح هادىء وجميل ٠

ولقد كانت هناك سلسلة كاملة من الارتباطات فى شيكاغو ووفرت بعض النقود من العمل فى بيوت اللهو وكانت تستقل الاتوبيسات عند عودتها الى لوس أنجلوس توفيرا فى النفقات وكانت تريد أن تعيش فى هدوء لبعض الوقت ٠ وهى منذ فترة طويلة لم تصلها أخبار عن لورين لان الخطاب الاخير جاء فيه أن رجل الاعلانات هذا كان يقرأ خطاباتها وأن عليها ألا ترسل خطابات لها ٠

وكان آخر المسافرين يمرون من الابواب ويدخلون الى الاتوبيس ٠

ووضع لوى ساقا على ساق ٠ وكان متهيبا وخجولا بعض الشىء من هذه الفتاة وقال لها « أظنك ذاهبة الى لوس أنجلوس ٠ هل تعيشين هناك ؟ » ٠

« بعض الوقت » •
« اننى أحاول استكشاف الناس وفهم اتجـــاهاتهم • فأنا بحكم مهنتى أشاهد عددا كبيرا من الناس » •

وتنفس موتور الاتوبيس تنفسا هادئا وكانت المرأة العجوز تحملق فى لوى • وكان باستطاعته رؤيتها فى المرآة • ربما ستوسل خطابا للشركة •

وقال لنفسه « حســــنا • فلتـــذهب الشركة للجحيم » اذ كان باستطاعته دائما أن يحصل على وظيفة • والشركة على أية حال لا تهتم بخطابات النساء المسنات كثيرا • وحملق فى الجزء الاخير من الاتوبيس وبدا الامر كأن الرجلين الهنديين قد وضعا أيديهما فى حالة سكون تام أما الرجل الصينى فقد فتح مجلتى : التايم والنيـــوزويك فى حجره وراح يقارن المقالات الاخبارية فى كل منهما • وكان رأسه يتـأرجح من مجلة لاخرى وكانت هناك تجعيدات فوق المساحة التى تعلو أنفه فيما بين حاجبيه مما يدل على الحيرة والارتباك • ولوح العامل الذى يعطى اشارة البدء فى المسير للوى ايذانا بالمسير •

وحرك لوى العتلة فأغلقت الباب ونقل ترس التعشيق الى التشغيل المعكوس وزحف خارجا من المزلقان المصنوع من الخرسانة ثم تحرك فى خفة وعلى اتساع حتى أن الاكصدام الامامى تفادى الحـــائط الشمالية بجزء من البوصة ، وتحرك على اتساع مرة أخرى بالتشغيل المنخفض وتفادى الجانب الآخر من الزقاق بجزء من البوصـــــة • وتوقف عند التقاء الزقاق بالشارع وتأكد من أن الشـــــارع خال أمامه • ثم دار بالاتوبيس فانتقل الى الجانب الآخر من الشارع • لقد كان لوى سائقـا ممتازا وله سجل حافل • وتقدم الاتوبيس فى الشارع الرئيسى لسان يسيدرو ووصل الى ضواحى المدينة ومنها الى الطريق الرئيسى الخـالى أمامه •

وكانت السماء والشمس مغســـولتين ونظيفتين • وكانت الالوان ناصعة بشدة • وكانت الحفر مليئة بالمياه الجارية • وفى بعض الاماكن التى توجد بها حفر مسدودة كانت المياه تمتد فوق الطريق الرئيسى • وكان الاتوبيس يضرب المياه فى حفيف هائل حتى أن لوى كان يشعر بالشد والجذب فى عجـــلات الاتوبيس • وكان العشب متموجا فى تداخل كالحصيرة بسبب قوة الامطـــار ولكن دفء الشمس بدأ يعيد

القوة الى العشب الخصيب حيث أخذ يرتفع بهامته من جديد على الاماكن المرتفعة ·
وحملق لوى فى مرآة الاتوبيس الداخلية نحو الفتـاة مرة أخرى · وكانت هى تنظر الى مؤخرة رأسه · ولكن شيئا ما جعلها تنظر لاعلى فى المرآة ثم تنظر مباشرة فى عينى لوى فانطبعت العينـان ذات الخطوط السوداء والانف الجميل المستقيم والفم الذى يبدو مسـتديرا بسبب وضع الروج بأسلوب معين انطبع كل ذلك كالصـورة الفوتوغرافية فى ذهن لوى بشكل دائم · وعندما نظرت فى عينيه ابتسمت كما لو أنهـا شعرت بأنها على ما يرام ·
وأدرك لوى أن الانسداد بدأ يزحف الى حلقه ، وأن ضغوطا أخذت تتصاعد فى صدره فاعتقد أنه فى حالة من الحب والغرام الشديد · وهو كان يعرف عن نفسه أنه خجول ولكنه فى معظم الاحيان كان يقنع نفسه بأنه ليس خجولا · وكان يمر بجميع الاعراض الموجودة لدى شاب فى السادسة عشرة من عمره · وانتقلت عيناه من الطـريق الى المرآة ومن المرآة الى الطريق وهكذا · وأدرك ان خدوده حمـراء فقـال لنفسه : « ما هذا بحق السماء ؟ هل سأشعر بالخجل والارتباك أمام عاهرة ؟ » ونظر اليها فى مزيد من الدقة لعله يجد شيئا ينقذ به نفسه ، وعندئذ شاهد آثارا عميقة ناجمة عن استخدام الملقط على طول فكيهـا ، فأدى ذلك الى شعوره بشىء من الارتياح لانها اذا أدركت أنه شاهد آثار الملقط ستكون أقل جسارة أقل ثقة بنفسها · اثنان وأربعـون ميلا · ودخلت الارقام الى رأسه · انها ستنزل عند الميل ٤٢ وكان عليه أن يسـتغل الوقت القصير المتبقى · عليه ألا يضيع دقيقة واحدة اذا أراد التـوافق مع هذه الانسانة الصغيرة الشرسة ذات الطابع العملى · وعندما حاول التكلم جاء صوته مبحوحا ·
فانحنت خلفه مباشرة وقالت « لم أسمع ما تقول » فكح لوى وقال « كنت أقول أن منظر الارض يبدو جميلا بعد المطر » ·
« نعم · انها تبدو جميلة » ·
وحاول أن يعود الى الطريقة التى يسـتخدمها عادة فى اصـطياد الفتيات · ولاحظ فى المرآة أنها مازالت منحنية للامام لتصـغى له · فقال « سبق أن قلت فاننى أحاول أن استكشـف الناس · مع فهم اتجاهاتهم · ويمكننى القول أنك ظهرت فى الافلام السـينمائية أو على المسرح » ·

فقالت الفتاة « لا • أنت مخطيء فى استنتاجك »
« ألست مشتركة فى عروض جماهيرية ؟ » •
« لا »
« حسنا • هل لك عمل معين ؟ »
فضحكت • وكان وجهها جذابا للغاية عندما ضحكت • ولكن لوى لاحظ أن احدى أسنانها العليا الامامية ملتوية • اذ كانت تلك السنة مستندة على السنة المجاورة لها ومتداخلة معها • وتوقف ضحكها فغطت شفتها العليا السنة • فقال لوى لنفسه « انها مدركة لهذا العيب » •
وسبقته فى أفكاره • حيث عرفت مقدما ما سيقوله • وقد حدث لها ذلك مرات عديدة من قبل • فهو سيحاول معرفة عنوان مسكنها ورقم تليفونها • وكانت هذه مسألة سهلة • فهى لم تقطن فى أى مكان • وكانت قد استبقت حقيبة كبيرة مع لورين بها بعض الكتب : الكابتن النافخ فى الصور — حياة بتهوفن — وبعض القصص القصيرة من تأليف سارويان ، بالاضافة الى بعض ثياب السهرة القديمة لكى تستبدل بأخرى جديدة • وأدركت ان لوى بدأ يواجه المتاعب فهى كانت تعرف جيدا ذلك الاحمرار الذى يعلو ياقة قميص الرجل وكانت تعرف سماجة الحديث المفتعل • وشاهدت لوى وهو يحملق فى قلق فى المرآة الى مؤخرة الاتوبيس •
كان الهنديان يبتسمان قليلا لبعضهما البعض • وكان الرجل الصينى يحملق لاعلى فى الهواء محاولا معرفة بعض أوجه التباين فى القصص والموضوعات التى كان يقرأها • وكان هناك رجل يونانى فى المقعد الخلفى يقطع سيجارا ايطاليا الى نصفين بواسطة مطواة جيب • وكانت المرأة العجوز تؤجج ثورة الغضب فى صدرها ضد لوى حيث وجهت نظرة حديدية قاسية الى مؤخرة رأسه وارتعش ذقنها بفعل ثورة الغضب وابيضت شفتاها بسبب التوتر الناجم عن الضغط عليها •
وانحنت الفتاة مرة أخرى للامام وقالت « سأوفر عليك الوقت • اننى أعمل ممرضة أسنان • ولذلك فأنا أفعل كل تلك الامور فى عيادة الاسنان » • وهى غالبا ما كانت تستخدم هذه العبارة ولم تعرف السبب فى ذلك • ربما لانها توقف التفكير فى الجوانب المختلفة لهذا الموضوع حيث لا تكون هناك أسئلة أخرى عقب قولها تلك العبارة • فالناس لم تكن لديهم الرغبة فى التحدث كثيرا عن طب الاسنان •

وتقبل لوى هذا القول • ووصل الاتوبيس الى مزلقان للسكة الحديد • فدفع لوى بطريقة آلية فرملة الهواء فى أتوبيسه فتوقف عن السير • وما أن رفع يده عن الفرملة حتى أحدثت صفيرا وأزيزا فقام بالتعشيق وانطلق بسرعته المعهودة مرة أخرى • وأدرك أن الامور تطبق عليه • فهذه الكلبة العجوزة كانت على وشك اثارة المتاعب فى أية لحظة• وهو لن يحصل على ٤٢ ميلا بالمرة • فما أن تتدخل هذه الكلبة العجوزة حتى ينتهى الامر • وأراد الاستفادة من الوقت بقدر المستطاع ولكن لم يكن هناك متسع من الوقت لتطبيق الاساليب التى يستخدمها • فلا ينبغى استخدام فنونه لمجرد الفوز باعجابها على مدى نصف ساعة ثمينة ، ولكن هذه الكلبة العجوز كانت تضطره لان يفصح عن نواياه للفتاة قبل أن يقوم بالتمهيد اللازم لذلك •

فقال للفتاة « انني أحيانا أذهب الى لوس أنجلوس • اهناك مكان ما يمكنني أن أقابلك فيه وربما يكون باستطاعتنا تناول طعام العشاء والذهاب الى عرض ترفيهى سويا ؟ »

فشعرت بارتياح لقوله • اذ لم يبد عليها أى قدر من الوقاحة أو السفالة • وردت قائلة « لست أدرى • فأنا فى الحقيقة لا أسكن حاليا فى أى مكان • وأريد الحصول على شقة بأسرع ما يمكن » •

فقال لوى « ولكنك تعملين فى مكان ما • ولربما أستطيع الاتصال بك هناك »

وكانت المرأة العجوز تتنفس وترتعد وتتلوى فى مقعدها ؛ كانت غاضبة لان لوى ركلها من المقعد الامامى • وقالت الفتاة « حسنا • لا • أنظر • انني لم أحصل على عمل ولكنني بالطبع سأحصل على عمل على وجه السرعة لان من يعمل فى نفس مهنتى يحصل على عمل بسرعة » •

فسألها لوى « أليس فى قولك هذا نوع من التملص ؟ »

« لا »

« حسنا • ربما تستطيعين الكتابة الى عندما يستقر بك الحال »

« ربما »

« لانني أحب أن أعرف فتاة أرتاد معها الاماكن العامة فى لوس أنجلوس » •

وهنا جاء الصوت مجلجلا وحادا كحجر المسن « يوجد قانون فى هذه الولاية بشأن التحدث مع المسافرين • عليك بمراقبة الطريق » ثم وجهت المرأة العجوز الحديث الى جميع الركاب قائلة « ان هذا السائق

يعرض حياتنا جميعا للخطر • وســأطلب النزول من الاتوبيس اذا لم يركز انتباهه على قيادته للاتوبيس » •

فتوقف لوى عن الحديث تماما • فهذا الـكلام الذى قالته المرأة العجوز كان خطيرا • كان باستطاعتها فعلا أن تخلق المتاعب • ونظر فى المرآة وعثر على عينى الفتاة فقال وهو يحرك شـفتيه فقط « الكلبة العجوز الذابلة الملعونة » •

فابتسمت الفتاة ووضعت أصابعها على شفتيها • وهى من ناحية قد استراحت ومن ناحية أخرى شعرت بالاسف وأدركت أنها ربما تتعرض للمتاعب مع لوى ان عاجلا أو آجلا • ولكنهـــا أدركت أيضا من نواح عديدة كان شخصا لطيفا يمكنها أن تتعامل معه الى حد معين • وأدركت من الأحمرار والخجل اللذين يعلواه أنه باســتطاعتها ايقافه عند حده بمجرد ان تقوم بجرح مشاعره •

ولكن المسألة انتهت • وأدرك لوى ذلك • فالفتـــاة لم تكن على استعداد لايقاع نفسها فى ورطة • ولقد كان عليه الاستفادة بالوقت أثناء سير الاتوبيس لانه بمجرد أن يصل الاتوبيس الى محطة من المحطـــات حتى يرغب المسافرون فى الخروج بأسرع ما يمكن • وهو آنئذ قد خسر الجولة • ففى الريبل كورنرز سيتوقف لفترة تسمح فقط بنزول هذه الفتاة وانزال سلة الفطائر الملعونة • وانحنى فوق عجلة القيادة • أما الفتاة فقد طوت يديها فى حجرها ولم تعد عيناها تنظران لاعلى لتتــلاقى مع عينيه فى المرآة • كان هناك الكثير من الفتيات الاكثر جمالا من هذه الفتاة • فتلك الندبات الغائرة الناجمة عن استخدام الملقط كانت قبيحة للغاية • وهى من شأنها أن تجعل الشخص الذى يراها يرتعد خوفا • ولذلك كان من الطبيعى أن تصفف شعرها بحيث يكون طويلا من الامام لكى تغطى هذه الندبات • ولم يكن باســتطاعة هذه الفتاة أن تصفف شعرها لاعلى وكان لوى يحب الشعر المصـــفف لاعلى • وبحق السيد المسيح فلنفرض أنه استيقظ فى السرير ورأى تلك الندبات الغائرة ! ان العالم مليىء بأعداد كبيرة من الخنزيرات مما يتيح الفرصة للوى لان يدبر أموره بنجاح ولكن كانت توجد أثقال من الهم والحزن فى صدره وفى معدته • وحاول التغلب على تلك الاثقال والتخلص منها تدريجيـــا ولكنها كانت راسخة فقد رغب فى هذه الفتاة أكثر من أى فتاة أخرى سبق له أن عرفها • وشعر بأحسيس الضياع الجافة البغيضة الى النفس لانه لم يتمكن من معرفة اسمها ولم يعد هناك أمل فى التوصـــل الى أى

نجاح معها • واستطاع أن يرى عينى ادجار المتلهفتين وهو يستجوبه عقب عودته الى سان يسيدرو • وساءل نفسه عم اذا كان ينبغى عليه ان يكذب على ادجار •

وغنت الاطارات العظيمة الضخمة على الطريق أغنية عالية مولولة واختلج الموتور بضربات ثقيلة • وكانت توجد مساحات من السحب الضخمة المشبعة بالمياه ملقاة فى السماء سوداء كالهباب فى الوسط وبيضاء لامعة عند الاطراف • وكانت احداها تزحف آنئذ لاعلى فوق الشمس • وكان باستطاعة لوى أن يشهد ظلها أمامه على الطريق الرئيسى مندفعا فى اتجاه الاتوبيس • والى الامام بعيدا على الطريق الرئيسى استطاع أن يرى الربوة الخضراء الشاهقة من أشجار البلوط التى نمت بالقرب من صالة الطعام فى الريبل كورنرز فتملكته مشاعر خيبة الامل •

وجاء جوان شيكوى الى جانب الاتوبيس عندما كبح جماحه • وعندما فتح الباب تساءل « ماذا أحضرت لى ؟ » فقال لوى « مسافرة واحدة وعددا كبيرا من الفطائر » ونهض عن مقعده وتحسس فيما حوله ثم رفع حقيبة سفر الفتاة ، وتشعبط هابطا الى الارض ثم رفع يديه ووضعت الفتاة يدها على ذراعيه وهبطت الدرج • وسارا سويا نحو صالة الطعام • وقالت « مع السلامة »

فقال لوى « مع السلامة » ووقف ينظر اليها وهى تدخل الى صالة الطعام •

وكانت المرأة العجوز قد تحركت الى المقعد الامامى • وحرك لوى العتلة فأغلق الباب • ونقل الاتوبيس الى السرعة الاعلى وانطلق بعيدا • وعندما أخذ الاتوبيس سرعته المناسبة وصارت الاطارات تدوى فى رنين على الطريق الرئيسى نظر فى المرآة • لقد أظهرت المرأة العجوز تعبيرات النصر الوضيع على وجهها •

فقال لوى لنفسه « لقد أضعت على الفرصة • لقد قمت باغتيال الفرصة وقتلها » •

فنظرت المرأة العجوز لاعلى والتقت عيناها بعينيه فى المرآة • فقال لوى كلمات صامتة بشفتيه فى شىء من التعمد : « أيتها الكلبة الملعونة العجوز !! » وعندئذ رأى شفتيها تتوتران وتتخذان لونا أبيض • فقد أدركت ما كان يعنيه •

وغنى الطريق الرئيسى على طول المسافة أمام الاتوبيس •

الفصل الثامن

وحمل جوان وبيميلز سلة فطائر « الأم ماهونى المعدة » بالمنزل » الى مكان بالقرب من صالة الطعام ووضعاها على الارض • وراقب كلاهما الفتاة الشقراء وهى تدخل من الباب • فأطلق بيميلز صفيرا يشبه خرير الماء المنخفض • وتصببت راحتا يديه فجأة بالعرق • وضاقت عينا جوان الى أن سطع بريق ضئيل فقط بين رموش عينيه ، ولعق شفتيه فى سرعة وعصبية •

وقال جوان « أعرف ماذا تعنى • أتريد أن تمضى بعض الوقت فى الخارج وترفع ساقك فوق شجرة ؟ » •

فقال بيميلز فى دهشة « يا الهى » •

وقال جوان « نعم » وانحنى الى الامام وأدار المزلاج على السلة ورفع الجانب الذى يتحرك على مفاصل وقال « سأتراهن معك رهانا بسيطا يا كيت »

« ما هو ؟ »

فقال جوان « أراهن • أراهن اثنين لواحد أنك قد وضعت فى ذهنك أنك لم تحصل على يوم أجازة منذ أسبوعين وأنك ترغب فى أن تحصل اليوم على أجازة وتسافر الى سان جوان معى • وربما نستفيد من ذلك اذا تعطل الاتوبيس مرة أخرى » •

فشعر بيميلز بالخجل وظهر الاحمرار من حول البثور والطفح الجلدى • ورفع عينيه فى قلق ونظر الى جوان • وكان يوجد قدر كبير من البشاشة بدون سموم فى عينى جوان حتى أن بيميلز شعر بالتحسن • وفكر « يا الهى • انه لرجل عظيم • فلماذا أقدم عملى لاى انسان آخر فى أى وقت ؟ »

ثم قال بيميلز بصوت مرتفع « حسنا » وشعر أنه يتحدث كرجل الى رجل • وكان جوان يفهم الطريقة التى ينظر بها الشباب الى الامور • فعندما كانت تمر فتاة ناعمة مثل « كعكة الغريبة » كان جوان يعرف المشاعر التى يحس بها أى شاب •

وقال بيميلز مرة أخرى « حسنا » •

ورد عليه جوان متمتما « حســـــنا • ولكن من الذى سيشرف على مضخات البنزين ويركب اطارات السيارات ؟ » •

فتساءل بيميلز « ومن الذى كان يفعل ذلك من قبل ؟ »

فقال جوان « لا أحد • فقد اعتدنا على مجرد وضع لافتة على الجراج مكتوب عليها (مغلق للاصلاحات) • وآليس يمكنها أن تضخ البنزين » ثم طرق على كتف بيميلز فى غير مبالاة •

وقال بيميلز فى نفسه « ياله من رجل • ياله من رجل !! » وكانت الفطائر ممسوكة بواسطة فتحات صغيرة تشبه الصــينية بحيث كانت تمسك أطراف الاقسام وتجعل كل فطيرة منفصـــلة عن باقى الفطائر الاخرى • كان يوجد بها أربعة طوابق ويضم كل طابق ١٢ فطيرة ــ أى أن مجموع ما فى السلة ٤٨ فطيرة •

وقال جوان « فلنأخذ ٦ فطائر توت ، ٤ كريم بالليمون ، ٤ زبيب العنب ، ٢ كريم كاستارد بالكراميلا » واستخرج الفطـائر أثناء تكلمه ووضعها على قمة السلة وقال « خذها الى الداخل يا بيميلز ــ أقصـــد يا كيت » •

وأخذ بيميلز فطيرة فى كل يد ودخل الى صالة الطعـام • وكانت الشقراء جالسة على كرسى بدون مسند تحتسى فنجانا من القهوة • ولم يستطع أن يرى وجهها ولكنه أحس بالـــكهرباء أو شىء من هذا القبيل تسرى فى كيانها • ووضع الفطائر على الكاونتر •

وعندما استدار خارجا للمرة الثانية أحس بالصـــمت مهيمنا على صالة الطعام •

كان كل من المستر برتشارد والرجل العجوز المشـــاغب المتشائم والرجل الشاب هورتون فى حالة افتتان • ارتفعت عيونهم وفاضت على الشقراء ثم هبطت حدة نظراتهم • أما الانســـــة برتشارد وأمها فكانتا تسددان النظرات الى أكوام « نخالة الردة » الموجودة خلف الكاونتر •

ولم تكن آليس هنـــاك خلف الكاونتر ولكن نورما كانت هنـــاك أمام الشقراء حيث كانت تمسح الكاونتر بخرقتها •

وتساءلت نورما « أتحبين أن تأخذى قوقعة من الحلوى ؟ » فتــوقف بيميلز عن السير لكى يتمكن من سماع صوت الشقراء •

فقالت الشقراء « نعم • أعتقد ذلك » • وما أن سمع بيميلز صوتها الجميل المبحوح حتى تقلصت معدته وتشنجت لا اراديا •

وقال جوان « حرك نفسك وأسرع • ففى استطاعتك أن تنظر اليها

طوال الطريق الى ســان جوان اللهم الا اذا كنت ســتفضل أن تقود الاتوبيس »

ودفع بيميلز بالفطائر الى الداخــل • ست عشرة فطيرة فقط فى الخــارج • معنى ذلك أنه ترك اثنتين وثلاثين • وأغلق جوان جانب السلة وأدار المزلاج • وعندما خرج بيميلز للمرة الاخيرة قام بمساعدة جوان فى وضع سلة الفطائر فى الحقيبة الســوداء الكبيرة الخاصــة بالاتوبيس « ســـويت هارت » • وكان الاتوبيس جاهزا فى تلك الآونة • كان مستعدا للانطـــلاق والمسير • ووقف جوان الى الخلف وألقى نظرة عليه • صحيح أنه ليس من نوع الجريهاوند ولكنه لم يكن رديئا • وحول نوافذه كان يوجد قدر ضئيل من الصدأ ظاهرا من خلال طلاء الالمونيوم • سيكون عليه أن يعالج هذا الصـــدأ • ويمكن لاغطية محاور العجل أن تتخذ طلاء جديدا أيضا •

وقال لبيميلز « فلنستعد للمسير • أغلق أبواب الجراج بالقفل • وبين المقاعد أسفل توصيلات خرطوم الردياتير ســتجد اللافتة التى تضعها على الباب • وعليك بالقفز السريع الآن اذا كنت تريد اســتبدال ملابسك » •

فقفز بيميلز نحو باب الجراج • واســتقام جوان فى وقفته ونشر ذراعيه بعيدا عن جانبيه ثم تحرك نحو صالة الطعام •

وكانت ساق المستر برتشارد اليمنى موضوعة على ساقه اليسرى بشكل متقاطع وأحدثت مقدمة حذائه المغلقة حركات تشنجية • فهو قد أمعن النظر فى وجه الشقراء عندما دخلت الى صـــالة الطعام ودبت فيه متعة مثيرة • ولكنه كان حائرا • فقد خيل اليه أنه قد شاهد هذه الفتاة من قبل فى مكان ما • من المحتمل أن تكون قد عملت فى أحد مصـــانعه كسكرتيرة وربما فى مكتب أحد أصدقائه • ولكنه قد رآها من قبـــل وشعر أنه قد رآها بكل تأكيد • وكان يعتقد أنه لا ينسى أبدا وجها من الوجوه بينما كانت الحقيقة أنه نادرا ما كان يتذكر وجها من الوجوه فهو لم يكن ينظر نظرة فاحصة الى أى وجه اللهم الا اذ كان قد وضـــع خطة للدخول فى عمل تجارى مع صـــاحب ذلك الوجه • وتعجب من الشعور بالذنب الذى هبط عليه نتيجة لتذكره لهذه الفتاة • وســاءل نفسه فى تعجب : ترى أين شاهد هذه الفتاة من قبل ؟

وكانت زوجته تنظر خفية الى قدمه التى تتحـرك فى اهتزاز وكان ارنست هورتون يحملق بكل صراحة فى ساقى الفتاة وشـعرت نورما

بالارتياح نحو الفتاة • وكانت نورما تشبه لورين من زاوية واحدة • فهي لم تكن تحب سوى شخص واحد فقط ولذلك لم يكن لديها أى شيء يمكن تفقده • وهذه الفتاة كانت لطيفة ومهذبة وكان حديثها شيقا وعلى نحو يدخل السرور الى القلب • وهذه الفتاة قد شعرت هى الاخرى بالارتياح نحو نورما لانها من النوع الذى يمكن أن يحوز اعجابها •

وقبل ان يصل أتوبيس الجريهاوند مباشرة قالت آليس لنورما « راقبى الكاونتر • ممكن ؟ سأعود حالا » ثم انشغلت أفكار نورما مع الاتوبيس والشقراء واحضار القهوة • الا أن فكرة هبطت عليها فجأة مما جعلها تشعر بالغثيان فى داخلها • فقد عرفت ما كان يحدث كما لو كانت تراه • وما أن عرفت حتى قفزت الى رأسها حسابات عديدة تتعلق بغضبها المريض • رزمة النقود الضئيلة فى شكل أوراق بنكنوت صغيرة • يمكنها استخدام تلك النقود لحين الحصول على وظيفة • ولماذا لا تذهب من الآن طالما أنها ستذهب فى وقت وظيفة • ولماذا لا تذهب من الآن طالما أنها ستذهب فى وقت ما ؟ وفتحت الدواليب تحت الارفف الموجودة خلف الكاونتر ودفعت بالفطائر الى داخلها • دفعت بها جميعا باستثناء واحدة من كل نوع • واحدة توت • وواحدة زبيب العنب • وواحدة كريم الليمون وواحدة كريم الكاستارد بالكاراميلا ووضعتها فى صف على الكاونتر • وتسببت الرائحة المنبعثة من هذه الفطائر فى شعورها بمزيد من الغثيان • وكانت لا تزال لا تعرف تماما ماذا تفعل •

وجاء جوان عبر الباب الامامى ووقف ينظر الى مؤخرة رأس الشقراء •

فقالت نورما « أيمكنك أن تراقب الكاونتر لمدة دقيقة يا مستر شيكوى ؟ »

فتساءل جوان « أين آليس ؟ »

فقالت نورما « لا أدرى » ولكنها كان باستطاعتها أن ترى آليس فى ذهنها • لم تكن عينا آليس على ما يرام تماما • وقد تأخذ الخطاب الى النافذة وترفعه فى اتجاه الضوء • وهى لم تكن فى الحقيقة شاعرة بالتسلية • فقد كان نوعا من حب الاستطلاع الفجائى المبهم • وهى قد تميل بعض الشيء نحو الضوء وقد يسقط شعرها فى عينيها مما يجعلها تزيحه عنها وقد تخربش أصابعها فى الصفحات • وارتجفت نورما • اذ رأت نفسها تندفع فى عنف الى داخل الغرفة ورأت نفسها وهى تختطف الخطاب والتوت أصابعها وشعرت ببشرة آليس تحت أظافرها وشعرت

بأظافرها تضرب وتخدش مستهدفة عيني آليس ... تلك العينين الرهيبتين المبللتين المليئتين بالعصارات . وقد تسقط آليس على ظهرها فتهجم نورما على تلك البطن الهائلة الطرية بركبتيها وتنزل خدشا وتمزيقا في وجه آليس وتسيل الدماء من الخدوش .

وقال جوان الذى كان ينظر الى نورما « ماذا دهاك ؟ هل أنت مريضة ؟ »

فقالت نورما « نعم » .

« اذهبى قبل أن تصابى بالغثيان هنا » .

فسارت نورما بحذاء الكاونتر وفتحت باب غرفة النوم برفق . وكان باب غرفتها الخاصة بها مفتوحا فتحة بسيطة للغاية فأغلقت باب صالة الطعام وتحركت فى صمت نحو باب غرفتها . وكانت نورما آنئذ تشعر بالبرودة والقشعريرة . كانت باردة كالثلج . وبدون أن تحدث صوتا دفعت بابها وهناك كانت ـ آليس عند النافذة وقد أمسكت بالخطاب المرسل الى كلارك جيبل ورفعته لاعلى أمام عينيها تاركة شعرها يتهدل على الجانبين .

وأزاحت آليس شعرها ورفعت عينيها ورأت نورما واقفة عند المدخل . كان وجهها مليئا بالشغف الشديد وكان فمها مفتوحا . ولم تستطع أن تغير من تعبيرات وجهها . وتقدمت حتى أن الغضون انحسرت عن فمها . ومدت آليس يدها بالخطاب نحو نورما فى غباء . فأخذته نورما وطوته فى عناية ووضعته فى الصديرى الخاص بها .. ثم ذهبت نورما الى صوان الملابس الخاص بها . وسحبت من تحته حقيبة سفرها . وفتحت الدبوس من الجانب الداخلى لردائها وأخرجت المفتاح من الدبوس وفتحت به القفل الخاص بحقيبة سفرها وبدأت تعبىء الحقيبة فى تثاقل وأفرغت محتويات صوان الملابس فى الحقيبة وضغطت كومة الملابس الى أسفل بجماع يدها واستخرجت من غرفتها فساتينها الثلاثة ومعطفها الذى له ياقة من فراء الارنب ووضعت المعطف على السرير ولفت الفساتين حول المشاجب ووضعتها أيضا فى الحقيبة .

ولم تستطع آليس أن تتحرك . أخذت ترقب نورما ورأسها يدور من اتجاه لآخر وهى تتابع تحركات الفتاة . وفى ذهن نورما كانت توجد صرخة انتصار صامتة . لقد كانت فى القمة بعد حياة عانت فيها من الانحدار . أصبحت فى القمة وكانت صامتة . وشعرت بالارتياح لذلك . ولا كلمة واحدة قالتها ولا كلمة واحدة يمكن أن تقولها . وألقت

بزوجين من الاحذية فى الحقيبة وأنزلت الغطاء فى احـــكام الى أسفل وأغلقتها بالقفل ٠
وتساءلت آليس « هل ستذهبين الآن على الفور ؟ » فلم ترد نورما عليها ٠ اذ لم ترغب فى أن تقطع لذة الانتصار ٠ لا شىء يمكن أن يجبرها على ذلك ٠
فقالت آليس « اننى لم أقصد القيام بأى شىء خاطىء » فلم تنظـر نورما لاعلى نحوها ٠ فقالت آليس فى قلق : « يحســـن بك ألا تخبرى أحدا والا سأنتقم منك » فظلت نورما على موقفها من عدم الـكلام ٠ ثم ذهبت الى السرير واخذت معطفها الاسود الذى له ياقة أرنب ثم التقطت حقيبتها وسارت خارجة من الغرفة ٠ وكانت أنفاسها تحدث صفيرا فى أنفها ٠ وذهبت خلف الكاونتر ودفعت الزر المكتوب عليه « ليس للبيع » فى ماكينة تسجيل النقدية وأخذت منها عشرة دولارات عبارة عن ورقة من فئة الخمسة دولارات وأربعة من فئة الدولار وورقة من فئة النصف دولار وورقتين من فئة الربع دولار ودفعت بالنقود الى الجيب الجـــانبى لمعطفها الاسود ٠ وكان فمها الضعيف صارما وصلبا ومجعدا ٠
فقال جوان « ماذا تفعلين هنا ؟ »
فقالت نورما « اننى ذاهبة الى سان جوان معك »
فقال جوان « ينبغى أن تساعدى آليس ٠ فهى لا تستطيع البقـــاء هنا وحدها »
فقالت نورما « لقد تركت العمل » ولاحظت أن الشقراء كانت ترقبها لدى مجيئها عند حافة الكاونتر ٠ وخـــرجت نورما من البـاب المزود بالشاشات لمنع الذباب ٠ وحملت حقيبتها الى الاتوبيس وصـــعدت الى داخله واتخذت لنفسها مقعدا عند المؤخرة ٠ وأوقفت حقيبتها على طرفها الى جوارها ٠ وجلست منتصبة القامة تماما ٠
وكان جوان يرقبها وهى تخرج من الباب ٠ فهز كتفيه وتساءل دون أن ينتظر الاجابة من أحد « ما هذا الذى حدث ؟ » وكان ارنست هورتون متجهما ٠ وشعر بالكراهية نحو آليس شيكوى وقال « متى سنرحل على ما تظن ؟ »
فقال جوان « فى العاشرة والنصف ٠ والساعة الآن العاشرة وعشر دقائق » ٠ ونظر الى آل برتشـــارد وقال : « اسمعوا ٠ اننى ذاهب لاستبدال ملابسى ٠ فاذا أردتم قهوة أو أى ٠ ىء آخر يمكنكم الدخول الى هنا والحصول على ما تريدون » ٠

ودخل جوان الى غرفة النـــوم • وفك أربطة الكتف فى الافرول الخاص به وترك البنطلون يسقط لاســفل حول حذائه • كان مرتديا « شورتا » مخططا بخطوط زرقاء ضيقة وخلع قميصــه الازرق القطنى المخطط من فوق رأسه وركل الخف فخلع من قدميه وخطا خــارجا من الافرول تاركا الحذاء والجـورب والافرول فى كومة على الارض • كان جسده جافا وذا لون بنى • وهو قد اكتسب اللون البنى بالوراثة وليس بفعل الشمس • وتحرك نحو الحمام وطرق على الباب • فغسلت آليس التواليت بالماء وفتحت الباب • لقد كانت تقوم بغســـل وجهها للمرة الثانية وكانت خصلة مبللة من شعرها ملتصقة على خدها • وكان فمها مرتخيا وكانت عيناها متورمتين وحمراوتين ••

فسألها جوان « ماذا حدث ؟ أنت تواجهين وقتا عصـــيبا • أليس كذلك ؟ » •

فقالت آليس « اننى أعانى من ألم فى الاســـنان • ولا حيلة لى فى ذلك • فقد هبط على ألم فجائى هنا بالضبط » •

فسألها جوان « ما هى حكاية نورما وماذا حدث معها ؟ »

فقالت آليس « دعها تذهب • كنت أعرف أننى سأصطدم بها »

« حسنا • ماذا فعلت ؟ »

فقالت آليس « انها فقط خفيفة اليد بعض الشىء »

« ماذا أخذت ؟ »

« هل تذكر زجاجة البلودجيـــا تلك التى أعطيتهـــا لى فى عيد الكريسماس ؟ حسنا • لقد اختفت ثم وجدتهـــا فى حقيبتها • ولقد دخلت لحظة عثورى عليها فتملكها الغضب فأخبرتها أن بامـــكانها أن ترحل » •

وغمضت عينا جوان • وأدرك أنها تـكذب ولـــكنه لم يهتم كثيرا بمعرفة حقيقة ما حدث • اذ لم يكن يهتم بالمرة بما يجرى بين النساء من مشاجرات • ودخل الى الحمام وجذب ستارة الدش حوله •

وقال « منذ الصباح وأنت فى ورطة وارتباك • ماذا حدث لك ؟ »

فقالت آليس « حسنا • انه موعد العادة الشـــهرية عندى • والى جانب هذا يوجد ألم الاسنان أيضا »

وأدرك جوان أن الحجة الاولى غير صحيحة ولكنه كان يشـــك فى زيف الحجة الثانية وقال لها « خذى لنفســك كاسا من الخمر عندما تذهب • فذلك سيفيد فى كلا الحالتين »

واستطرد جوان قائلا « عليك بالاعتناء بكل شيء · لان بيميلز سيذهب معي اليوم » .

وشعرت آليس بالسرور · فقد كانت تريد أن يقترح عليها ذلك ·

وماج صدر آليس بالانفعال والاثارة · انها ستكون وحيدة وبمفردها · ولكنها لم تكن لتترك جوان يعرف أن ذلك هو ما كانت تريده · فسألته « ولاى شيء سيذهب بيميلز ؟ »

« انه يريد احضار بعض الاشياء من سان جوان · اسمعي · لماذا لا يغلق المكان ؟ ويمكنك الذهاب الى طبيب الاسنان في سان جوان » ·

فقالت آليس « لا · انها ليست فكرة حسنة · سأذهب الى سان يسيدرو غدا أو بعد غد · انها ليست فكرة حسنة أن نغلق صالة الطعام » ·

فقال جوان « وهو كذلك · انها سنتك التى تؤلمك » وفتح المياه · وأطل برأسه من وراء الستارة وقال لها « اذهبى الى هناك واعتنى بالمسافرين » ·

وكان ارنست قد غير مكانه وذهب الى الفتاة الشقراء عندما دخلت آليس الى صالة الطعام ·

فقال ارنست « والآن · فلنأخذ فنجانين من القهوة »

وقال للشقراء « أتفضلين أن تشربى كوكاكولا ؟ »

« لا · أريد قهوة · فالكوكا تجعلنى ممتلئة وسمينة »

وحاول ارنست الاستفادة من الوقت · فسألها عن اسمها · فقالت له الشقراء أن اسمها هو كاميل أوكس · وبالطبع لم يكن ذلك هو اسمها · وانما كان تجميعا سريعا نبع من رؤيتها لاعلان معلق على الحائط عن فتاة شقراء لها صدر ناهد كالبالون للدعاية عن نوع من الاسطوانات تسمى Camel تستخدم فى رفع حطام السفن الغارقة ، ومن رؤيتها لشجرة بلوط تمكنت من مشاهدتها من خلال النافذة · ولكنها من الآن فصاعدا أصبحت تسمى كاميل أوكس خلال هذه الرحلة على الاقل ·

فقال ارنست « لقد سمعت هذا الاسم منذ فترة قصيرة فى مكان ما » ثم دفع بوعاء السكر فى أدب اليها ·

وكانت قدم المستر برتشارد تهتز اهتزازات قصيرة · وكانت المدام برتشارد ترقب الموقف · فأدركت أن المستر برتشارد أخذ ينفعل ازاء شيء ما · ولكنها لم تدرك السبب فى ذلك · فهى لم تكن لديها خبرات

في هذا النوع من الامور . ولم تكن صديقاتها من النساء من النوع الذى يجعل قدم المستر برتشارد تهتز وتتأرجح . وهي لم تكن تعرف شيئا عن حياته خارج نطاق تحركاتها الاجتماعية الخاصة بها .

وأنزل المستر برتشارد ساقه من فوق الاخرى . ونهض واقفا وذهب الى الكاونتر . وقال مخاطبا ارنست « لقد خطر على ذهنك المحاكمة الخاصة باغتيال الاوكس » ثم ضحك وأردف قائلا « وانى متأكد أن هذه الفتاة الشابة لم يقتلها أحد ولم تقم هى باغتيال أحد » . وقال لآليس بطريقة مهذبة وجذابة للجنس الآخر « أريد قدرا يسيرا آخر من القهوة » .

وجذبت ابنته عينها اليمنى بالعرض لتنظر اليه . اذ كان هناك في صوته خاصية لم تسمعها أبدا من قبل . كان في صوته قدر من الابهة والعظمة حيث كان يوسع حرف« A » أثناء كلامه ويضفى على حديثه رسميات غير طبيعية وصدمت ابنته بسبب ذلك وحملقت فى الشقراء فادركت فجأة كنه ما يجرى . اذ كان المستر برتشارد متفاعلا ومتجاوبا مع كاميل أوكس . كان يستخدم حيله وفنونه لكى يظفر باعجاب الفتاة . وكان يستخدم حيله وفنونه بطريقة لها طابع الابوة ولم تحب ابنته ذلك .

وقال المستر برتشارد « لدى احساس اننى قد قابلتك من قبل . فهل حدث ذلك يا ترى ؟ » .

وفسرت ميلدريد السؤال فى رأسها على النحو التالى « ألم أشاهدك فى مكان ما ؟ » .

ونظرت كاميل الى وجه المستر برتشارد وخفقت عيناها على بادج النادى الموجود فوق طية صدر جاكتته وعرفت المكان الذى رآها فيه . فهى عندما كانت تخلع ملابسها وتجلس فى كأس الخمر الكبير تحرص للغاية على عدم النظر في وجوه الرجال . اذ كانت تخاف من شيء ما موجود فى عيونهم المبللة المنتفخة المتورمة وفى أفواههم الرخوة المترهلة التى تعلوها ابتسامات فاترة . وكان لديها احساس بأنها اذا نظرت مباشرة الى واحد منهم فانه قد يبادر بالهجوم عليها . وكان المتفرجون عليها من وجهة نظرها مجرد نقاط من الوجوه الوردية الحمراء ومئات من الياقات البيضاء وأربطة العنق الانيقة من نوع « البابيون » . اذ كان رواد نادى « توينتى ثرى ثاوزاند كلوب » يرتدون التوكسيدو .

فقالت « لا أتذكر » .

فأصر المستر برتشارد قائلا « ألم تذهبي أبدا الى الغرب الاوسط ؟ »
فقالت كاميل « لقد كنت أعمل في شيكاغو »
فتساءل المستر برتشارد « أين ؟ فلدى احساس قوى للغاية بأنني شاهدتك من قبل »
فقالت كاميل « انني أعمل ممرضة في علاج الاسنان »
فلمعت عينا المستر برتشارد خلف نظارته وقال « اسمعي . أراهن على أنك اشتغلت عند الدكتور هوراس لهولتز ، انه طبيب الاسنان الخاص بي في شيكاغو » .
فقالت كاميل « لا . لا . لم أعمل اطلاقا عنده . وكان آخر عمل لي عند الدكتور ت . س . شسترتيلد » وقد حصلت على ذلك الاسم أيضا من أحد الملصقات على الحائط . ولم تكن لبقة في ذلك الاختيار . وتمنت ألا يلحظ الاعلان المعلق فوق كتفه مباشرة على الحائط والذى كتب عليه « أنواع الشمسترفيلد : انها ترضى الجميع » .
فقال المستر برتشارد في ابتهاج مما أثار اشمئزاز ابنته « حسنا . سأتذكر ان عاجلا أو آجلا . فأنا لا أنسى أى وجه على الاطلاق » .
ووقع نظر المدام برتشارد على عيني ابنتها ميلدريد ورأت النفور والبغض على تعبيرات وجهها . ثم رمقت زوجها بنظرة مرة أخرى . فشاهدته وهو يقوم بتصرفات غريبة وشاذة فقالت « اليوت .. أيمكنك أن تحضر لى قليلا من القهوة ؟ » .
فبدا على المستر برتشارد كأنه يهز نفسه ليتخلص من الحالة التى هو فيها ويعود الى الحقيقة الواقعة . وقال « أوه . نعم . بكل تأكيد » وعاد صوته الى نبرته الطبيعية . ولكنه أصيب بالانفعال مرة أخرى :
وفتح الباب الذى تعلوه شاشات منع الذباب وأغلق بصوت مرتفع . ودخل بيميلز كارسون . ولكنه كان متبدل الشكل والهيئة . كان وجهه مليئا بكمية هائلة من المساحيق في محاولة لتغطية البثور والدمامل ، ونجحت هذه المساحيق في تحويل لون البثور الاحمر الى لون قرمزى شديد . وكان شعره ممشطا بطريقة جميلة الى الخلف ومثبتا بدهانات الشعر العطرية . وكان يرتدى قميصا ذا ياقة ضيقة للغاية ورباط عنق أخضر اللون معقودا عقدة صغيرة . وكانت ياقة القميص مثبتة تحت العقدة الصغيرة بواسطة دبوس ياقة ذهبى . وبدا على بيميلز كأنه يعانى من الاختناق بعض الشىء لان ياقته كانت ضيقة للغاية . وكان قميصه ورباط عنقه يرتفعان ويهبطان بعض الشىء عندما يبتلع ريقه .

وكانت حلته ذات لون بنى شيكولاته ومن نسيج مليىء بالشعر • وعلى جوانب بنطلونه كانت توجد انطباعات شـــنابر السرير التى لا يكاد يدركها المرء • وكان يلبس حذاء أبيضـــا به لون بنى فى المنطقة التى تعلو مشط القدم • أما جوربه فكان صوفيا ومخططـــا باللونين الاحمر والاخضر •

ورفعت آليس نظرها اليه فى دهشة وقالت « حسنا ! أأنت تشـــبه حقيقة المنظر الذى تبدو عليه الآن !! »

فأحس بيميلز بالكراهية نحوها • وجلس على كرسى بدون مســند فى المكان الذى تركه توا المستر برتشارد ليأخذ القهوة ويناولها لزوجته وقال « أرغب في تناول قطعة من فطيرة التــوت الجديدة تلك » وأمعن النظر فى عصبية الى كاميل واختنق صوته بعض الشىء وهو يقول لهـا « ينبغى أن تتناولى قطعة من تلك الفطيرة يا آنسة » •

فنظرت كاميل اليه ودب الدفء فى عينيها • فعندما يتعرض انسان للتوتر والاضطراب كانت هى تدرك ذلك •

وقالت له فى رقة « لا • شكرا • فقد تناولت طعام الافطـــار فى يسيدرو » •

فقال بيميلز فى حماس شديد « انها على حسابى الخاص »

« لا • شكرا • لا أستطيع »

فقالت آليس « انه بامكانه أن يأكل فطائر وهو واقف على رأســه فى برميل من البيرة المجانية فى عيد أحد السعف »

وطوت فطيرة وتناولت سكينة •

فقال بيميلز « ضاعفى الكمية من فضلك »

فقالت آليس فى قسوة « لا أظن أن عنـــدك الآن أى قدرة على دفع الثمن فأنت قد استنفدت رصيد راتبك عن هذا الاسبوع •

ففزع بيميلـــز • كم كان يكـــره آليس !! وكانت آليس ترقب الشقراء • وفهمت الموقف • اذ كان كل رجل فى الصـــالة يتجه بكل حواسه نحو هذه الفتاة • وشعرت آليس بالتوتر والضـــيق من ذلك • انها ستعرف كل شىء لدى دخول جوان الى الصبـــالة • وهى منذ لحظة كانت تريد للاتوبيس أن ينطلق فى طريقه حتى تتمكن من احتساء قدر هائل من الخمور ولكنها الآن بدأت تشعر بالضيق والتوتر •

وقال ارنست هورتون « اذا استطعت الوصول الى حقيبة عيناتى

سأريك بعض المعدات والاشياء الشيقة الجذابة • أشياء جديدة وجذابة للغاية » •

وتساءلت كاميل « منذ متى تركت الجيش ؟ »

فقال ارنست « منذ خمسة شهور »

وتركت عينيها تسقط على طية صدر جاكتته التي يوجد عليه القضيب الازرق والنجوم البيضاء • ثم قالت « ذلك نادى لطيف • ذلك هو النادى الحقيقى الكبير • أليس كذلك ؟ »

فقال ارنست « هذا هو ما يقولونه لى • وان كان ذلك لا يشترى لى الاطعمة والمؤن التى يبيعها البقال » •

وضحكا سويا •

« هل الرئيس الاكبر هو الذى شبكه على جاكتتك بالدبوس ؟ »

فقال ارنست « نعم » •

وانحنى المستر برتشارد للامام • وضايقه أنه لم يكن يدرى ماذا يحدث •

وقال بيميلز « ينبغى عليك أن تجربى شيئا من فطيرة التوت هذه »

فقالت كاميل « لا أستطيع »

وقالت آليس « انك وجدت ذبابة فى تلك • وسأدعك تأخذ باقى الفطيرة التى توجد على السطح مباشرة »

فأدركت كاميل أعراض المرض • فهذه المرأة أصبحت على استعداد لان تناصبها العداء • وحملقت كاميل فى قلق نحو المرأتين الاخريين فى الصالة • وأدركت أن المدام برتشارد ليست من النوع الذى يمكن أن يسبب لها الضيق أو الضجر • ولكن الموقف كان يختلف بالنسبة للفتاة الموجودة هناك والتى كانت تحاول أن تنظر بدون الاستعانة بنظارتها • كانت كاميل تأمل فى ألا تضايقها تلك الفتاة أو تعترض سبيلها • فتلك الفتاة من النوع الجميل الذى يميل للقسوة • وصرخت فى عقلها : « أوه • أيها السيد المسيح • ساعدنى فى أن تتخلص لورين من ذلك الشخص السخيف الغامض لكى نعيش سويا فى الشقة مرة أخرى » • وكان لديها شعور مخيف بالوحدة والاعياء • وتساءلت فى نفسها : لو أنها تزوجت المستر برتشارد فكيف تكون الامور ؟ • لقد كان يشبه بعض الشيء الرجل الذى تخيلته فى ذهنها ليكون زوجا لها • ولربما لا يكون من الصعب للغاية أن تتزوجه • ومنظر زوجته يدل على أنه لم يسبب لها متاعب كثيرة •

ولم تكن برنيس برتشـــارد على علم بما يدور حولها • وهى لم تشعر بالكراهية تجاه كاميل • كل ماهنالك أنها أدركت فى غير وضوح أن شيئا من التغيير قد ران على الغرفة • ولكنها لم تدرك كنه ذلك الشيء على وجه الدقة • وقالت فى انتعاش وابتهاج ومهارة « أظن أنه يحسـن بنا أن نضم أمتعتنا الى بعضـــها البعض » • قالت هذا على الرغم من أن أمتعتهم كانت فعلا مضمومة لبعضها البعض •

وخرج جوان من غرفة النوم • كان مرتديا بنطلونا نظيفا من قماش مثل القطيفة وكان البنطلون متينا ومضلعا • وكان يلبس قميصا نظيفا أزرق اللون وجاكيت سبور من الجلد للوقاية من الريح • وكان شعره الكثيف ممشطا الى الخلف وكان وجهه لامعا بفعل حلاقته لذقنه •

وقال « الكل جاهز ؟ »

وراقبته آليس عندما سار حول نهـاية الكاونتر الخاص بالغذاء • انه لم ينظر الى كاميل على الاطلاق • فشعرت آليس بنذير الخطر • اذ كان من عادة جوان أن ينظر الى جميع الفتيات • وطالما لم ينظر الى كاميل فهذا يدل على وجود شيء غير طبيعى • ولم تشعر بالارتياح لذلك •

وجاء المستر فان برانت ذلك الرجل العجوز ذو الرقبة المتصلبة الى الصالة من الخارج وظل ممسكا بالباب المزود بالشاشـــات فاتحا اياه فتحة بسيطة وقال « الجو يوحى بمزيد من الامطار » •

فقال له جوان فى اختصار « انت ستذهب بالجريهاوند التالى المتجه شمالا »

فقال فان برانت « لقد غيرت رأيى • ســـــأذهب معك • أريد أن أشاهد ذلك الكوبرى • ولكن السماء ستمطر مزيدا من المطر وأنا أخبرك بذلك » •

« ولكنك لم تكن ترغب فى الذهاب على ما أظن »

« من حقى أن أغير رأيى • أليس كذلك ؟ لماذا لا تقوم بالاتصـــال تليفونيا مرة أخرى للاستفسار عن ذلك الكوبرى ؟ »

« انهم قالوا أنه على مايرام »

فقال فان برانت « لقد كان ذلك منذ بعض الوقت • انك غريب على المنطقة هنا • وأنت لا تعرف السرعة التى يرتفع بها نهر سان يسيدرو • لقد سبق لى أن رأيته وهو يرتفع بمقدار قدم عن كل ساعة عندما غاصت فيه التلال • ينبغى عليك أن تتصل بالتليفون » •

فتضايق جوان الى حد الجنون وقال « اسمع • اننى أقود الاتوبيس •

وظللت على هذه الحال لفترة لا بأس بها أتفهم ذلك ؟ عليك فقط بالصعود الى الاتوبيس والاعتماد على امكانياتنا • ويمكن لك أن تبقى هنا ولـكن دعنى أقود الاتوبيس » •

فأدار فان برانت وجهه من جانب لآخر وحملـق ببرود فى جوان « لست أدرى ما اذا كنت سأذهب معك أم لا • وقد أبعث بمذكرة عنـك الى لجنة النقل البرى • فما أنت الا سائق فى النقل العمومى • ولا تنسى ذلك » •

فقال جوان « هيا بنا أيها الناس » •

وأخذت آليس ترقبه فى خفية • انه لم ينظر الى كاميل ولم يعرض عليها أن يحمل لها حقيبتها • وكان ذلك أمرا سيئا • ولم ترغب آليس فى ذلك • اذ لم يكن من طبيعة جوان أن يتصرف على ذلك النحو •

والتقطت كاميل حقيبة سفرها وخرجت بسرعة من البـاب • فهى لم تـكن ترغب فى الجلـوس مع أى رجل من الرجـال فى الاتوبيس • اذ كانت تشعر بالتعب والارهاق وتفحص عقلهـــا بسرعة احتمـالات الموقف • صحيح أن ميلدريد برتشارد كانت غير مرتبطة بأحـد ولكن ميلدريد لم تكن تشعر بالارتياح نحوها • أما الفتـــاة التى كانت قد غادرت المكان فانها كانت هناك فى الاتوبيس • فأسرعت كاميل خارجة من الباب وتسلقت الى داخل الاتوبيس وتبعها كل من ارنست هورتون والمستر برتشارد بأسرع ما يمـــكن • ولكن كاميـــل كانت قد دخلت بالفعل الى الاتوبيس وكانت نورما جالسة فى صـمت تام وكانت روح العداء تنبعث من عينيها وكان أنفها أحمر ولامعا • فقد كانت نورما خائفة تماما مما أقدمت عليه •

وقالت كاميل « أتسمحين لى بالجلوس الى جـوارك يا عزيزتى ؟ » فأدارت نورما رأسها فى تخشب ونظرت الى الشقراء وقالت لها « يوجد عدد كبير من الاماكن الشاغرة » •

« هل ستوافقين ؟ سأقول لك السبب فى ذلك فيما بعد »

فقالت نورما فى شموخ « تصرفى كما يحلو لك » • ولاحظت نورما أن هذه الفتـــاة مرتدية ملابس غالية الثمن • ولم يعنها ذلك على فهم الموقف • فالناس لم تكن لديهم الرغبة فى الجلوس مع نورما • ولكن كان هناك سبب ما • ربما سبب غامض • وكانت نورما تعرف الافـلام السينمائية التى شاهدتها • فأمور كهذه يمـــكن أن تتحول الى تســـع بكرات من الاشرطة السينمائية المليئة بالمتعة الصافية • وتحركت الى

جوار النافذة • وأفسحت مكانا لكاميل • وتســاءلت نورما « الى أية مسافة أنت ذاهبة ؟ »

« الى لوس أنجلوس »

« شيء عجيب !! اننى ذاهبة الى هناك أيضا • هل تعيشين هناك ؟ »

فقالت كاميل « بشكل متقطع وفي غير انتظام » ولاحظت أن الرجال الذين هرعوا في تكدس خارج صالة الطعام قد شاهدوها وهى تجلس الى جوار نورما • فهبط تدافعهم • اذ لم يعد هناك مجال للمنافسات • وتجمعوا عند مؤخرة الاتوبيس لكى توضع حقائبهم فى القسم الخاص بالامتعة •

وتريث جوان قليلا عند باب صالة الطعام بينما كانت آليس تنظر اليه عبر الشاشات • وقال لها « خذى الامور ببســاطة • فقد عانيت طوال الصباح من المتاعب والارتباك • حاولى أن تتخلصى من ذلك قبل أن أعود للبيت »

وظهرت حدة الحزن والكآبة على وجه آليس • وكانت على وشك أن تجيب عليه ولكن جوان استطرد قائلا « والا فسوف لا أعود ذات يوم » فتلاحقت أنفاسها وقالت فى عواء « كل ما فى الامر أننى لا أشعر بأننى على مايرام »

« حسنا • ابدئى فى الشعور بالتحسن بعد الآن ؛ ولا تفرطى فى العمل وتنهكى قواك • فلا أحد يحب المرضى لفترة طويلة للغـــاية • لا أحد • خذى ذلك كمعلومات وثيقة » ولم تكن عيناه تنظر اليها وانما من حولها ومن خلالها • فهبط الهلع والفزع على آليس واستدار جوان وسار بعيدا في اتجاه الاتوبيس •

وأسندت آليس مرفقيها على عارضة الباب ذى الشاشات. وامتلأت عيناها بدموع كبيرة ناعمة وقالت فى هدوء « اننى ممتلئــــة مترهلة • اننى عجوز شمطاء • أوه • يا الهى • كم أنا عجوز شــــمطاء » وجرت الدموع فى أنفها • وشنت فسحبت الدموع من أنفها الى الخلف وقالت « باستطاعتك أن تحصل على الفتيات الصغيرات • ولكن ما الذى يمكننى الحصول عليه ؟ لا شيء • اننى امرأة عجوز شــــمطاء وخرقاء • وراحت تشن بأنفها مرات عديدة فى هدوء وهى واقفة خلف الشاشات •

وكان المستر برتشارد يرغب فى أن تتاح له فرصة الجلوس خلف الشقراء ليتمكن من مراقبتها ولكن المدام برتشارد اتخذت مكانا بالقرب من المقدمة مما اضطره الى الجلوس بجوارها • وجلست ميلدريد بمفردها

على الجانب الآخر خلفهما • وتسلق بيميلز الاتوبيس وحصل على المقعد الذى كان يريده المستر برتشارد وجلس الى جواره ارنست هورتون •

ولاحظ جوان فى فزع أن فان برانت أخذ المقعـــد الذى يقع خلف مقعد السائق مباشرة • وكان جوان عصبيا وحاد المزاج • فهو لم يحصل على قسط وافر من النوم علاوة على أن بعض التجـــارب غير المستحبة كانت تدوى منذ الصباح الباكر • وقام بترتيب حقائب المسافرين فى الحقيبة الخلفية للاتوبيس وجذب عليها القماش المشمع لاسفل ثم أغلق باب الحقيبة • ولوح بيده لآليس التى كانت مستـندة فى الداخل على الباب المزود بالشاشات • وعرف من منظرها ووضعها أنها كانت تبكى وكان يدرك أنه ينبغى عليها أن تبكى وتعجب من الســـبب الذى جعله يقيم معها تحت سقف واحد • وكان يعتقد أن السبب هو مجرد الكسل المحض فهو لم يكن يرغب فى تحمل معاناة الاضطراب العاطفى النـاجم عن تركه لها • وهو قد يشعر على الرغم منه بالقلق عليهـا والحزن من أجلها وكان ذلك فى حد ذاته يشكل متاعب جمة للغاية • فهو عنـدئذ سيصبح بحاجة لامرأة أخرى على الفور وبدون أى تأخير وذلك يستغرق قدرا من التحدث والمناقشة والاقناع . والمسألة كانت تختلف عن مجرد الممارسة مع فتاة فهو كان بحاجة الى امرأة تبقى الى جواره وتقاسمه الحياة وكان ذلك هو الفارق . وهو قد تعود على امرأة وكان ذلـك أقل مشقة . والى جانب ذلك كانت آليس هى المرأة الوحيدة التى وجدها تستطيع أن تطهو الفول واللوبيا والفاصوليا خارج المكسيك. أمر يبعث على الضحك . اذ كان باستطاعة كل شخص هنـــدى صغير السن فى المكسيك ان يطهو البقول بطريقة سليمة بينما لا أحد هنا يستطيع ذلك سوى آليس ـ مع أن طهى هذه الأشـــياء سهل للغاية : مجرد قدر كاف من العصارات والسوائل . مجـــرد الطعم الحقيقى للبقول بدون خلط اى نكهة أخرى معه . فالنـاس هنا يضـــعون الطماطم والفلفل الاحمر الحار والثوم وأشـــياء من هذا القبيل فى البقول رغم أن البقول ينبغى أن تطهى لذاتها ووحدها . وضحك جوان وقال لنفسه « لأنها تعرف كيف تطهى البقول » .

ولكن كان هناك سبب آخر أيضا . فهى كانت تحبه .

كانت تحبه حبا حقيقيا . وهو كان يدرك ذلك . ولا يمكن للمرء ان يترك شيئا مثل ذلك . انه بنيان . بنيان له هندسة معمـــارية

ولا يمكن للمرء أن يتركه بدون أن يمزق جانبا من ذاته . لذلك اذا أراد المرء أن يظـــل محتفظـــا بكيانه فعليه بالبقاء على ما هو عليه بغض النظـر عن مـدى كراهيته للبقاء . ولم يكن جـــوان من الرجال الذين يخدعون أنفسهم بشكل كبير للغاية .

وما أن كاد يصل الى الاتوبيس حتى عاد أدراجه وسار على وجه السرعة الى الباب ذى الشاشات وقال : « عليك برعاية نفســـك » . وكانت عينـــاه دافئتين ، واســـتطرد « احتسى كاســـا واحدة من الخمر كعلاج لتلك السنة » . وأستدار عائداً الى الاتوبيس . وهى قد تتناول الكثير من الخمور وتصبح ثملة اكثر من شخص حقير عندما يعود اليها من مشواره الا أن ذلك قد يصلح من شرايينها وأعصـــابها مما قد يجعلها تشعر بالتحسن . وهو قد ينام فى فراش نورما اذا أغمى على آليس وأصبحت فاقدة الوعى حيث لم يكن يتحمل الرائحة الخاصة بها عندما تكون مخمورة . اذ كانت تنبعث منها رائحـــة حمضية مرة .

وحملق جوان لأعلى نحو السماء . لقد كان الهواء ساكنا ولكن فى الارتفاعات العليا كانت الرياح تهب جالبة أعدادا هائلة من السحب الجديدة فوق الجبال ، وكانت هذه السحب منبسطة وتنضـــم لبعضها البعض وتتحرك متداخلة مع بعضها البعض لدى انطلاقهـــا بسرعة عبر السماء ، وكانت أشجار البلوط الضخمة مازالت تقطر ماء متخلفا عن أمطار الصباح وكانت أوراق الخبيزة الافرنجيـــة قد احتفظت بقطرات لامعة من الماء فى الاماكن الوسطى بها . لقـد كان هناك سكون مطبق على الارض ولكن كان هناك نشـــاط هائل فى الطبقات العليا .

ومع أن جوان كان يكره كثيرا اعطاء فان برانت آية فرصة لان يثق فى نفسه ، الا انه كان خائفا من هطول الأمطار مرة أخـــرى بعد فترة وجيزة . فتسلق صاعدا سلالم الاتوبيس فاصطاده فان برانت حتى قبل أن يجلس على كرسيه . اذ تساءل فى انتصـــار « أتعرف من أين الريح آتية ؟ من الجنوب الغربى . أتعرف من أين تلك السحب آتية ؟ من الجنوب الغربى . أتعرف من أين تأتى الأمطار الخاصة بنا ؟ من الجنوب الغربى » .

فقال جوان « وهو كذلك ، ونحن جميعا سنموت فى يوم ما غير معلوم لنا . وبعضنا سيموت بطريقة مرعبة الى حد ما . وقد يدهمك جرار ، ألم يسبق لك ان رأيت جرارا يدهم رجلا ؟ .

فتساءل فان برانت « كيف تصورت ذلك ؟ »
فقال جوان « دعها تمطر »
فقال فان برانت « انني لا امتلك جرارا ولكن عندى اربعة ازواج من الخيول فى هذه الولاية . كيف تأتى لك أن تتخيل ذلك الجرار ؟ » .
وأدار جوان مفتاح التشغيل فى الأتوبيسل وجاء الصوت عاليا ورفيعا وبه احتكاك ولكن الموتور بدأ يدور على الفور وكان صوته حسنا ومتوافقا وجميلا . فاستدار جوان فى مقعده ونادى قائلا : « ياكيت ، استمر فى الاصغاء لنهاية المؤخرة تلك » .
فقال بيميلز « وهو كذلك » وشعر بالثقة التى أولاها جوان اياه .
ولوح جوان بيده لآليس ثم أغلق باب الأتوبيس بأن حرك عتلته. ولم يستطع ان يتبين ما كانت تفعله آليس من خلال الشاشات . انها قد تدعه يغيب عن البصر ويختفي بعيدا قبل أن تستخرج زجاجة الخمر ، وكان يأمل فى الا تتورط فى اية متاعب .
وقاد جوان أتوبيسه من حول واجهة صالة الطعام واستدار مباشرة نحن الطريق المرصوف الذى يؤدى الى سان جوان دى لا كروز. ولم يكن طريقا فسيحا للغاية ولكنه كان ناعما الى حد ما . وكان لجادة الطريق تقوس عال حتى انه كان يسكب المياه ويلقى بها بعيدا على نحو ملائم . وكانت التلال والوادى مليئا ببقع من ضوء الشمس ومحاطا بالظلال المتحركة للسحب المندفعة عبر السماء . وكان كل من البقع المشمسة والظلال لها لون رمادى معتم وكئيب ومنذر بالأخطار .
وانطلق الاتوبيس « سويت هارت » يضرب الأرض فى اهتزاز وارتجاج بسرعة ٤٠ كيلو مترا فى الساعة ، لقد كان اوتوبيسا جيدا وكان صوت نهاية مؤخرته على مايرام أيضا .
وقال فان برانت « لم يسبق لى أن أحببت الجرارات » فقال جوان « وأنا لا أحبها أيضا » . وشعر جوان فجأة بانه على مابرام .
ولم يستطع فان برانت أن يترك هذا الموضوع يمر هكذا دون تمحيص . فقد نجح جوان على نحو يفوق توقعاته . وأدار فان برانت رأسه من جانب لآخر فوق رقبته المتخشبة . وقال « اسمع . هل أنت واحد من هؤلاء العرافين أو اى شىء من هذا القبيل ؟ »
فقال جوان « لا » .

فقال فان برانت « لأنني لا اؤمن ولا أعتقد فى أى شىء من هــذا القبيل »

فقال جوان « وأنا ايضا لا أعتقد فى هذه الامور » .

« لا ينبغى أن امتلك جرارا فى المكان الخاص بى » وكان جــوان على وشك ان يقول « كان لى أخ ركله حصان فأرداه قتيلا » ولكنه راح يفكر « اوه . انه أبله ومعتوه . فهو شخص يمكن التأثير عليه بسهولة . لست أدرى ما الذى يخيفه ويملؤه بالذعر والهلع » .

الفصل التاسع

كان الطريق الرئيسي الى سان جوان دي لا كروز مرصوفا . وكانت مئات الأميال فى العشرينات قد مهدت بالخرسانة على الطريق الرئيسي فى كاليفورنيا . ثم جلس الناس مضطجعين للخلف وقالوا : « سيبقى ذلك بصفة دائمة هناك . سيعيش نفس المدة التى عاشتها الطرق فى العهد الرومانى بل وربما لفترة أطول . لأن الاعشاب لا تستطيع أن تنمو من خلال الخرسانة وتكسر الطريق » . ولكن لم يكن الأمر كذلك ، فاللوريات التى تجرى باطارات من المطاط والسيارات المتحركة بثقلها أثناء السير كانت تضرب وتدق فى الخرسانة وبعد فترة انطفأت منها الحياة وبدات تتفتت وتتكسر وبعدئذ انكسر جانب وتدفدغت فيه حفرة وظهر شرخ وتسبب قدر ضئيل من الثلج فى الشتاء فى اتساع الشرخ وانتشاره ومن ثم لم تستطع الخرسانة الصامدة ان تتحمل ضربات المطاط فأصيبت بالانهيار .

وبعدئذ صبت فرق الصيانة بالاقليم قطرانا فى الشقوق والكسور والشروخ لمنع المياه من النفاذ الى الداخل ، فلم تفلح تلك الطريقة ، وأخيرا قاموا بتغطية الطرق بخليط من القار والحصى . فنجحت هذه الطريقة بالفعل لأنها قدمت وجها غير جاف للاطارات الساحقة، اذ كان يغوص قليلا بفعل الاثقال التى تمر عليه ويعود الى حالته بعد برهة وجيزة ، وكان يلين فى الصيف ويصير صلبا فى الشتاء . فغطيت جميع الطرق تدريجيا بالمادة اللامعة السوداء التى تشبه الفضة من مسافات بعيدة .

وكان طريق سان جوان يمتد فى خط مستقيم لمسافة طويلة عبر حقول منبسطة . وكانت الحقول غير محاطة بالأسوار لأن الماشية لم تعد تتجول . اذ أصبحت الأرض غالية الثمن للغاية بحيث لا يصح أن تكون مجرد مراعى للأغنام والماشية . وكانت الحقول مكشوفة أمام الطريق الرئيسي وكانت تنتهى فى شكل حفر أو أخاديد بجانب الطريق . وفى الحفر كانت تنمو بكثافة نباتات الخردل الشيطانى واللفت الشيطانى بأزهاره الصفيرة القرمزية

اللون . وكانت الحفر محاطة بنباتات الترمس ذات اللون الازرق ، أما نباتات الخشخاش فكانت مبرومة بشدة لأن ازهارها المتفتحة قد دقت اعناقها وتساقطت بفعل الأمطار .

وكان الطريق يجرى فى خط مستقيم تجاه سفوح التلال الصغيرة للسلسلة الأولى — وهى تلال تميل للامتلاء والاستدارة ، وتشبه المرأة وناعمة وجنسية مثل جسد المرأة ، وكانت الأعشاب الخضراء فى نفس نضرة بشرة الفتاة الصغيرة . وكانت التلال غنية بالمياه ، وعلى طول الطريق الناعم الجميل كان الاتوبيس يجرى فى تمايل واهتزاز وكانت جوانبه المغسولة اللامعة تنعكس على صفحة المياه فى الحفر .

وكانت الاشياء الصغيرة التذكارية : قفازات الملاكمة الصغيرة وحذاء الطفل تتأرجح وتهتز على الزجاج الأمامى للأتوبيس ، وكانت عذراء جداليوب على هلالها فوق قمة لوحة الآلات تنظر للخلف نحو المسافرين فى رأفة وشفقة .

ولم تصدر عن نهاية مؤخرة الأتوبيس اصوات خشنة أو غير متوافقة اللهم باستثناء العواء الغريب الذى يصاحب نقل السرعات . واضطجع جوان للخلف فى مقعده متهيئا للاستمتاع بالرحلة . كانت توجد مرآة ضخمة أمامه لكى يتمكن من مراقبة المسافرين ، كان لديه مرآة طويلة خارج النافذة تمكنه من مشاهدة الطريق خلفه . وكان الطريق مهجورا ، باستثناء الاعداد القليلة من السيارات التى مرقت متخطية اياه ولكن لم تات سيارة واحدة من اتجاه سان جوان مما جعله يشعر بالحيرة فى بادىء الامر من هذا الوضع وبعدئذ ازداد قلقه بشكل كبير . ربما أصبح الكوبرى غير صالح للاستعمال . حسنا لو كان الامر كذلك فان عليه أن يعود ادراجه . وعليه ان يأخذ جميع المسافرين الى سان يسيدرو ويطلق سراحهم هناك .

فاذا كان الكوبرى غير صالح للاستعمال فلن يكون هناك خط اتوبيس الى أن يعاد اصلاحه من جديد . ولاحظ فى مرآته أن ارنست هورتون قد فتح حقيبته وراح يرى بيميلز نوعا من الاختراع يدور ويلمع ثم يختفى ولاحظ أيضا ان نورما والشقراء قد اقتربتا برأسيهما من بعضهما البعض وراحتا تتحدثان . وزاد جوان من سرعة اوتوبيسه بعض الشىء .

وأعتقد أنه لن يتمكن من عمل اى شىء مع الشقراء ، اذ لم تكن

هناك أية وسيلة للتوصل اليها والتأثير عليها . وكان جوان كبيرا فى السن بما فيه الكفاية بحيث لا ينبغى أن يعانى من أى شىء بعيد الاحتمال ولكن اذا أتيحت له الفرصة فليس هناك أدنى شك بشأن ما سيقدم عليه لأنه قد شعر بالاثارة الشديدة عندما وقع نظره على الشقراء لأول مرة .

وكانت نورما قاسية اللهجة مع كاميل الى حد بعيد ، كانت متجمدة للغاية حتى انه كان يلزمها بعض الوقت لكى تذوب وتتجاوب معها . ولكن كاميل كانت فى حاجة الى نورما كنوع من الدرع الوقائى بالاضافة الى أنهما كانتا تقصدان مكانا واحدا .

وقالت نورما لكاميل بصوت منخفض لكى لا يسمعها ارنست : « اننى لم أذهب من قبل الى لوس انجلوس أو الى هوليود . ولست أدرى الى أين أذهب أو أى شىء من هذا القبيل » فسألتها كاميل « وماذا ستفعلين ؟ »

« سأحصل على عمل ، على ما أظن ، خادمة فى مطعم أو حانة أو أى شىء من هذا القبيل . وأفضل الدخول فى زمرة العاملين فى السينما » .

فزمت كاميل شفتيها وهى تحاول اخفاء ابتسامتها وقالت : « تحصلين أولا على عمل كخادمة فى مطعم او خلافه ، فالعمل فى السينما شديد القسوة » .

فسألتها نورما « هل انت ممثلة ؟ انك تشبهين الممثلات » فقالت كاميل « لا ، اننى أعمل مع أطباء الاسنان ، فأنا ممرضة فى علاج الأسنان »

« حسنا ، هل تعيشين فى فندق أو فى غرفة أو فى منزل ؟ » فقالت كاميل « ليس لى أى مكان أعيش فيه . وكنت أقيم فى شقة مع صديقة لى قبل أن أذهب للعمل فى شيكاغو »

ودب الشغف والاهتمام فى عينى نورما وقالت « لقد ادخرت قدرا ضئيلا من النقود . ولربما استطعنا أن نحصل على شقة سويا . واذا حصلت أنا على عمل فى مطعم فلن يكلفنا الطعام أية نقود الا فيما ندر . اذ يمكننى احضار الطعام والشراب الى المنزل » . وكان الجوع يتصاعد فى عينى نورما . واستطرد « وربما لن يكون المبلغ كبيرا اذا تقاسمنا الايجار . وربما أتمكن من القيام برحلات ممتعة » .

فشعرت كاميل بالتجاوب مع الفتاة ونظرت الى الأنف الأحمر

والبشرة الكئيبة والعينين الصغيرتين الشاحبتين وقالت « سنرى كيف تسير الأمور » .
ومالت نورما مقتربة من كاميل وقالت « أعرف أن شعرك طبيعى . ولكنك ربما تستطيعين أن تبينى لى طريقة ادخال التحسينات على شعرى باضافة تعديلات بسيطة . فشعرى فئرانى . مجرد فئرانى » .
فضحكت كاميل وقالت « لعلك تندهشين اذا عرفت اللون الاصلى الخاص بشعرى » واستطردت « لا تتحركى لبعض الوقت » .
وراحت تدرس وجه نورما محاولة تخيل أنسب أنواع الكريم البارد والبودرة والماسكارا التى تصلح لوجهها وتخيلت الشعر وهو لامع ومتموج وفكرت فى توسيع العينين بعض الشيء باستخدام مادة تظليل العيون وتشكيل الفم من جديد باستخدام أحمر الشفاه .
ولم يكن لدى كاميل أى تصورات خاطئة فيما يتعلق بالجمال . فقد كانت لورين عبارة عن فأر صغير ممتقع اللون بدون مكيساج ولكن لورين أصبحت على مايرام وقد يكون شيئا لطيفا أن تدخل التغييرات على هذه الفتاة مما يعطيها الثقة فى نفسها وربما تصبح اجمل من لورين .
وقالت : « فلنفكر فى ذلك » ، واستطرذت « هذه منطقة ريفية جميلة ، اننى أفضل العيش فى الريف لبعض الوقت » وهبطت صورة ذهنية على عقلها وهى صورة نموذجية لما قد يحدث . انها قد تصلح من شأن نورما . وهى باستطاعتها أن تكون نوعا من الحسن والجمال اذا اعتنت بنفسها . وبعدئذ قد تقابل نورما شابا ومن الطبيعى أنها قد تحضره معها الى المنزل لتستعرض نفسها وتجذب انتباهه وقد يمارس الشاب الحب مع كاميل فيترتب على ذلك أن تكرهها نورما . وتلك هى الطريقة التى تسير عليها الامور ، فتلك هى الطريقة التى سارت عليها الأمور من قبل . ولكن فليكن مايكون . يكفى انه سيكون هناك قدر من المرح والحياة قبل أن تحدث المشاكل ، ولربما تتمكن هى من توقع الامور بحيث لا توجد أبدا فى المنزل فى الأوقات التى تحضر فيها نورما شابا الى المنزل .
وشعرت بالدفء وبروح الصداقة تسرى فى كيانها وقالت : « فلنفكر فى هذا الأمر » .
وأمامه على الطريق الرئيسى شاهد جوان أرنبا مدهوما . وكان الكثيرون من الناس يرغبون فى الجرى بالعجلات فوق أشياء من هذا

القبيل . ولكن جوان لم يفعل ذلك . اذ حرك عجلة القيادة بحيث مرت الجثة المبططة بين العجلات ولم يكن هناك صوت قرقشة. تحت اطارات الاوتوبيس . وزاد من سرعة اوتوبيسه الى ٤٥ كيلومترا في الساعة وكانت أتوبيسات الطريق الرئيسى تنطلق احيانا بسرعة ٦٠ كيلو مترا فى الساعة ولكن جوان كان لديه متسع من الوقت . وكان الطريق مستقيما لمسافة ميلين آخرين وبعدهما يبدأ فى التجول بين سفوح التلال الرخوة ، ورفع جوان احدى يديه من على عجلة القيادة وبسطها .

وشعرت ميلدريد بأعمدة التلغراف تخفق بالقرب منها كأنها ضربات صغيرة فوق عينيها . ووضعت نظارتها على عينيها مرة اخرى وراحت ترقب وجه جوان فى المرآة واستطاعت أن ترى من الزاوية التى تجلس عندها قدرا أكبر من بروفيل الوجه . ولاحظت انه قد رفع رأسه لينظر للخلف نحو الشقراء كل دقيقة أو نحو ذلك فشعرت بالغضب المر يتملكها وكانت مضطربة وحائرة ومرتبكة بسبب ما حدث فى ذلك المصباح . ولم يعرف أحد بالطبع ذلك اللهم الا اذا كان جوان قد ضمن مفترضا ما حدث لها ، اذ كانت لا تزال منتفخة بعض الشيء فى توتر واثارة بسبب ذلك الأمر ، وراحت عبارة تتردد على ذهنها فى الحاح ، انها ليست شقراء وليست ممرضة وليس اسمها كاميل أوكس . وظلت هذه العبارة تتردد مرات ومرات عديدة . وبعدئذ ضحكت من نفسها سرا دون أن يلحظها أحد وقالت لنفسها « اننى احاول تدميرها . وأنا بذلك أفعل شيئا يتسم بالحمق . لماذا لا اعترف بأننى غيورة ؟ اننى غيورة فعلا ، وهو كذلك ، وهل الاعتراف بذلك يجعلنى أقل غيرة ؟ لا . فالاعتراف لا يقلل الغيرة . ولكنها أرغمت والدى على أن يهزىء نفسه . حسنا ، وهل يهمنى ما اذا كان والدى مغفلا أو غير ذلك ؟ لا ، لا يهمنى ذلك — اذا كنت غير موجودة معه . فأنا لا أريد أن يظن الناس أننى أبنته وهذا هو كل ما فى الامر ، لا ، وليس ذلك صحيحا أيضا ، اننى لا اريد الذهاب معه الى المكسيك ، اذ يمكننى سماع الاشياء التى سيقولها » ولم تكن تحس بالراحة ، ولم تكن حركات الاوتوبيس تقدم لها العون والمساعدة ، وراحت تفكر « كرة السلة ، هذا هو الكلام الفاضى » ، ولوت عضلات فخذيها وراحت تفكر فى طالب الهندسة وتخيلت فى ذهنها ما حدث بينهما .

وكان المستر برتشارد متضايقا ومتعبا وهو قد يكون مشيرا

لاعصاب الآخرين للغاية عندما يكون متضايقا ، وتحرك حركة سريعة فجائية فى اهتزاز وقال لزوجته : « هذه المنطقة غنيسة ، فكاليفورنيا تزرع معظم الخضراوات اللازمة للولايات المتحدة الامريكية كما تعرفين » .

وكان باستطاعة المدام برتشارد أن تسمع نفسها وهى تتكلم عقب عودتها الى منزلها « ثم قطعنا بالاتوبيس اميالا واميالا من الحقول المليئة بنباتات الخشخاش والترمس وهى حقول تشبه الحدائق تماما . وكانت هناك فتاة شقراء توجد فى مكان صغير غريب ، فقام الرجال بحركات الاستظراف امامها وحتى اليوت نفسه فعل ذلك ، وبعد ذلك هزئت به بطريقة مرحة على مدى اسبوع بسبب ما اقدم عليه » . وهى قد تكتب هذا فى خطاب وتقول : « وأنا متأكدة بعض الشىء من أن هذه الانسانة المسكينة الصغيرة المدهونة بالمساحيق كانت لطيفة وحلوة ، وقالت عن نفسها أنها ممرضة ولكن من المحتمل أن تكون ممثلة — للأدوار البسيطة كما تعرفين ، اذ يوجد عدد كبير منهن فى هوليود ، ٣٨ الفا وفقا للسجلات الرسمية المقيدة بها اسماؤهم فهناك وكالة ضخمة لتشغيلهن ، ٣٨ الفا » وأخفضت رأسها فى تمايل بعض الشىء اذ كان النعاس يغالبها وكانت جائعة . وراحت تفكر « ترى ما هى تلك المغامرات التى سنواجهها الآن » .

وعندما أنزلقت زوجته الى أحلام اليقظة الخاصة بها أدرك المستر برتشارد ذلك . فهو قد قضى معها فترة طويلة من الحياة الزوجية بحيث أصبح يعرفها عندما لا تكون مصغية اليه ولكنه كان يستمر فى حديثه بطريقة عادية . وهو غالبا ما كان يوضح تفكيره بشأن الاعمال التجارية أو النواحى السياسية بأن يقول افكاره لبرنيس عندما لا تكون مصغية اليه ، وكانت له ذاكرة مدربة على لغة الارقام وبعض المعلومات ، فهو كان يعرف على وجه التقريب كم عدد أطنان سكر البنجر التى أنتجت فى وادى ساليناس . فهو قرأ الرقم واحتفظ به فى عقله على الرغم من ادراك انه لن يستفيد من هذه المعلومات ، اذ كان يشعر انه من المفيد أن يعرف مثل هذه المعلومات رغم انه لم يسائل نفسه عن قيمتها بالنسبة له ، وعن السبب الذى يجعل معرفتها مفيدة ، ولكنه فى هذه الآونة لم يكن لديه اى ميل نحو المعرفة ، اذ كانت هناك قوى شديدة توجه اليه الضربات تلو الضربات من مؤخرة الاتوبيس ، فهو كان يريد الالتفات لكى ينظر الى الشقراء ،

كان يريد الجلوس فى مكان يستطيع منه مراقبتها ، وكان كل من هورتون وبيميلز يجلس خلفه ، ولم يكن باستطاعته مجرد الجلوس فى وضع مقابل والنظر اليها .

وسألته المدام برتشارد « كم عمرها فيما تظن ؟ » وجاء السؤال بمثابة صدمة له لأنه كان يفكر فى نفس الشيء .

فسألها « كم عمر من ؟ »

« المرأة الشابة ، المرأة الشابة الشقراء »

« أوه . هى . كيف لى أن أعرف ؟ » وكانت اجابته جافة وخالية من الذوق حتى أن زوجته ارتبكت وشعرت بان مشاعرها قد جرحت بعض الشيء ، فلاحظ هو ذلك وحاول تغطية غلطته فقال لها « باستطاعتك أن تحددى سنها فى مزيد من الدقة أكثر منى » .

« لماذا ؟ لست أدرى ، حسنا ، أنه من الصعب معرفة سنها بينما هى تضع ذلك المكياج وذلك اللون الخفيف على الشعر .

لقد أردت أن أعرف لمجرد المعرفة واظن أن سنها ما بين خمسة وعشرين وثلاثين عاما » .

فقال المستر برتشارد « لم يكن بمقدورى معرفة ذلك » ونظر خلال النافذة نحو سفوح التلال المقتربة ، وكانت راحتا يديه مبللتين بالعرق بعض الشيء وكان المغناطيس فى مؤخرة الاتوبيس مازال يجذبه فأراد أن ينظر فيما حوله ثم قال « لست أعرف السر وراء شغفى بذلك الهورتون الشاب ، فهو صغير فى السن ومع ذلك أحرز قدرا كبيرا من التقدم والصعود ، ولديه بعض الأفكار ، لقد استحوذ فعلا على اعجابى ، ولربما أجد مكانا لرجل مثله فى المؤسسة » .

وكان هذا القول يدخل ضمن دائرة الأعمال التجارية ، وكان باستطاعة برنيس أيضا أن تجذب حولها دائرة سحرية بموضوع الأمومة أو بموضوع مثل الطمث مثلا وعندئذ فلن يحاول رجل الدخول الى دائرتها ، وكانت الأعمال التجارية هى الدائرة السحرية الخاصة بزوجها ، اذ لم يكن لديها الحق فى الذهاب بالقرب منه اذا كان الأمر يتعلق بالاعمال التجارية حيث لم يكن لديها معلومات عن النواحى التجارية ولم يكن لديها شغف أو اهتمام بها ، كانت عالمه الخاص به وكانت تحترم عالمه .

فقالت « يبدو أنه شاب لطيف كما أن قواعد اللغة عنده ومعلوماته العامة ... » .

فصاح فى انفعال « يا ألهى ، برنيس !! ان الأعمال التجارية

ليست معلومات عامة وقواعد فى اللغة . فالاعمال التجارية هى مايمكن أن ينتجه الانسان ، ان الاعمال التجارية هى أعظم شىء ديمقراطى فى العالم ، واهم شىء فى العمل التجارى هو : « ما هو الشىء الذى تستطيع ان تفعله » .

وكان المستر برتشارد يحاول أن يتذكر الشكل الذى تبدو عليه شفتا الشقراء ، وكان يعتقد أن النساء ذوات الشفاه الممتلئة شهوانيات ، ثم قال « اننى أرغب فى التحدث قليلا مع هورتون قبل ان يفلت منى وينصرف بعيدا »

وادركت برنيس انه كان قلقا .

فقال له « ولماذا لا تتحدث معه الآن ؟ »

« أوه ، لست أدرى . انه يجلس مع ذلك الولد » « أنا متأكدة أن ذلك الولد سيترك مكانه لو طلبت منه ذلك بطريقة لطيفة » . وكانت هى مقتنعة بأن أى شخص يمكنه أن ينفذ أى مطلب لو طلب منه ذلك بطريقة مهذبة ، وكانت على حق فيما يتعلق بها ، فهى كانت تطلب وتحصل على مساعدات كبيرة من الأغراب لمجرد أنها تطلب بطريقة مهذبة ، فهى قد تطلب من خادم الفندق أن يحمل لها حقائبها لمسافة اربعة منازل حتى المحطة بحجة أن المسافة قصيرة للغاية بحيث لا تستاهل استئجار سيارة وبعدئذ تشكره بطريقة مهذبة وتعطيه دايما واحداً .

وهى آنئذ كانت تدرك أنها تساعد زوجها على أن يفعل شيئا يرغب فى القيام به ، ولكن ما هو ذلك الشىء ، هذا ما لم تكن تعرفه ، وأرادت أن تعود الى كتابة الرسالة الخيالية عن رحلتهم . « واليوت شغوف ومهتم بكل شىء . فهو يتحدث لفترات طويلة مع كل شخص ، وأظن أن هذا هو السبب فى أنه ناجح للغاية . فهو عنده اهتمامات من هذا القبيل ، وهو كثير التفكير والتأمل الى حد بعيد ، وكان يوجد ولد يمتلىء وجهه بالبثور الكبيرة ولم يرد اليوت أن يقلقه ولكنى أخبرته بأن عليه فقط ان يطلب منه ما يريد بطريقة مهذبة ، فالناس يحبون فعلا الاخلاق الحسنة » .

وكان المستر برتشارد ينظف أظافره مرة اخرى بالمبرد الذهبى الذى كان يحتفظ به فى سلسلة ساعته .

وكانت عينا بيميلز مصوبة نحو مؤخرة رأس كاميل ، ولكنه كان متأكدا منذ أن جلس من انه لن يتمكن من رؤية ساقيها تحت

المقعد ولا حتى رسغيها وهى من وقت لآخر كانت تلتفت لتنظر من النافذة وعندئذ كان باستطاعته أن يرى منظرا جانبيا لوجهها ورموش عينيها الطويلة السوداء المقوسة لأعلى والأنف المستقيم الذى تعلوه البودرة وفتحتى الأنف المفلطتين قليلا بدخان التبغ والتراب الناجم عن السفر . وكانت شفتها العليا مقوسة لأعلى بزاوية حادة قبل ان تتوسد فى بتلة الزهرة الشديدة الاحمرار واستطاع بيميلز أن يرى الشعر الخفيف الناعم فوق شفتها العليا . ولسبب ما تألم بشدة لدى رؤيته هذا المنظر ، وعندما التفتت برأسها التفاتة كاملة تمكن من رؤية احدى أذنيها حيث افترق الشعر بعض الشىء فكشفها واظهرها ، وتمكن من رؤية حلمة الأذن التى يزيد حجمها قليلا عن الوضع الطبيعى ورأى التجاعيد خلف اذنها حيث كانت متلائمة تماما مع رأسها ، وكانت توجد حفر على حافة اذنها وعندما حملق فى اذنها بدا عليها كأنها مدركة نظراته لأنها رفعت ذقنها لأعلى وهزت رأسها من جانب لآخر حتى ان المفرق فى شعرها سقط على بعضه البعض واخفى الأذن وراءه . ثم أخرجت مشطا من حقيبة يدها لأن هزت رأسها للخلف قد كشفت عن الندبات الغائرة المجدرة على طول فكها . وعندئذ رأى بيميلز الندبات الغائرة القبيحة المنظر لاول مرة ، واضطر لان ينحنى على جانب لرؤيتها فى مزيد من الوضوح فنفذت الى صدره طعنة من الألم ، شعر بأسف عميق لا تبرير له الا أن أسفه اتخذ طابعا جنسيا فى نفس الوقت . وتخيل نفسه وهو ممسك برأسها فى يديه ورأى نفسه وهو يربت على الندبات المسكينة باصبعه . وازدرد ريقه مرات عديدة .

وكانت كاميل تقول فى رقة وهدوء « ثم توجد هناك مقبرة وى كيركى ذا هيثر ، وأظن ان تلك المقبرة هى اعظم مقبرة فى العالم . وتصورى أنه لابد للانسان من الحصول على تذكرة لكى يستطيع الدخول . وأنا شخصيا يحلو لى التنزه هناك . فهى جميلة للغاية والأرغن يعزف طوال الوقت تقريبا وأنت تجدين الناس مدفونين هناك وهم الذين قد شاهدهم الناس من قبل على الشاشة البيضاء . وكثيرا ما أبديت رغبتى فى أن ادفن هناك »

فقالت نورما « لا أرغب فى التحدث فى مثل هذه الأمور ، فهذا فال سىء »

وكان بيميلز يتناقش بطريقة فجة مع إرنست هورتون عن

الجيش « انهم يقولون ان باستطاعة المرء أن يتعلم التجارة ويسافر فى كل أنحاء العالم ، لست أدرى ، ولكننى بصدد دراسة هندسة الرادار ، ستبدأ فى الاسبوع القادم بالمراسلة بالبريد الجوى واظن ان الرادار سيصبح من الأمور الممتازة ، ولكن الانسان يستطيع أن يحصل وهو فى الجيش على مجموعة كاملة من الدروس والمحاضرات الممتازة عن الرادار »

فقال أرنست « لست أدرى الكيفية التى تكون عليها الأمور فى وقت السلم ، ولكن باستطاعتك الحصول على منهج كامل فى الرادار عندما تكون هناك حرب » .

« هل اشتركت فى معارك قتالية ؟ »

« أننى لم أنشد الدخول فى المعارك ولكنى اشتركت فيها ضد ارادتى »

فتساءل بيميلز « أين كنت حينئذ ؟ »

« فى كل أرجاء جهنم »

فقال بيميلز « ربما استطعت أن أخط لنفسى طريقا حسنا فى الحياة وأدخل فى أعمال البيع مثلك »

فقال أرنست « ولكن الانسان يتعرض للهلاك والموت جوعا الى أن يتمكن من توطيد اتصالاته ، فقد ظللت أكافح طوال خمس سنوات حتى تمكنت أخيرا من توطيد أتصالاتى . ثم بعد ذلك أطاحوا بى وألقوا بى بعيدا ، وها أنذا أعود الآن مرة أخرى لأقف على أقدامى ، ولا يمكنك أن تكتفى بوضع قدميك فى هذا المجال اذ ينبغى أن تعمل بكل كيانك ، والعمل فى هذا المجال لا يشبه العمل ولكنه عمل بالفعل . ولو قدر لى أن أبدأ حياتى من جديد سأتعلم حرفة حتى يكون لى بيت ، فمن الأمور المتعة للغاية آن يكون للانسان زوجة واثنان من الاطفال » وكان ارنست يقول دائما هذا الكلام وهو كان يعتقد فى صحة هذا الكلام عندما يكون مخمورا ولكنه لم يكن يرغب فى أن يكون له بيت ، اذ كان يعشق الانتقال من مكان لآخر ورؤية اناس مختلفين . فهو من النوع الذى لا يلبث أن يفر من أى منزل على الفور ، وهو كان قد تزوج ذات يوم ولكنه خرج هائما على وجهه فى اليوم الثانى للزواج تاركا وراءه زوجة مذعورة وغاضبة للغاية . ولم يشاهد زوجته بعد ذلك على الاطلاق ولكنه شاهد صورتها ذات مرة حيث ألقى القبض عليها بسبب تزوجها من من خمسة رجال فى آن واحد وحصولها على أسهم التأمين من الجيش

عن كل واحد منهم . يالها من امرأة محنكة . امرأة شرسة وأفاقة وعملية . وأغلب الظن أن ارنست كان معجبا بها لأنها قد تمكنت بشراستها من الحصول على الفوائد على الأسهم .

وسأل بيميلز « لماذا لا تلتحق مرة أخرى بالمدرسة ؟ » فقال بيميلز « أننى لا أريد أية مواد خيالية ، كما أن الاولاد فى الكليات مجرد مجموعة من الشباب المخنث . فأنا أريد لنفسى أن أحيا حياة الرجولة » .

وكانت كاميل قد انحنت بالقرب من نورما وكانت تهمس فى أذنها ، وكانته الفتاتان تتمايلان فى اهتزاز بسبب الضحك . وماج الاتوبيس حول المنحنى ودخل الى المنطقة الريفية المليئة بالتلال وكان الطريق قد شق بين جسرين مرتفعين وكانت التربة على طول جانبى الطريق سوداء وتقطر بالمياه . وكان نبات الخشخاش الصغير ذو اللون الذهبى ظهرا متشبثا ومتعلقا بالحصى وكان يقطر بالمياه ، ووضع جوان يده اليمنى على عجلة القيادة وجعل مرفقيه يتعلقان فى الهواء بدون الاستناد على شىء ، ستكون هناك خمس عشرة دقيقة على الطريق التلالى الملتوى الذى لا تتخلله مسافات مستقيمة على الاطلاق . وحملق جوان فى المرآة الداخلية نحو الشقراء . كانت عيناها مجعدتين مع الضحك وكانت قد غطت فمها بأصابع منبسطة كما تفعل الفتيات الصغيرات .

ولم يكن المستر برتشارد حريصا وهو ينتقل الى الخلف ، وعندما أخذ الاتوبيس ملفا فقد توازنه وارتمى على جانب وتشبث بظهر المقعد وأفلتت يده فسقط متمددا على حجر كاميل . وضربت يده اليمنى التى امتدت للحيلولة دون سقوطه جونلتها القصيرة لأعلى وذهبت ذراعه بين ركبتيها . فتمزق جزء صغير من جونلتها ، فساعدته كاميل لكى يخلص نفسه ثم جذبت جونلتها لاسفل ، فتورد وجه المستر برتشارد بشدة بسبب شعوره بالخجل .

وقال « آسف جدا »

« لم يحدث أى ضرر »

« ولكنى مزقت جونلتك »

« يمكننى اصلاحها »

« ولكن يجب على أن أدفع ثمن اصلاحها »

« سأصلحها مؤقتا بنفسى ، فالتمزق ليس كبيرا » ، ونظرت الى وجهه وأدركت أنه كان يتعمد الاطالة فى الكلام معها ، وراحت

تفكر « انه سيحاول أن يعرف العنوان الذى يرسل عليه النقود » .
ثم نادت المدام برتشارد : « اليوت . هل تحاول الجلوس فى حجر السيدة ؟ »
وعندئذ انفجر الجميع فى الضحك ، حتى جوان نفسه انفجر ضاحكا . وفجأة لم يعد الاتوبيس مليئا بالاغراب اذ حدث بينهم نوع من التفاعل الكيميائى . وضحكت نورما بطريقة هستيرية حيث ظهر كل التوتر الذى عاشته فى الصباح فى ضحكاتها .
فقال المستر برتشارد « لابد لى أن أقول ، وأرجو أن تصدقينى تماما ، اننى لم أحضر للخلف الى هنا لكى أجلس فى حجرك . لقد أردت أن أتحدث قليلا مع هذا الجنتلمان » ثم قال موجها كلامه لبيميلو « يابنى ، هل تتكرم وتترك مكانك لى لفترة بسيطة لأننى أريد أن أناقش بعض الأعمال التجارية مع المستر لا اظن اننى سمعت اسمك » .
فقال أرنست .. هورتون . أرنست هورتون » . وكان للمستر برتشارد مجموعة كاملة من الحيل التى يستخدمها فى معاملاته مع الناس لتحقيق النجاح والتقدم ، فهو لم ينس مطلقا اسم رجل اكثر غنى منه أو اكثر نفوذا وسلطانا منه ، ولم يعرف على الاطلاق أسم رجل أقل منه شأنا ومالا ، وقد اكتشفت أنه اذا أرغم رجلا على أن يذكر اسمه امامه فان هذا من شأنه أن يضع ذلك الرجل فى موقف الخسارة بعض الشىء ، فالرجل الذى يقوم بذكر الاسم الخاص به يصير عاريا وبدون حماية بعض الشىء .
وكانت كاميل تنظر الى جونلتها الممزقة وتتحدث بصوت جميل هادىء مع نورما « لقد أردت دائما أن أعيش فوق تل ، اننى أحب التلال وأعشق السير على التلال » .
فقالت نورما فى حزم « سيكون ذلك مناسبا بعد أن تصبحى غنية ومشهورة ، اننى أعرف اناسا يعملون فى السينما ويذهبون مع كل فرصة سانحة الى القنص وصيد الأسماك ويلبسون ملابس قديمة ويدخنون الغليون » .
وكانت كاميل تدفع بنورما للكشف عن مكنونات شخصيتها ، اذ لم يسبق لنورما على الاطلاق طوال سنوات عمرها أن شعرت بمثل هذه الاثارة والحرية والانطلاق حيث كان باستطاعتها أن تقول أى شىء تريده ، ثم ضحكت فى فتور بعض الشىء .
وقالت « أنه لشىء لطيف أن يرتدى المرء ملابس قديمة اذا كان يمتلك دولابا مليئا بالملابس الجديدة الجميلة النظيفة » . واستطرد

« الملابس القديمة هى النوع الوحيد الذى امتلكه ، ولقد تضايقت وما زلت متضايقة من ذلك الى حد بعيد » . ثم حملقت فى كاميل لترى ردود الفعل عليها ازاء صراحتها فى القول .

فأومأت كاميل برأسها « أنت تتحدثين فى صدق وصراحة يا أختى » ، وكان هناك شىء قوى وعاطفى للغاية ينمو بين هاتين الفتاتين ، وحاول المستر برتشارد سماع ما يدور بينهما من حديث ولكن دون جدوى .

وكانت الحفر الموجودة بجوار الطريق الرئيسى تنساب بالمياه الهابطة نحو الوادى وكانت السحب الكثيفة تتجمع استعدادا لهجوم جديد..

فقال فان برانت فى سعادة « انها ستمطر حالا » فزمجر جوان وقال « كان لى زوج أخت فركله حصان فأرداه قتيلا » .

فقال فان برانت « لابد انه لم يستخدم اى قدر من الذوق والادراك السليم . فاذا ركل حصان رجلا يكون الرجل هو المخطىء عادة ، فالحصان لا يرتكب أخطاء » فقال جوان « لقد قتله الحصان على كل حال » ثم لاذ بالصمت ، وكان الاتوبيس آخذا فى الاقتراب من قمة المطلع وكانت المنحنيات آخذة فى الضيق طوال الوقت .

« لقد كنت شغوفا للغاية اثناء حديثنا القصير هذا الصباح يامستر هورتون ، فالحديث مع رجل مثلك يعتبر متعة لأنك على جانب من حسن المظهر والحماس والحيوية ، وأنا دائما ابحث عن اناس بهذه الصفات للعمل فى مؤسستى » .

فقال ارنست « شكرا »

وقال المستر برتشارد « اننا نعانى من المتاعب الآن ، فهؤلاء الناس العائدون من الحروب وهم اناس لا بأس بهم وينبغى علينا أن نفعل كل شىء من أجلهم ـ كل شىء ، اقول أن هؤلاء الناس كانوا بعيدين لفترة عن مجال العمل . فالصدأ يعلوهم ، وفى الاعمال التجارية ينبغى على المرء أن يكون على اتصال دائم بها فى كل دقيقة ، بمعنى أن قيمة الرجل المتصل بالعمل باستمرار تكون ضعف قيمة الرجل الذى ترك العمل فى المصنع لفترة معينة » . ونظر اليه ارنست منتظرا منه الموافقة على رأيه . ولكنه بدلا من ذلك رأى نظرات حادة تهكمية تطل من عينى ارنست .

قال ارنست « انى أفهم وجهة نظرك ، لقد امضيت اربع سنوات فى الجيش »

فقال المستر برتشارد « أوه . أوه . نعم ـ انك لا تلبس الشعار الرمزى الذى يدل على انتهاء خدمتك فى الجيش »

فقال ارنست « لأننى قد حصلت على عمل »

وشعر المستر برتشارد بالارتباك والتردد فى أفكاره ، فهو قد ارتكب خطأ جسيما . واراد أن يعرف ذلك الشىء المعلق فى زر طية صيديرى ارنست ، اذ كان يبدو مألوفا له . ينبغى عليه أن يعرف ، وقال « حسنا » انهم مجموعة من الاولاد الظرفاء وآمل فقط أن نتمكن من وضع تدابير وأحكام تضمن توفير الرعاية لهم » .

فتساءل ارنست « مثل ما حدث بعد الحرب الماضية ؟ » كانت المسألة عبارة عن تراشق ومناوشات بينهما ، وبدأ المستر برتشارد يسائل نفسه عما اذا كان رأيه فى هورتون سليما . اذ كان فى هورتون نوع من الوحشية والكبرياء والخيلاء وصلابة الرأى وهى كلها صفات يتميز بها عدد كبير من الجنود الذين تركوا الخدمة فى الجيش ، ولقد قال الاطباء أن مثل هؤلاء الجنود سيتخلصون من هذه العادات ويشفون منها تماما بمجرد أن يعيشوا حياة طبيعية حسنة لفترة من الوقت ، فهم منحرفون عن جادة الطريق ولابد من عمل شىء من اجلهم .

وقال المستر برتشارد « اننى اول من وقف مدافعا عن جنودنا العائدين من الحرب » واستعان بالله لكى يخلصه من هذا الموضوع .

وكأن ارنست يسدد النظرات اليه فى ابتسامة ملتوية بعض الشىء وهى ابتسامة كان برتشارد قد بدأ يلحظها على وجه المتقدمين للحصول على وظائف ، فقال المستر برتشارد فى قلق « لقد ظننت فقط انه يهمنى أن أعقد مقابلة شخصية لرجل له حسن مظهرك وحيويتك وحماسك وسأكون سعيدا اذا قابلتنى عقب عودتى من اجازتى ، فباستطاعتنا أن نفسح مكانا لرجل له مميزاتك » .

فقال ارنست « حسنا ياسيدى ، اننى متبرم للغاية من التجوال عبر البلاد طوال الوقت . وكثيرا ما فكرت فى أننى أرغب فى أن يكون لى منزل وزوجة واثنان من الأطفال ، وتلك هى الطريقة الحقيقية للمعيشة ، أعود الى منزلى ليلا وأحول بينى وبين العالم بأسره فى الخارج . ولد وبنت على الاحتمال . فهذا النوم فى الفنادق ليس حياة » .

فأومأ المستر برتشارد براسه موافقا وقال « انت على حق فعلا » . وشعر بقدر كبير من الارتياح ثم أردف قائلا « وأنا فعلا

بمثابة الرجل المناسب الذى يقول لك ذلك . فأنا متزوج وأعيش فى ظل الحياة الزوجية منذ واحد وعشرين عاما ولم أرض عنهـــــا بديلا » .

فقال ارنست « أنت سعيد الحظ ، فزوجتك جميلة » فقال المستر برتشارد « وهى امرأة لطيفة أيضا ، وهى أكثر النـــاس تدبرا فى العالم ، وكثيرا ما تساءلت كيف كان يمكن لى تدبير امورى بغيرها » .

وقال ارنست « لقد زوجونى ذات يوم ، ثم ماتت زوجتى » وكان وجهه حزينا .

فقال المستر برتشارد « اننى لآسف من اجلك ، وهذا الأسف من جانبى قد يبدو سخيفا ، فالزمن يشفى بالفعل الجراح والآلام ، ولربما فى يوم ما ــ حسنا ، اننى لا أفقد الأمل »

« أوه ، اننى لا أفقد الأمل »

فقال المستر برتشارد « اننى لم أقصد التدخل فى شـــئونك الخاصة ، ولكننى كنت أفكر فى الفكرة التى قلتها لى عن الحلة الداكنـــة ذات القماش فى طية الصدر الذى يمكن نزعه وإعادته وهى الحـــلة التى تفكر فى تحويلها الى توكسيدو . فاذا لم تكن مرتبطا مـــع اى شخص أعتقد أنه يمكننا ــ حسنا ، يمكننا التحدث بشأن القيـــام بشىء من العمل التجارى » .

فقال ارنست « حسنا ، ان المسألة على النحو الذى قلته لك ، فصـــــانعو الملابس لا يريدون شيئا من شأنه أن يفقد سيطرتهم على بعض أعمالهم ، كل ما هنالك أننى لا أرى وجهة النظر المحـــددة الآن » .

وقال المستر برتشارد « لقد نسيت ما اذا كنت قد قلت لى انك تقدمت بطلب لاحتكار هذا الابتكار » .

« حسنا ، لقد أخبرتك أننى سجلت الفكرة فقط »

« ماذا تقصد بكلمة سجلت ؟ »

« حسنا ، لقد كتبت وصفا وخططت بعض الرســـــومات ووضعت كل ذلك فى ظرف وأرسلته بالبريد المسجل الى نفسى . مسجل بالبريد الجوى ، وذلك يثبت متى سجلت الفكرة لأن الظرف مختوم بالأختام »

فقال المستر برتشارد « لقد فهمت » . وساءل نفسه فى تعجب:

ترى مثل هذه الطريقة سيكون لها أى سند قانونى فى المحاكم ، ولم يعرف وضعها القانونى .

وكان من الأفضل دائما ادخال المخترع فى الموضوع على أساس نسبة مئوية . فالزملاء الكبار فقط هم القادرون على الغاء أى اختراع وذلك بشرائه برمته . وفى استطاعة الزملاء الكبار مواجهة مصاريف الصراع الطويل الأمد . وفى رأيهم أن ذلك ارخص من مقاطعة المخترع فقد أثبتت لغة الارقام أنهم على صواب ، ولكن شركة المستر برتشارد لم تكن شركة كبيرة بالقدر الكافى والى جانب ذلك كان يعتقد دائما أن عدم الانانية فى العمل التجارى يحتم دفع جميع المستحقات.

وقال « لقد جاءتنى فكرة أو فكرتان قد تحققان النجاح . والمسألة بالطبع تحتاج لبعض التنظيم ، والآن فلنفرض اننى وأنت استطعنا الدخول فى اتفاق تجارى ، هذا مجرد افتراض كما تعرف ، ففى هذه الحالة فاننى سأضطلع بالعملية وبذلك نستطيع الحصول على نسبة مئوية من الارباح بعد خصم جميع النفقات » .

فقال ارنست « ولكنهم لا يريدون تنفيذ هذا الاختراع فقد بحثت هذا الأمر فى أماكن مختلفة » .

فوضع المستر برتشارد يده على ركبة ارنست ، وكان لديه شعور أجوف بانه ينبغى عليه أن يكف عن الحديث مع ارنست ولكنه تذكر النظرات التهكمية فى عينى ارنست ، وهو كان يريد الفوز باعجاب ارنست وتقديره ومن ثم فانه لم يستطع الكف عن الكلام .

فقال « فلنفرض اننا كونا شركة وقمنا بحماية الفكرة ، أقصد نحتكر الاختراع . وما أن ننظم عملية تصنيع هذا النوع من المنتجات فان حملة على المستوى القومى »

فقاطعه ارنست قائلا « لحظة من فضلك »

ولكن المستر برتشارد كان قد جرفه التيار حيث استمر قائلا :

« والآن فلنفرض أن هذه الرسومات والتصميمات وقعت بمحض الصدفة فى أيدى هارت أو شافنر وماركس أو أى واحد من كبار أصحاب المصانع على نفس مستوى هؤلاء ، أو نفرض أنها وقعت فى أيدى المنظمة الاتحادية لأنهم بالطبع قد يحصلون عليها بمحض الصدفة ، فربما تكون لديهم الرغبة فى أن يشتروا منا جميع الكميات المصنعة بل ويشتروا منا حقوق الانتاج » ، فبدت على

ارنست دلائل الشغف والاهتمام وقال : « يشترون منـــا احتكار الاختراع » .
« ليس فقط أحتكار الاختراع ولكن يشترون الشركة باكملها »
فقال أرنست « ولكنهم اذا اشتروا احتكار الاختراع فباستطاعتهم ان يقتلوه »
وهنا تفتحت عينا المستر برتشارد ولمعت حدقتاعينيه من خلال نظارته وظهرت ابتسامة بسيطة على زاويتى فمه ، وغابت كاميـل عن ذهنه بشكل مستمر منذ أن هبطت من الاتوبيس القـادم من بسيدرو ، وقال « كن بعيد النظر الى اكثر من ذلك قليلا ، فنحن عندما نبيع الشركة ونحلها فاننا ندفع فقط ضريبة كسب راس المال على الأرباح » .

فقال ارنست فى اثارة « ذلك شيء جميل . نعم ياسيدى ، شيء جميل للغاية ، ان ذلك ابتزاز رائع للغاية . نعم يا سيدى ، لا أحد يستطيع أن يلمسنا » .
فاختفت الابتسامة من على وجه برتشارد ، وقال « ماذا تقصد بكلمة ابتزاز ؟ اننا نهدف أصلا الى التقدم فى المشروع والقـيام بالتصنيع وباستطاعتنا طلب شراء المعدات »
فقال ارنست « ذلك ما اعنيه، انها من نوع ممتاز للغاية ، فهى مغطاة من جميع النواحى ، انت رجل ماهر وقدير وذكى » .
فقال المستر برتشارد « آمل الا تظن أن هذه المسألة لا تتصف بالأمانة ، فأنا أمارس الأعمال التجارية وخبرتى فيها مستمرة على مدى ٢٥ عاما متصلة وقد وصلت الى منصب الرئاسة فى شركتى ، ويمكننى الفخر بسجل أعمالى » .
فقال ارنست « اننى لا انتقدك ، كل مافى الأمر اننى أعتقـد انك توصلت الى فكرة راسخة للغاية فى ذلك الموضوع . وانا متفق معك فى الرأى ، ولكنى فقط »
فقال المستر برتشارد « فقط ماذا ؟ » .
فقال أرنست « اننى اواجه نقصا فى النقود ، وفى حاجة الى مبلغ عاجل من الدولارات الامريكية ، أوه ، حسنا ، باستطاعتى الاقتراض على ما أظن » .
« لأى شيء تريد النقود ؟ فلربما أستطيع أن أعطيك سلفة »
فقال انست « لا ، سأدبر أمورى بنفسى »

وتساءل المستر برتشارد « أهى فكرة جديدة أو تعديل خطر على ذهنك ؟ » .

فقال ارنست « نعم ، اننى اريد أن أبعث بهذه الفكرة الى مكتب التسجيل عن طريق الحمام الزاجل » .

فقال المستر برتشارد « أنت لا تفكر لدقيقة واحدة » فقال ارنست « بالطبع لا ، بالتأكيد لا ، ولكنى ساكون أكثر سعادة عندما يذهب ذلك المظروف وحده الى وشنجتن »

واسند المستر برتشارد رأسه الى الخلف وابتسم . وكان الطريق الرئيسى يلف ويدور أمامه ، وبين كتفى القنطرتين الهائلتين كان يوجد الممر المؤدى الى الوادى التالى .

« ستكون على مايرام يا ابنى ، وأظن أن باستطاعتنا الاضطلاع بالعمل ، وان كنت لا اريد لك أن تظن أننى أجرى وراء المنفعة الشخصية ، فسجل أعمالى يتحدث عن نفسه »

وقال ارنست « أوه ، لا أظن ذلك عنك » ثم نظر خفية نحو المستر برتشارد وأردف قائلا « المسألة فقط هو اننى قد حصلت على اثنتين من السيدات الجميلات للغاية فى لوس انجلوس وأنا لا اريد الدخول فى تلك الشقة ونسيان كل شىء » ثم تفحص رد الفعل الذى كان يريده .

فقال المستر برتشارد « سأمضى يومين فى هوليود ، ولربما استطعنا التحدث قليلا فى العمل التجارى »

« اترغب فى الدخول الى شقة هاتين السيدتين ؟ »

« حسنا ، ان الرجل منا يحتاج لنوع من الاستجمام . لذلك سأكون موجودا فى بفرلى ويلشاير ، ويمكنك ان تزورنى هناك » .

وقال ارنست « سأزورك بكل تأكيد ، أى النساء تفضل من حيث لون البشرة ؟ »

فقال المستر برتشارد « لا تسىء فهمى ، إننى ارغب فى الجلوس وتناول الويسكى الاسكوتش والصودا ، ولكننى لى مركزى ومقامى كما تعرف ، ولا أريد منك أن تسىء فهمى » .

وقال ارنست « أوه ، انا لا أسىء فهمك ، ولربما إتمكن من التقاط الشقراء الجالسة أمامنا هنا اذا كنت تريدها » .

فقال المستر برتشارد « لا تكن سخيفا » .

وكان بيميلز قد تحرك الى الأمام فى الاتوبيس ، وشعر باحتراق

مؤلم فى الجانب الأسفل لفكه فأدرك أن احدى البثور تمسر بدور التكوين ، وكان جالسا فى المقعد الذى يقع على الجانب الآخر من ميلدريد . ولم تكن لديه الرغبة فى أن يلمس بيده المكان الجديدولكنه كان فاقد السيطرة على يديه ، فتحركت يده اليمنى لأعلى وحك اصبع سبابته التورم الصغير الموجود تحت ذقنه . وكان تورما محتقنا للغاية وكان هذا الدمل بصدد أن يصبح شيئا يصعب السيطرة عليه ، وأدرك مسبقا الشكل الذى سيكون عليه وأراد أن يهرشه ويعتصره ويشقه ويمزقه . وكانت أعصابه محتدة ومتوترة فدفع بيده فى جيب معطفه وقبض يده فى احكام هناك .

وكانت ميلدريد تحملق بنظرات خاوية خارج النافذة ، وقال بيميلز « اتمنى أن يكون باستطاعتى الذهاب للمكسيك » فنظرت ميلدريد فيما حولها نحوه فى دهشة ، وأمسكت نظارتها بالضوء القادم من نافذته وحملقت فيه دون أن تتبينه بوضوح .

وازدرد بيميلز ريقه وقال فى ضعف « لم يسبق لى الذهاب الى هناك على الاطلاق » .

فقالت ميلدريد « ولا أنا » .

« نعم . ولكنك بصدد الذهاب »

فأومأت برأسها ، ولم ترغب فى النظر اليه لأنها لم تكن تستطيع منع عينيها من النظر الى الأكزيما الخاصة به مما كان يسبب له الخجل والاضطراب . وقالت له فى شيء من القلق : « ربما تستطيع الذهاب فى وقت قريب » .

فقال بيميلز « أوه ، سأذهب بالتأكيد ، سأذهب الى كل مكان ، فالانسان يحصل على الخبرة فى الحياة من خلال الأسفار »

فأومأت برأسها مرة أخرى وخلعت نظارتها لحماية بيميلز من نظراتها ، وعندئذ لم يعد فى مقدورها أن تراه بوضوح .

« فكرت فى اننى ربما أصبح مبشرا مثل سينسر تراسى وأذهب الى الصين وأشفى الناس هناك من كل تلك الامراض . ألم يسبق لك الذهاب الى الصين ؟ » .

فقالت ميلدريد « لا » ، وبهرها تفكيره .

وقد حصل بيميلز على معظم أفكاره من الأفلام السينمائية والجزء الباقى حصل عليه من الراديو ، وقال « انهم اناس فقراء للغاية هناك فى الصين ، فبعضهم قد بلغ درجة كبيرة من الفقر الى

الحد الذى يجعلهم يموتون جوعا تحت نافذة منزلك اذا لم يحضر لنجدتهم أحد المبشرين لتقديم يد العون والمساعدة لهم ، وهم يحبونك اذا قدمت المساعدة لهم واذا اقترب منك اى يابانى واحدث متاعب فانهم يطعنونه بالسكين على الفور » ، ثم أومأ برأسه فى وقار واستطرد « وأعتقد أنهم أناس أخيار مثلك ومثلى تماما ، ان ما فعله سينسر تراسى هو أنه جاء اليهم وشفاهم من أمراضهم فأحبوه ، وهل تعرفين ماذا فعل ؟ أنه أكتشف روحه وجوهره ، وكانت هناك تلك الفتاة ولم يعرف ما اذا كان ينبغى عليه أن يتزوجها لأنها كان لها ماض . واتضح له بالطبع ان الفلطة لم تكن غلطتها بل واتضح له أن ذلك لم يكن صحيحا ولكن تلك السيدة العجوز هى التى كانت تشيع الاكاذيب عنها »

ولمعت عينا بيميلز بفعل العطف والشفقة والحماس ، واستطرد قائلا « ولكن سينسر تراسى لم يصدق تلك الأكاذيب ، وعاش فى قصر قديم به أنفاق وسراديب وممرات سرية حسنا وبعدئذ يجيىء اليابانيون »

فقالت ميلدريد « لقد شاهدت هذا الفيلم » .

وانطلق الاتوبيس على السرعة الثانية لعبور المطلع الأخير . وكان الاوتوبيس آنئذ عند قمة الفجوة ثم بزغ وأخذ ملفا شديدا الى اليسار والى أسفل كان الوادى كئيبا معتما بفعل السحب الرمادية وكانت العروة المائلة لنهر سان يسيدرو تلمع مثل الصلب القاتم تحت الضوء العابس . فقلل جوان من سرعة الاتوبيس وبدأ فى الهبوط .

الفصل العاشر

يجرى نهر سان يسيدرو عبر وادى سان جوان متخذا طريقه فى خط غير مستقيم فهو يدور ويلتوى الى أن يصب فى بطء فى خليج البلاك روك تحت رعاية وحماية مشروع نقطة بات Pot point والوادى فى حد ذاته طويل وغير متسع ويحاول نهر سان يسيدرو الذى لا يجرى لمسافة بعيدة للغاية الاستفادة لاقصى حد من أى مسافة يجرى عليها وذلك بالتحرك من أحد جوانب الامتداد المنبسط الى الجانب الآخر ، وهنا يشق طريقه تحت صخرة وعند جبل وبعدئذ يمتد رفيعا على شواطىء رملية . وطوال فترة لا بأس بها من السنة لا توجد به مياه سطحية على الاطلاق فيمتلىء قاع مجرى النهر بأشجار الصفصاف التى تمتد جذورها الى أسفل نحو المياه الجوفية .

وعندما تنضب مياه النهر تتخذ الأرانب والراكونات والثعالب الصغيرة مساكن لها بين أشجار الصفصاف النامية فى قاع النهر . وعند رأس الوادى من جهة الشمال والشرق يبزغ النهر ليس فى شكل رأس واحدة وانما فى شكل فروع صغيرة متعددة حتى أن المنبع على الخريطة يشبه شجرة ذات أغصان صغيرة بدون أوراق ، وتزود التلال الجافة والصخرية بحوافها وأخاديدها ووديانها الصغيرة النهر بالمياه على مدار السنة ولكن عندما يسقط المطر فى أواخر الشتاء والربيع تمتص الحواف الصخرية قدرا قليلا من الماء وتقذف بالجزء الباقى فى شكل سيول جارفة سوداء الى الجداول الصغيرة التى تتشقلب خارجة من الثنايا وتتحد الجداول الصغيرة مع بعضها البعض وتتصل بمصارف أكثر أتساعا وتتلاقى المصارف عند الطرف الشمالى من الوادى .

وفى أواخر الربيع أى عندما تكون التلال قد استوعبت بقدر ما تستطيع أكبر كمية من الأمطار قد تتسبب عاصفة هوجاء فى رفع نهر سان يسيدرو الى حالة الفيضان الغاضبة خلال ساعات قليلة للغاية ، وعندئذ تقوم المياه الصفراء المزبدة بقطع شواطىء النهر فتقع فى المجرى كتل هائلة من الأراضى الزراعية ، ثم تسير أجساد

الأبقار والأغنام متشقلبة ومتدحرجة مع الفيضان الاصفر اللون . فهو نهر متقلب وسريع الفيضان ميت خلال فترة من السنة ومميت خلال فترات أخرى .

وفى منتصف الوادى الذى يقع على خط مستقيم بين ريبل كورنرز وسان جوآن دى لا كروز يسير النهر فى شكل عروة هائلة ممتدة من جانب لآخر عبر الوادى المنبسط حيث يلتف النهر فوق الجبل على الحافة الشرقية ويتحرك بعيدا ليعبر الحقول والأراضى الزراعية ، وكان الطريق فى الأزمنة القديمة يسير بحذاء عروة النهر ويزحف فوق التل متجنبا عبور النهر . ولكن مع ظهور المهندسين والصلب والخرسانة شيد كوبريان فوق النهر فاختصرا ١٢ ميلا من المداعبات التى يقوم بها نهر سان يسيدرو .

وكان الكوبريان مصنوعين من الخشب ومدعمين ومعلقين فوق قضبان من الصلب ، وكان كل منهما مدعما فى الوسط وفى الاطراف بأعمدة من الخرسانة ، وكانت أخشابها مطلية باللون الأحمر الداكن أما الحديد فكان له لون قاتم بسبب الصدأ ، وعلى جانب النهر عند الكوبريين كانت المياه المنحسرة للخلف بفعل أكوام الصفصاف المجدول المنبسط كالمرتبة تنحرف بالتيار الرئيسى للمياه نحو بواكى الكوبرى مانعة التيار الناخر من تقويض رأس الكوبرى .

ولم يكن هذان الكوبريان قديمين للغاية ولكنهما قد شيدا فى وقت كان فيه معدل الضريبة منخفضا بالاضافة الى أنه تعذر أيضا جمع قدر كبير من الضرائب بسبب ما كان يسمى بفترة الكساد العظمى ، فقد رأى مهندس الاقليم أن الأمر يقضى بتشييد الكوبرين فى حدود الميزانية التى لم تكن تسمح الا بأبسط أنواع التشييد وكان ينبغى أن تكون أخشابه أكثر ثقلا ودعائمه أكثر عددا ، ولكنه كان مضطرا للبناء فى حدود اعتمادات مالية محدودة ، فتم التشييد على ذلك النحو . وفى كل عام كان المزارعون فى وسط الوادى يرقبون النهر فى سخرية لأنهم كانوا يدركون انه قد يحدث فى أى وقت فيضان سريع وساحق مما يؤدى الى اقتلاع الكوبريين ، وكانوا فى كل عام يتقدمون بالالتماس للولاية لاستبدال الكوبريين الخشبيين ولكن لم تكن هناك أصوات كافية عن القطاع الريفى لتحويل لغة الالتماس الى لغة آمرة ، أما المدن الكبيرة فكانت لديها الاصوات الكافية عن القطاع الحضرى وكانت لديها الممتلكات والعقارات التى يمكن فرض الضرائب عليها ولذلك كانت تنصب على هذه المدن التحسينات

والاصلاحات ، وكان الناس لا يرحبون بالهجرة الى الاراضى الزراعية المتوسطة الخصوبة وكانوا ينظرون الى محطة لخدمة السيارات فى سان جوان على أنها أفضل من مائة فدان مزروعة بالقمح فى الوادى . وكان المزارعون يدركون أن الكوبريين سيتحطمان ان عاجلا أو آجلا وعندئذ ـ وعلى حد قولهم ـ سيفيق مجلس المقاطعة من سباته ويعود الى رشده .

وعلى مساحة مائة ياردة من الكوبرى الاول فى اتجاه ريبل كورنرز كان يوجد متجر عام على الطريق الرئيسى يحتوى على مواد البقالة واطارات السيارات ومعدات وبضائع وحدايد وكلها أشياء كان يشتريها المرء فى فترة ما بعد ظهر يوم السبت أو عندما لا يكون لديه متسع من الوقت لان يقود سيارته سواء الى سان جوان دى لاكروز أو الى سان يسيدرو عبر سلسلة التلال . وكان هذا المتجر العام للمستر « بريد » ، وفى السنوات الاخيرة أضاف لمتجره مضخات البنزين وكميات من قطع الغيار للسيارات شأنه فى ذلك شأن اصحاب جميع المتاجر العامة الريفية .

وكان المستر بريد وزوجته حارسين غير رسميين على الكوبرى . وفى أوقات الفيضان كان تليفونهما يدق باستمرار فكانا يقومان بتزويد الجمهور بالمعلومات عن مدى ارتفاع النهر .

وكانا معتادين على ذلك . وكل ما كان يقلقهما هو انه اذا انهدم ذلك الكوبرى فى يوم ما واذا ما تم اختيار موقع للكوبرى الجديد على مسافة ربع ميل أسفل النهر فانهما سيضطران الى نقل مكان متجرهما العمومى وبناء متجر جديد بالقرب من الكوبرى الجديد .

وكانت نصف مبيعاتهما على الأقل فى هذه الايام من المشروبات الهادئة غير الكحولية والساندوتشات والبنزين والحلوى التى يشتريها المسافرون على الطريق الرئيسى .. وحتى الاتوبيس الذى يعمل بين ريبل كورنرز وسان جوان كان يتوقف باستمرار عند متجر بريد لاحضار الطرود العاجلة وكان المسافرون عليه يتناولون المرطبات والمشروبات الهادئة . وكان آل شيكوى وآل بريد أصدقاء مخلصين لبعضهم البعض منذ فترة طويلة .

وكان النهر مرتفعا آنئذ . بل وكانت توجد ـ كما قال المستر بريد لزوجته ـ ضربات الماء التى تتحرك فجاة تحت الاعمدة وتصل حركتها الى أعلى الكوبرى ، فاذا شقت لنفسها اخدودا فى ظهر الكوبرى فسوف يتعطل متجرهم » ، وقد قام بريد بست رحلات

الى راس الكوبرى منذ بزوغ ضوء النهار وادرك أن راس الكوبرى سيئا ، وقد وقف بدقنه غير الحليقة وبشفتيه المزمومتين فوق الكوبرى فى الساعة الثامنة صباحا وراح يرقب المياه الصفراء المتقلبة المزركشة بالزبد الاصفر والمنقطة بأشجار البلوط الصغيرة المقتلعة من جذورها وبعيدان القطن . ورأى عددا قليلا من الواح الخشب السميك المقطوع من الغابات والممهدة بالفارة يهبط فى دوامة الى أسفل . وبعدئذ شاهد قطعة من سقف مازالت بها أخشاب السقف الخاصة بها ، ثم شاهد الجسد الغريق المتمايل للثور الأسود الذى هو من نوع الأنجوس والخاص بماك ايليروى بشكله المربع وبأقدامه القصيرة ، وعندما دخلت جثة هذا الثور تحت الكوبرى انقلبت على ظهرها فاستطاع بريد أن يرى عينى الثور المتوحشتين المقلوبتين واللسان المتدلى . فشعر بالغثيان والانقباض فى معدته .

وكان كل شخص يعرف أن اسطبل ماك ايلروى يوجد بالقرب من شاطىء النهر وأن ثمن ذلك الثور ١٨٠٠ دولار . ولم يمتلك ماك ايلروى هذا الشكل من أشكال النقود ليلقى بها بعيدا ، وصحيح أنه لم يشاهد انجراف أى بقرة أخرى من باقى القطيع الى الهاوية ولكن يكفى فقدان هذا الثور ، فقد كان ماك يعتمد كثيرا على هذا الثور .

وسار بريد لمسافة أطول فوق الكوبرى ، وكانت المياه آنئذ على مسافة ثلاثة أقدام فقط أسفل أخشاب الكوبرى ، وشعر بالمياه المتوثبة تضرب بشدة أساسات الكوبرى فى احتجاج تحت قدميه ، ومسح ذقنه غير الحليقة بأصابعه وسار عائدا الى المتجر ، ولم يخبر زوجته عن الثور الانجوسى الأسود الذى يمتلكه ماك ايلروى ، لان ذلك لن يسبب لها سوى الحزن والأسى .

وعندما استفسر جوان شيكوى عن الكوبرى تليفونيا اخبره بريد بالحقيقة صراحة . وكان الكوبرى مازال موجودا فى مكانه ولكن الى متى يظل سليما ؟ هذا فى علم الله وحده ، اذ كانت المياه مازالت آخذة فى الارتفاع وكانت التلال العارية الحجرية مازالت تفرغ فيضانها وسيولها فى النهر علاوة على أن السحب كانت تتجمع فى السماء من جديد .

وفى الساعة التاسعة أصبحت الاخشاب السفلى مغطاة بمياه الفيضان باستثناء ١٨ بوصة فقط ، فاذا ما وقع الضغط على تلك الدعائم والأعمدة واذا قامت أعداد قليلة من الاشجار المقتلعة من

جذورها بالدفع بعنف فى الكوبرى عندئذ ستكون المسألة مسألة وقت فقط ، ووقف بريد خلف بابه ذى الشاشات وراح يطرق فى ايقاع بأصابعه فوق الأسلاك .

وقالت زوجته « دعنى أعد شيئا من طعام الافطار ، أتظن انك قد امتلكت الكوبرى ؟ »

فقال بريد « اننى أمتلكه بشكل ما ، فاذا تحطم الكوبرى سيقولون أن الغلطة هى غلطتى ، علما باننى اتصلت بمكتب المشرف ثم اتصلت بمهندس المنطقة فلم أجد أحدا منهما فى مكتبه ، ولو وصل ذلك الاخدود الى عامود الكوبرى سينتهى كل شىء » .

« يحسن بك أن تتناول قدرا من طعام الافطار ، سأعد لك بعض الكعك المصنوع من دقيق القمح » .

فقال بريد « وهو كذلك ، لا تجعلى الكعك سميكا للغاية » فقالت المدام بريد « اننى لا أصنعه سميكا أبدا ، اتريد أن أضع لك بيضة فوق الكعك ؟ »

فقال بريد « بالتأكيد » واستطرد « لست أدرى ما اذا كان جوان شيكوى سيقوم برحلته أم لا ؟ . ومن المتوقع أن يصل بعد حوالى ساعة . وبحق السيد المسيح أن المياه لمرتفعة للغاية !! »

فقالت المدام بريد « لاداعى للقسم »

فنظر زوجها أليها وقال « اننى أقول أن هذه احدى المرات التى تستوجب كل الدواعى للقسم ، سأتناول جرعة من الخمور » .

« قبل أن تتناول طعام الافطار ؟ »

« قبل كل شىء . »

وهى لم تكن تدرى بالطبع بما حدث للثور الأسود ، وذهب الى تليفون الحائط وأدار القرص على رقم ٣٢ الخاص بماك ايلروى ، وظل رافعا السماعة الى ان رد عليه بايندال على مسافة ميلين على نفس الخط الخاص بماك ايلروى .

وقال بايندال « لقد حاولت أنا الاتصال به أيضا ولكن تليفونه صامت ولا حياة فيه ، انني سأذهب اليه لكى اطمئن عليه »

وقال بريد « آمل أن تذهب للاطمئنان عليه ، لقد انجرف ثوره تحت الكوبرى هذا الصباح »

فنظرت المدام بريد فى ذعر وصاحت « وولتار ! »

« نعم ، هذا هو ما حدث ، ولكنى لم اخبرك لكى تشعرين بالانزعاج »

فقالت المدام « وولتار ! أوه ، يا الهى »

الفصل الحادى عشر

وقفت آليس شيكوى خلف الباب ذى الشاشات وشاهدت الاتوبيس لدى تحركه بعيدا ، وتركت الدموع تجف فوق خديها ، وعندما لم يعد بامكانها متابعة الاتوبيس من مكانها عند الباب ذهبت الى النافذة الجانبية حيث يمكن لها مشاهدة الطريق الاقليمى من خلالها . فرأت الاتوبيس وهو يجرى تحت مسافة صغيرة من ضوء الشمس متوهجا للحظات قصيرة ثم لم يلبث أن غاب عن بصرها تماما ، فسحبت آليس نفسا طويلا ثم أطلقته فى تأوه شهوانى ، لقد كان ذلك اليوم هو يومها . كانت بمفردها ، وشعرت بالسعادة لأنها أصبحت بعيدة عن أعين الناظرين وملاحظاتهم وشعرت أيضا أنها مثقلة بالخطايا ، وفى بطء شدت رداءها لأسفل لازالة الكرمشة وداعبت فخذيها ، ونظرت الى أظافرها ، لا ، فليتم ذلك الأمر فيما بعد .

ونظرت ببطء فى أرجاء صالة الطعام ، كان لا يزال باستطاعتها أن تشم رائحة دخان السجاير ، وكانت هناك أعمال تتطلب القيام بها الا أن ذلك اليوم كان يومها فقامت بانجاز المطلوب منها فى بطء ، فأحضرت فى بادىء الأمر من الدولاب لافتة من الورق المقوى مكتوبا عليها كلمة « مغلق » بحروف كبيرة . وذهبت للخارج وعلقت اللافتة على مسمار فوق حافة الباب ذى الشاشات ، ودخلت وأغلقت الباب ذا الشاشات وأحكمت غلقه بالمزلاج ثم جذبت الباب الداخلى وأدارت المفتاح فيه ، ثم أغلقت الشيش فى جميع النوافذ لكى لا يتمكن أحد من النظر الى الداخل .

وكانت صالة الطعام معتمة فى ضوء كالغسق وكان الهدوء مهيمنا عليها ، وارحت آليس تعمل فى تأن وروية ، فغسلت فناجين القهوة المتسخة وحفظتهما فى أماكنها ثم غسلت الكاونتر والمناضد وأخفت الشطائر تحت الكاونتر . وأحضرت مقشة من غرفة النوم وكنست الأرضية ووضعت التراب والوحل وأعقاب السجاير فى صفيحة القمامة ، ولمع الكاونتر قليلا تحت الضوء المعتم الذى يشبه الغسق . وبدت المناضد بيضاء ونظيفة .

وجاءت من حول الكاونتر ، وجلست فوق أحد ألكراسى التى لا مسند لها ، لقد كان هذا اليوم هو يومها !! وشعرت بشىء من السخافة والغباء والدوار ، وقالت بصوت مرتفع « حسنا ، ولم لا ؟ » واردفت « اننى لا احصل على قدر وفير من المرح ، أحضرى لى كاسا من الويسكى مضاعف الكمية واسرعى به الى »

وضعت يديها على الكاونتر ونظرت أليهما فى عناية وهمست لنفسها « يدان مسكينتان محطمتان بسبب العمل ، يدان عزيزتان » ثم قالت فى صراخ « أين بحق السماء ذلك الويسكى ؟ » وأجابت على نفسها : « نعم ، ياماما ، سيأتى اليك حالا ياماما » .

فقالت آليس « حسنا ، ذلك افضل ، فانا أريدك فقط أن تعرفى من التى تتحدثين اليها . لا تضعى أحمر الشفاه لأنك لن تفلحى فى عمل بدون أن اكتشف امرك واعاقبك ، فانا منتبهة لما تفعلين »

وأجابت على نفسها « نعم ، ياماما » ثم نهضت وذهبت الى خلف الكاونتر .

وعند نهاية طرف الكاونتر كان يوجد صوان صغير منخفض وقريب من الارض ، فانحنت عليه آليس وفتحت بابه وتحسست بيدها داخله دون أن تنظر الى داخله واخرجت خمس زجاجة ويسكى من نوع الأولد جراندا ، والتقطت كوب ماء من فوق الرف وحملت الزجاجة والكوب الى الكاونتر امام الكرسى الذى كانت تجلس عليه .

« اتجلسين هنا ياماما ؟ »

« انقلى هذه الأشياء الى تلك المنضدة ، اتظنين اننى اشبه أولئك الذين يقفون عند البارات ؟ »

« لا ، ياماما »

« احضرى لى ايضا كوبا اخرى وزجاجة من البيرة المثلجة »

« نعم ، ياماما »

ثم حملت كل هذه الأشياء وسارت نحو المنضدة التى توجد بجوار الباب ووضعتها على المنضدة وقالت « يمكنك أن تذهبى الآن » وأجابت « نعم ، ياماما »

« ولكن لا تذهبى بعيدا ، فلربما أريد شيئا » .

وبينما كانت تصب البيرة ضحكت فى نفسها فى شىء من الفتور وقالت « لو سمعنى أى شخص لاعتقد اننى مجنونة ، حسنا

ربما اكون كذلك بالفعل » وصبت جرعة كبيرة فى الكوب الأخرى وقالت « ياآليس استعدى للشراب » ولوحت بالكوب واحتست فى بطء . لم تبتلع الجرعة وانما جعلت الويسكى الصافى النقى يتحرك فى بطء ويحرق وينساب فوق لسانها وخلفه ، وازدردت ريقها فى بطء فشعرت بشىء يعض فى سقف فمها ، وسرى دفء الويسكى فى صدرها وفى معدتها ، وحتى بعد أن أفرغت الويسكى فى صدرها وفى معدتها ، وحتى بعد أن أفرغت الكوب ظلت رافعة اياه على شفتيها . ثم انزلت الكوب وقالت « آه » وأطلقت زفيرا فى صوت خشن واجش .

واستطاعت أن تتذوق الويسكى اللذيذ مع عودة أنفاسها . ثم مدت يدها نحو قدح البيرة ، وضعت ساقا على ساق وراحت تشرب ببطء الى أن فرغ القدح .

وقالت « ياالهى » .

وبدا على آليس أنها لم تكن تعرف مطلقا كيف أن صالة الطعام كانت مريحة وجذابة للغاية باضوائها المنسابة لأسفل من خلال شيش النوافذ المائلة . وشعرت بمرور لورى على الطريق الرئيسى فأزعجها ذلك ، فلنفرض أن شيئا ما ظهر بالصدفة ليعكر صفوها ؟ حسنا أنهم قد يضطرون الى كسر الباب ولكنها لن تسمح لأحد بالدخول ، .وصبت بوصتين من زجاجة الويسكى فى كأس وأربع بوصات من البيرة فى الكأس الأخرى .

وقالت « توجد أكثر من طريقة لتناول الجرعة » ثم دفعت بالويسكى الى جوفها ودفعت بالبيرة وراءه مباشرة . والآن توجد فكرة . ان المذاق يختلف تبعا لطريقة الشرب ، فالطريقة التى تشرب بها تغير المذاق ، لماذا لم يكتشف أى انسان آخر تلك الحقيقة وآليس فقط هى التى اكتشفتها ، ينبغى أن يكتب شخص ما عن هذه الحقيقة ـ « الطريقة التى تشرب بها هى التى تصنع المذاق » . وكان يوجد توتر بسيط فى جفن عينها اليمنى وجرى ألم غريب فى عروق ذراعيها الا انه الم ممتع .

وقالت فى وقار « لا أحد عنده الوقت الكافى لاكتشاف الامور » واستطرد « لا يوجد متسع من الوقت » وملأت نصف كوب بالبيرة ثم أكملته بالويسكى « ترى هل جرب اى شخص ذلك من قبل ؟ »

وكان حامل ورق السفرة المعدنى موجودا أمامها فرأت انعكاس وجهها عليه ، فقالت « هالو ، أيتها الفتاة » ولوحت بالكأس فظهر

انعكاسه مشوها على المعدن اللامع مثل وجهها « وهذه طريقة يافتاة . في صحتك . يافتاة » ثم شربت البيرة والويسكي بنفس الطريقة التي يشرب بها رجل في سن الثلاثين اللبن ، وقالت « آه ، ليس هذا أمرا سيئا للغاية ، لا ياسيدى ، أظن أننى قد حصلت على شيء ما هناك ، ذلك حسن » .

وحركت حامل ورق السفرة لكي تتمكن من رؤية نفسها بشكل افضل الا أن انحناء في السطح المعدني جعل أنفها يبدو منكسرا عند القمة ومثل البصلة الممتلئة عند القاع . فنهضت ودارت حول الكاونتر وذهبت الى غرفة النوم وأحضرت مرآة يد مستديرة الى المنضدة وسندتها على وعاء السكر وجلست ووضعت ساقا على ساق . «هنا الآن ، أود أن أدعوك للشراب » وصبت ويسكي في الكوبين وقالت « بدون بيرة ، الكل بدون بيرة ، حسننا ، سنتبع هذه الطريقة » .

وذهبت الى صندوق الثلج وأحضرت زجاجة أخرى من البيرة وقالت للمرآة « والآن ، أتفهمين ، نحن نضع أولا قدرا قليلا من الويسكي — كمية ليست كبيرة للغاية وليست صغيرة للغاية . ونضيف الكمية المناسبة تماما من البيرة ، وها أنت هناك » ودفعت باحدى الكأسين نحو المرآة وأفرغت في جوفها الأخرى وقالت « بعض الناس يخشون تناول الخمور ، انهم لا يستطيعون تناولها »

« أوه ، الا تريدينها ؟ حسنا ، هذا من حقك . فلن أجبرك على تناولها ، ومع ذلك فأنا لن ألقى بها الى صندوق القمامة » ثم ابتلعت الكأس الثانية ، وأصبحت وجنتاها مخدرتين آنئذ كأن صقيعا أخذ يلدغ في البشرة . وكانت عيناها مبللتين ولامعتين ، وألقت الى الخلف خصلة شعر غير مثبتة .

« لا داعى لان تجعلى مزاجك ينحرف لمجرد انك تمضين وقتا طيبا » . وفجأة وبدون سابق انذار رفرفت رؤية في رأسها . فقامت بقلب المرآة على وجهها . وهبطت عليها تلك الرؤية بقوة وبسرعة شديدة حتى أنها كانت بمثابة ضربة وقعت عليها . وربما نبعت تلك الرؤية فجأة من الظلام الذى بدأ يهيمن على الغرفة ، فصاحت آليس « اننى لا أريد التفكير في ذلك الأمر ، اننى أكره التفكير في ذلك » .

ولكن الفكرة والرؤية كانتا موجودتين في داخل رأسها ، غرفة أظلمت اضاءتها وسرير ابيض وأمها مشلولة ومتخشبة لا تقوى على الحركة وعيناها تحملقان لأعلى في خط مستقيم ،

وبعدئذ ترتفع اليد البيضاء من تحت الغطاء فى حركة مليئة باليأس طالبة النجدة والعون ، وعندئذ كانت آليس تتسلل فى هدوء الى الداخل ولكن تلك اليد كانت ترتفع فى عجز مخيف فكانت آليس تمسك بها لبرهة قصيرة ثم تسقطها فى رفق وتخرج ، وفى كل مرة دخلت فيها آليس تلك الغرفة كانت تلتمس من اليد الا ترتفع وأن ترقد وتموت مثل بقية أعضاء الجسم .

وصرخت آليس « لا أريد التفكير فى ذلك الأمـــر » وأردفت كيف دخلت تلك الفكرة الى رأسى ؟ » واهتزت يدها فاصطكت الزجاجة بالكوب محدثة قعقعة عالية . وصبت جرعة كبيرة وأفرغتها فتوقفت بعض الشىء فى حلقها مما جعلها تكح وتسعل ، وعندئذ فقط أحست أنها أنقذت نفسها من الوقوع فريسة للمرض . وقالت « سيصلح ذلك من شأنك » وأردفت « أريد التفكير فى أى شىء آخر » .

وتخيلت نفسها فى السرير مع جوان . ولكن ذهنها انزلق الى ماوراء ذلك ، وقالت فى تفاخر « لقد كان باستطاعتى الحصول على أى رجل يروق لى » . واستطردت « يعلم الله ؟ عدد كبير من الناس قد توددوا الى ولكنى لم أستسلم لهم كثيرا » والتوت شفتاها فى تباعد عن أسنانها بطريقة شهوانية بعض الشىء وصاحت « ربما كان ينبغى على أن أفعل عندما كان ذلك فى استطاعتى . فأنا بدأت أتقدم فى السن ـ تلك اكذوبة ملعونة » واستطردت « اننى فى نفس الحالة الجيدة التى سبق أن كنت عليها دائما ، بل اننى أفضل من ذى قبل !!! من بحق الجحيم يرغب فى امرأة سيئة الخلق حادة المزاج عجفاء هزيلة لا تعرف ماذا تفعل ؟ فلا أحد من الرجال يرغب فعلا فى نساء مثل ذلك . باستطاعتى أن أذهب الآن على الفور والتقطهم مثل الذباب »

وكانت كمية الخمور فى الزجاجة تصل آنئذ الى أقل من النصف ، وسكبت قليلا من الخمور خارج الكأس وهى تصب فضحكت لنفسها وقالت « لا أعتقد اننى بصدد أن أصبح مخمورة بعض الشىء » .

وجاء طرق هائل على الباب ذى الشاشات . فتجمدت آليس وجلست صامتة فى مكانها ، وجاء الطرق مرة أخرى ، وقال صوت رجل فى نغمة عالية « لا أحد هنا ، خيل لى أننى سمعت كلاما » فرد عليه صوت امرأة « حسنا ، حاول مرة أخرى ، فلربما يكونون بعيدين فى الخلف » .

والتقطت آليس مرآة اليد برفق ونظرت الى نفسها ، وأومأت برأسها وغمزت باحدى عينيها غمزة كبيرة ، وجاء الطرق مرة أخرى.
« قلت لك انه لا يوجد أى شخص هنا »
« حسنا ، جرب الباب »
وسمعت آليس الكركبة والخشخشة المنبعثة من الباب ذى الشاشات . وقال الرجل « الباب مغلق بالقفل » وردت المرأة « انه مغلق بالقفل من الجانب الداخلى ، ولابد أنهم موجودون فى الداخل »
فضحك الرجل واحتكت أقدامه فى الحصى « حسنا ، اذا كانوا موجودين هناك فى الداخل فهم يريدون أن يكونوا وحيدين ، الا تريدين أبدا أن تكونى وحيدة أيتها الطفلة الصغيرة الحلوة ؟ أقصد وحيدة معى ؟ »
فقالت الفتاة « أوه ، أسكت » واستطردت « أريد ساندوتشا » .
« بالنسبة لذلك عليك بالانتظار » .
وتعجبت آليس كيف أنها لم تسمع السيارة أو وقع الاقدام على الحصى قبل أن يجيىء الطرق على الباب ، وراحت تفكر : « أراهن على أننى مخمورة » ، واستطاعت سماع السيارة لدى انصرافها بعيدا .
فقالت آليس بصوت مرتفع « الا يمكنهم أن ينظروا الى كلمة «لا» على أنها اجابة » واستطردت « فالانسان يريد فقط أن يأخذ يوما للراحة واستجماع نشاطه ، وهم على أى حال قد زودوا أنفسهم بساندوتشات لعينة »
ورفعت الزجاجة لأعلى ونظرت بعينين مغلقتين بعض الشىء الى الويسكى من خلال الزجاجة فى شىء من الترو والصبر . « الكمية الباقية ليست كبيرة » ، وسيطر عليها الخوف والفزع . فلنفرض أنها نفدت قبل أن تصل هى الى ذروة الاشباع ؟ ثم أومأت برأسها وابتسمت لنفسها ، اذ كانت هناك زجاجتان من الخمور القوية الحلوة المذاق ذات اللون الأحمر الداكن فى داخل الدولاب فى الخلف ، فاعطتها الزجاجتان شعورا بالامن : وصبت لنفسها جرعة كبيرة وراحت ترشفها . ولم يكن جوان يحب أن يتواجد بالقرب من النساء المخمورات ، اذ قال ان وجوههن تصبح متلوية على نحو بغيض للغاية ، حسنا ، ستريه آليس المنظر فقط ، واحتست نصف كمية الويسكى الموجودة فى كأسها ثم وقفت فى تثاقل .
وقالت للكأس بطريقة مهذبة « والآن ، عليك فقط بالبقاء هنا

وانتظاری » وتمايلت قليلا وهي تدور حول حافة الكاونتر فصدمتها حافة الكاونتر فى جانبها فوق ردفها مباشرة ، فقالت « سيصبح ذلك الجزء مكتسيا باللون الازرق والاسود ، وعبرت غرفة النوم وذهبت الى الحمام :

وبللت الفوطة وحكت الصابون عليها الى أن أصبح لديها معجون سميك ، ثم دعكت وجهها ، ودعكت بشدة بجوار أنفها وعلى التجاعيد القليلة التى تعترض ذقنها ، ووضعت جزءا من قماش الفوطة حول اصبع الخنصر وأدارته فى فتحتى انفها وغسلت إذنيها ثم اغلقت عينيها قليلا وشطفت الصابون ونظرت الى نفسها فى المرآة فوق الحوض ، وبدا وجهها محتقنا فى احمرار شديد ، وكانت عيناها ملتهبتين فى احمرار بعض الشيء ، وراحت تصلح من شأن وجهها لفترة طويلة ، ووضعت الكريم ثم أزالته بالفوطة ، وتفحصت الفوطة بحثا عن التلوث بها فوجدته ، ثم راحت تعمل فى حاجبيها مستخدمة قلم حواجب بني اللون ، وسبب لها أحمر الشفاه بعض المتاعب ، حيث ظهرت نقطة من اللون الأحمر القرمزی منخفضة للغاية على شفتها السفلى مما اضطرها لأن تمسح كل شيء بالفوطة لكى تبدأ من جديد . وجعلت شفتيها ممتلئتين للغاية ثم ضمتهما لبعضهما البعض وجعلت شفة تنساب على الأخرى . ونظرت الى أسنانها ومسحت قدرا من أحمر الشفاة مستخدمة فوطتها ، كان ينبغى عليها أن تغسل أسنانها قبل وضع احمر الشفاة ، ولتضع البودرة الآن ، فذلك من شأنه أن يزيل اللون الأحمر عن وجهها ، ثم مشطت شعرها ، لم يسبق لها أن أحبت شعرها على الاطلاق ، وبدأت تفقد الشغف والاهتمام وهى تمسك بشعرها بهذه الطريقة او تلك على أمل ان يحدث التأثير المطلوب .

ونقبت فى غرفة النوم عن قبعة ضيقة ومناسبة وسوداء وبها نوع من الحافة الامامية واستخرجتها ودفعت بشعرها لأعلى فى داخل القبعة وأمالت حافة القبعة فى شيء من المجون .

وقالت « والآن سنرى كيف يصبح وجه المرأة ملتويا ، أتمنى أن يعود جوان للمنزل الآن ، فذلك سيجعله يغير رأيه » .

وأحضرت من غرفة النوم زجاجة البلودجيا التى كانت موجودة فى درج صوان ملابسها ووضعت عطرا على نهديها وعلى حلمتى أذنيها وعند مفرق شعرها ، وربتت قليلا على شفتها العليا وقالت « أحب أن أشمه أيضا » .

وسارت عائدة الى صالة الطعام متجنبة فى حرص الزاوية التى ارتطمت بها من قبل . وكانت صالة الطعام أكثر اظلاما عن ذى قبل ، لأن السحب قد صارت كثيفة حتى ان قدرا ضئيلا للغاية من الضوء كان ينفذ الى داخل الصالة ، وجلست آليس الى منضدتها وواءمت مرآة اليد الخاصة بها أمامها . وقالت « جميـــــلة ، انته نوع من الجمال . ماذا انت فاعلة هذا المساء ؟ اتحبين أن تذهبى للرقص ؟ »

وصبت الشراب فى كأسها ، فلنفرض أن ذلك السائق الـذى يعمل على خط السهم الاحمر جاء الى هنا وطرق على البـــــاب . انها ستسمح له بالدخول . اذ كان صائدا عظيما للنساء . عنـــدئذ ستعطيه جرعة أو أثنتين وبعدئذ تريه شيئا أو شيئين .

وقد تقول له « يا ريد Red ، انك مشهور بمداعبتك ولكنى سأريك شيئا ، سأريك بكل أمانة بعض المداعبات التى لا يصـدقها العقل ، وتركت ذهنها يطوف على خصره النحيـل وعلى سـاعديه الثقيلى العضلات . وهو كان يتمنطق بحزال عريض حول بنطلـــونه البلوجينز ، وبنطلونه البلوجينز ــ حسنا . لقد كان شابا على مايرام . وكان هناك شىء ما يتعلق بهذه البنطلونات ، فهى توجد بها سوستة من النحاس الاحمر متجهة لاسفل حيث تبـدأ شريحـة القمـاش التى تغطى أزرار البنطلون ، وهناك شىء ما فى تلك السوستة جلب الاسى والحزن لآليس ، اذ كان لباد Bud سوسته من ذلك النوع من بنطلونه ، مجرد سوستة من النحاس الاحمر هناك . وحاولت تجنب هذه الصورة الذهنية أيضا وعندما فشلت تركت الصورة تتجمـــع فى ذهنها ، فهو كان قد توسل اليها مرات عديدة للغـــاية ، وأخيرا سارا سويا لمسافة اربعة أميال فى الاراضى الخلوية ، وكان « باد » يحمل طعام الغداء : بيض مسلوق وساندوتشات من لحم الخنزير المملح وفطيرة محشوة بالتفاح ، وكانت آليس قد اشـــترت الفطيرة ولكنها أخبرته أنها من صنع يديها ، وهو لم ينتظر لحين تناولهمـا طعام الغداء .

وتسبب فى أصابتها بالجروح ، وبعدئذ قالت له : « الى أين ذاهب ؟ »

فقال باد « لدى اعمال تتطلب الانجاز »

« ولكنك قلت انك تحبنى »

« أقلت أنا ذلك ؟ »

« هل ستتركنى يا « باد » ؟ »

« اسمعي يا اختاه ، لقد تم الاضطجاع معك ، وهذا هو كل ما فى الامر فأنا لم أوقع معك عقدا طويل الامد » .

« ولكنها المرة الأولى ، ياباد »

« اننى أمارس مرة واحدة مع كل امرأة »

وكانت آليس تبكى على نفسها الآن ، وصاحت فى نفسها أمام المرآة « ليس هذا بالشيء الحسن ! » « لا شيء حسن فى ذلك » . ثم انفجرت فى نوبة من البكاء أثناء تناولها لجرعة أخرى من الويسكى ، وصبت الجزء المتبقى بالزجاجة فى كأسها .

وكان جميع الناس الآخرين على غير ما يرام ، كلهم سواء ، وماذا لديها الآن ؟ عمل كريه منخفض المستوى مع حقوق خاصة فى الفراش ولا أجور ، تلك هى حقيقة الأمور ، ومتزوجة من رجل ميكانيكى يعمل فى التشحيم وتنبعث منه رائحة كريهة ، تلك هى حقيقة الأمور . متزوجة أياه !! وبعيدة للغاية فى منطقة ريفية نائية حتى انها لا تتمكن من الذهاب للسينما ودور اللهو ، ومضطرة للجلوس فى صالة الطعام ذات الرائحة الكريهة .

واسندت رأسها على ذراعيها ، وانفجرت فى البكاء ، واستطاعت آليس أخرى أن تسمع بكاءها وعويلها ، اذ كانت هناك آليس ثانية تقف عند كتفيها وترقبها ، لقد كانت مضطرة لأن تسير على قشر بيض طوال الوقت لكى تحفظ عليه سعادته ، ورفعت رأسها ونظرت فى المرآة ، لقد تشوه أحمر الشفاة فى كل أرجاء شفتها العليا ، وكانت عيناها حمراوتين وكان أنفها يسيل فى رشح ، فمدت يدها نحو علبة أوراق السفرة وجذبت منها ورقتين ومخضت انفها ، ثم طوت الورقتين والقت بهما على الارض .

لأى شيء كانت تريد الابقاء على نظافة هذا المطعم الرخيص ، ومن الذى يهتم ؟ ومن يعيرها أدنى اهتمام ؟ لا أحد ، ولكن كان باستطاعتها الاهتمام بنفسها ، اذ لم يكن بمقدور أحد أن يعامل آليس بجفاءة وقسوة وينجح فى ذلك بدون أن تكتشف أمره ، وأفرغت فى جوفها آخر كمية من الويسكى .

وكان استخراج زجاجة الويسكى الثانية المعتقة الحمراء الداكنة من مكانها يعتبر عملا شاقا للغاية ، اذ بدأت تترنح وسقطت على حوض الغسيل ، وكانت هناك ضغوط حارة على الجانب الداخلى لأنفها ، وكانت انفاسها تحدث صفيرا فى فتحتى أنفها ، وأوقفت

زجاجة الويسكي ذات اللون الأحمر الداكن على الكاونتر واحضرت بريمة فتح الزجاجات . وسقطت الزجاجة على الكاونتر عندما حاولت ادخال البريمة فيها ، ومع المحاولة الثانية تقطعت السدادة الى قطع صغيرة فدفعت بالجزء المتبقى من السدادة الى داخل الزجاجة بابهامها . ثم دفعت نفسها عائدة الى المنضدة .

وقالت « الصودا تفرقع » وملأت كأسها بالويسكي الأحمر الداكن « أتمنى لو كان هناك المزيد من الويسكى » وكان فمها جافا ، فشربت نصف الكأس الملىء بالويسكى فى تعطش ونهم ، وضحكت فى فتور « ذلك شيء حسن » ، ولربما تتناول الويسكى أولا باستمرار لكي تعطى مذاقا للخمور .

وقربت المرآة منها ، ثم قالت فى مرارة « أنت امرأة عجوز ، أنت امرأة عجوز ومخمورة وقذرة ، ولا غرابة فى أن أحدا لا يريدك ، انا نفسى لا أريد الحصول عليك » .

ولم تكن الصورة فى المرآة مزدوجة الا أن حدودها الخارجية كانت مزدوجة ، وبدأت آليس تشعر بالغرفة وهى تهتز وتتأرجح فى المنطقة الخارجية عن مجال الرؤية عندها ، وشربت الجزء المتبقى فى الكأس فأصابتها الزغطة وتناثر لعابها وسالت الخمور الحمراء الدكنة من جوانب فمها ، وأخطأت يدها الكأس فصبت الخمور فوق سطح المنضدة قبل أن تملأ كأسها ، وكان قلبها يدق فى عمق ، وكانت تشعر بقلبها وهو يضرب فى ذراعيها وكتفيها وفى عروق ثدييها ، وراحت تشرب فى وقار وروية .

انني بصدد التعرض للاغماء ، ويا له من شيء حسن ، أتمنى الا افيق أبدا ، أتمنى أن يكون فى ذلك نهاية للموقف ، النهاية للموقف ، النهاية للموقف ، ولكى أظهر لهؤلاء الناس أولاد الحرام انه لا ينبغى لى أن أعيش اذا كنت لا أريد أن أعيش ، سابين لهم ذلك .

وبعدئذ شاهدت الذبابة ، ولم تكن ذبابة منزلية عادية وانما كانت ذبابة ضخمة مولودة حديثا لها بطن ذات لون أزرق فولاذى ولها جسد ملىء بالشعر ، وكان جسدها يلمع بلون أزرق متلون بألوان مختلفة ، لقد جاءت الذبابة الى المنضدة ووقفت على حافة بركة الخمور وغمست فمها ثم راحت تنظف نفسها .

وجلست آليس ساكنة تماما ، كان لحم آليس يزحف بالكراهية ، وتركزت كل تعاساتها وانصبت على الذبابة ، واستخدمت كل مالديها من قوة الارادة لكى تبدو صورتا الذبابة صورة واحدة ثم

قالت في هدوء : « يا ابنة الكلب ، اتظنين انني ثملة ، سأريك الآن » .

وكانت عيناها متيقظتين ولامعتين ، وانزلقت ببطء شديد على جانب من المنضدة وجثمت الى أسفل على الارض مرتكزة على يدها ، وأبقت عينيها على الذبابة ، ثم زحفت آليس نحو الكاونتر وذهبت خلفه ، وكانت توجد هناك فوطة أطباق ملقاة على حوض الغسيل المصنوع من الصلب الذى لا يصدأ . « فأخذتها في يدها اليمنى وطوتها في حرص وعناية ، وكانت خفيفة للغاية ، وبللتها تحت صنبور الماء وعصرت منها المياة الزائدة ، وقالت « سأريها بنت الكلب » وتحركت على طول الكاونتر كالقطة ، وكانت الذبابة مازالت هناك ، ومازالت هناك بألوانها اللامعة .

ورفعت آليس يدها وجعلت الفوطة تسقط الى الخلف على كتفها ، وراحت تقترب في خطى حذرة مع يدها المرتفعة المنثنية ، وضربت ، فسقطت على الارض الزجاجة والكاسان وعلبة السكر وصندوق أوراق السفرة وتحطمت كلها ، وصدرت عن الذبابة صوت كالطنين ودارت في الهواء ثم استقرت فوق كاونتر الغذاء ، فاندفعت آليس موجهة الضربات اليها فطارت مرة أخرى وضاعت ضربات الفوطة في الهواء .

فقالت آليس لنفسها « ليست تلك هى الطريقة ، ازحفى تدريجيا اليها » ، وغاصت الارضية قليلا تحت قدميها ، ومدت يدها وسندت نفسها على الكرسي ، أين كانت الذبابة آنئذ ؟ لقد كان باستطاعتها سماع الطنين والأزيز ، الطنين الغاضب المقرف الصادر عن أجنحتها ، وكان لابد لها أن ترسو في مكان ما في وقت ما ، وشعرت آليس بالغثيان يرتفع في حلقها .

وقامت الذبابة اثناء تحليقها بسلسلة من العروات والثمانيات والدوائر تناقص اضطرابها وقلقها فأصبحت تحلق على ارتفاع منخفض من جانب لآخر في أرجاء الغرفة ، وانتظرت آليس ، وكان الظلام قد بدأ يزحف على أطارف الاشياء التى تراها ، ودون ان تحدث صوتا رست الذبابة على صندوق الخبز الموجود بأعلى الهرم الكبير الذى يضم الحبوب الجافة فوق الرف خلف الكاونتر ، هبطت فوق الحرف C من كلمة Corn ثم تحركت في قلق فوق الحرف وتوقفت

دون أدنى حركة على الاطلاق ، وكانت آليس تتنفس بصعوبة وبصوت مسموع .

وكانت الغرفة تتأرجح وتلف وتدور ، ولكن بجهود من قوة الارادة كانت الذبابة والمنطقة المحيطة بها محددة وواضحة المعالم ، وامتدت يد آليس اليسرى الى الخلف نحو الكاونتر وزحفت أصابعها عبرها . وتحركت فى صمت وببطء حول نهاية الكاونتر ثم رفعت يدها اليمنى بحرص شديد للغاية . فقفزت الذبابة خطوة للأمام وتوقفت مرة أخرى ، ولكنها كانت تستعد للاقلاع ، وأدركت آليس ذلك ، شعرت أنها بصدد الطيران قبل أن تطير . وترنحت آليس بكل ثقل جسدها . فاصطدمت الفوطة المبللة فى قوة ساحقة بهرم الصناديق المصنوعة من الورق المقوى فهوت الصناديق متلاحقة وتهشمت على الأرض مع صف من الأكواب وسلطانية للبرتقال خلف الكاونتر وسقطت آليس فوق تلك الأشياء .

وهجمت عليها الغرفة بأضواء حمراء وزرقاء ، وسكب صندوق مكسور ما به من ارغفة الخبز تحت خدها . فرفعت رأسها مرة واحدة ثم هبطت بها لأسفل مرة أخرى ، ونزل عليها ظلام زاحف .

وكانت صالة الطعام فى ضوء الغسق وهادئة للغاية ، وتحركت الذبابة الى حافة بركة الخمور الآخذة فى الجفاف فوق سطح المنضدة الأبيض ، ولبرهة وجيزة راحت تستشعر الخطر فى جميع الاتجاهات ثم غمست خرطومها فى الخمور الحلوة اللزجة فى تأن وترو .

الفصـــل الثانى عشر

وتجمت السحب الرمادية فى تهديد متزايد وخيم على الأرض ظلام مشوب باللون الأزرق ، وفى وادى سان جوان بدت النبـــاتات ذات اللون الأحمر الداكن كأنها سوداء اللون . أما الاعشـــــاب ذات اللون الاخضر الفاتح فقد اتخذت لونا أزرق شفافا باردا .

وظهر الاوتوبيس « حبيبة القلب » متحركا فى تأرجح على الطريق الرئيسي ، وكان طلاء الالمونيوم الذى يعلوه يشع مع شرور ماكينته المخنوقة ، وبعيدا نحو الجنوب تهذبت كومة طويلة من الســـحب السوداء وهطلت على شكل أمطار فسقطت ستارتها ببطء تدريجى .

وكبح جماح الاتوبيس بالقرب من مضخات البنزين أمام متجر بريد Bread ثم توقف تماما ، وراحت قفزات الملاكمة الصغيرة وحذاء الطفل تتأرجح للخلف وللأمام فى حركات بندولية قليلة . وظـــل جوان جالسا فى مقعده بعد توقف الاتوبيس ، وزاد من سرعة الموتور لبرهة وجيزة وراح يصغى ويتسمع ثم تنهد وأدار المفتاح فتسوقف الموتور .

وسأله فان برانت « الى متى ستنتظر هنا ؟ » فقـال جـوان « سألقى نظرة على الكوبرى »

فقال فان برانت « أنه لا يزال هناك فى مكانه » وقـــال جوان « وهكذا نحن » ثم جذب ذراع العتلة ليفتح الباب .

وخرج بريد من بابه ذى الشاشات وسار نحو الاتوبيس ، وصافح جوان باليد وسأله « ألست متأخرا بعض الشيء ؟ »

فقال جوان « لا أظن ذلك اللهم الا أذا كانت ساعتى متوقفـة » وانزلق بيميلز هابطا من الاوتوبيس ووقف الى جوارهما . لقد أراد أن يسارع الى النزول لكى يتمكن من رؤية الشقراء لدى هبوطهـــا من الاتوبيس .

وتساءل « أعندك كوكاكولا ؟ » .

فقال بريد « لا . عندى عدد قليل من زجاجات البيبسى كولا اننى لم أحصل على أية كميات من الكوكاكولا منذ شهر مضى . وهى من

نفس المادة . لا يمكنك معرفة الفارق بينهما » وتساءل جوان « كيف حال الكوبرى ؟ »
فهز المستر بريد راسه وقال « اظن أن المسألة تتعلق بمدى ما لديك من حظ . القى نظرة بنفسك . فانا لا احب ذلك »
وتساءل جوان « الا يوجد أى كسر حتى الآن ؟ » فقال بريد « يمكن أن يحدث له شيء من هذا القبيل » ومسح راحتى يديه فى بعضهما البعض ، واستطرد « لقد وقعت عليه ضغوط مما جعله يصيح كالطفل ، هيا بنا نلقى نظرة عليه »
وانزلق كل من المستر برتشارد وارنست هابطين من الأتوبيس وبعدئذ نزلت وراءهما كل من ميلدريد وكاميل وبعدهما نزلت نورما ، وكانت كاميل خبيرة فلم يستطع بيميلز أن يرى اى شيء .
وقال بيميلز « يوجد عندهم بعض البيبسىكولا ، اتحبين أن تأخذى واحدة ؟ » .
فالتفتت كاميل نحو نورما وسألتها « اتحبين أن تأخذى مشروبا ؟ » وكانت قد بدات تدرك أن نورما يمكن أن تكون لها قيمة كبيرة . .
وقالت نورما « حسنا . لا يهمنى ذلك » .
وحاول بيميلز الا يظهر شعوره بخيبة الأمل . وسار كل من بريد وجوان على الطريق الرئيسى فى اتجاه النهر . وقال جوان من فوق كتفه « ساذهب لألقى نظرة على الكوبرى » .
ونادت مدام برتشارد وهى فوق الدرج « يا عزيزتى . اتظنين أن باستطاعتك أن تحضرى لى مشروبا باردا ؟. مجرد ماء اذا لم يكن هناك اى شيء آخر . واسالى لى عن مكان دورة المياه ؟.
فقالت نورما « انها قريبة من هنا فى الخلف » .
وكان بريد متأخرا عن جوان بخطوة واحدة وهما يستحثان الخطى فى اتجاه الكوبرى . وقال بريد « اننى فى كل عام أتوقع انهيار هذا الكوبرى — اتمنى أن يكون لدينا كوبرى بمعنى الكلمة بحيث يمكننى النوم فى اطمئنان بالليل عندما تكون هناك أمطار غزيرة . اننى أنام فى السرير وأسمع وقع الامطار على السطح ولكننى فى نفس الوقت أصغى عسى أن أسمع انهار الكوبرى فى أية لحظة . ولست ادرى ما هو نوع ذلك الصوت الذى سيصدر عن الكوبرى لدى انهياره » .
فابتسم جوان وقال « اننى أعرف كيف يكون ذلك الصوت .

فانا اذكر عندما كنت ولدا صغيرا فى توريون ، أننــا كنا فى ذلك الوقت ننصت ليلا الى الفرقعة والطقطقة التى تدل على حــدوث الاشتباكات والقتال . وكنا نحب القتال . ولكن القتال كان يعنى دائما ذهاب معلمى العجوز بعيدا لبعض الوقت . وأخيرا ذهب بعيدا ولم يعد نهائيا . وأظن اننا كنا نتوقع ذلك » .

فتساءل بريد « ماذا حدث له ؟ »

« لست أدرى . أظن أن شخصا ما قتله . فهو لم يكن باستطاعته البقاء بالمنزل عندما يكون هناك قتال . فقد كان يدفع نفسه الى القتال . وأظن انه لم يكن يهتم كثيرا بالاسباب التى ادت الى نشوب القتال . وفى كل مرة يعود فيها الى المنزل يكون زاخرا بالقصص » .

وضحك جوان واستطرد : « ولقد قص علينا احدى القصص عن بانشو فيلا فقال ان امرأة مسكينة فقيرة جاءت الى بانشو فيــلا وقالت له : (لقد أطلقت الرصاص على زوجى فأرديته قتيلا . وأنا وأطفالى الآن ستهلك من الجوع) . حسنا . وكان فيلا لديه قدر وفير من المال حينئذ . فقد كانت عنده المطابع وكان يطبع لنفسه نقوده . فالتفت نحو صراف خزينة أمواله وقال (اطبع خمســة كيلو جرام من الاوراق المالية فئة العشرين بيزو من اجل هذه المرأة المسكينة) وهو لم يكن يعد ويحصى النقود اذ كان لديه قدر كبير منها للغاية . فنفذوا أوامره وربطوا الاوراق المالية مع بعضــها البعض بسلك ثم خرجت تلك المرأة ومعها النقود . وبعدئذ قال شاويش لفيلا (هناك غلطة يا سيدى الجنرال . اننا لم نطلق الرصاص على زوج تلك المرأة . لقد كان مخمورا فوضــعناه فى الســجن) فقال بانشو (اذهب فورا وأطلق الرصــاص عليه . اذ لا يمكننــا أن نخيب ظن تلك المرأة المسكينة) » .

فقال بريد « ليس بهذه القصة اى معنى » .

فضحك جوان وقال « أعرف ذلك . وهذا هو الذى جعلنى أحبها . يا الهى . النهر ينخر فى ظهر السد الذى تتكسر عليه الامواج » .

وقال بريد « أعرف ذلك . لقد حاولت الاتصال بهم تليفونيا لأخبرهم بذلك . فلم أجد اى شخص على التليفون »

وسارا سويا فوق الكوبرى الخشبى . وما أن وطأت اقدام جوان على أخشاب الكوبرى حتى شعر باهتزازات المياه المداعبة . وكان الكوبرى يرتعد فى اهتزاز . وكانت هناك همهمة عميقة فى اخشاب الكوبرى يفوق صوتها صوت اندفاع المياه فى النهر . ونظر جوان

الى جانب الكوبرى . كانت الركائز الخشبية تحت الماء وكان النهر يرغي ويزبد تحتها وكان الكوبرى بأسره يرتعد ويهتز ويلهث . وكانت هناك صرخات قليلة مخنوقة صادرة عن الاخشاب في الاماكن المحزومة بالاحزمة الحديدية . وبينما كانا يرقبان وصلت شجرة بلوط قديمة هائلة متدحرجة فى ثقل أسفل المجرى . وعندما ضربت فى الكوبرى وانقلبت صدر صراخ عن بنيان الكوبرى بأكمله وبدا كأنه يطوق نفسه . وانحشرت الشجرة بين أساسات الكوبرى الغائصة فصدرت اصوات مجلجلة هائلة من تحت الكوبرى . فتحرك الرجلان عائدين على وجه السرعة من راس الكوبرى .

وتساءل جوان « ما هو معدل سرعة ارتفاع النهر ؟ » . « عشر بوصات خلال الساعة الماضية . وقد يبدأ فى الهبوط الآن . فلربما يكون قد وصل الآن الى قمة الفيضان » .

ونظر جوان الى جانب الدعائم المستطيلة الرفيعة فوقعت عيناه على راس مزلاج عند حافة المياه فظل ناظرا اليه لبعض الوقت وقال « أظن أن باستطاعتي أن اعملها . باستطاعتى أن أسارع قبل أن تقع الكارثة أو باستطاعتى أن ادع المسافرين يسيرون عبر الكوبرى على أقدامهم وأنا أقود الاوتوبيس بدونهم والتقطهم عند الجانب الآخر . وكيف حال الكوبرى الآخر ؟ » .

فقال بريد « لا أدرى . لقد حاولت الاتصال تليفونيا لمعرفة اى معلومات عنه . ولكن لم أظفر بأى شخص اتحدث معه فى هذا الشأن . ولنفرض جدلا انك عبرت هذا الكوبرى وبعد ذلك وجدت الكوبرى الآخر منهدما ثم عدت أدراجك فوجدت هذا الكوبرى قد تهدم أيضا ؟ عندئذ ستكون قد وقعت فى مصيدة فى هذه العروة . وقد يكون معك بعض المسافرين المفرطين فى الحساسية والشعور بالاستياء » .

فقال جوان « على كل حال سيكون لدى عندئذ بعض المسافرين الذين يثيرون المتاعب . فأنا عندى واحد — لا . عندى اثنان سيقمان الدنيا ويقعدانها اذا حث أى شىء حتى ولو كان بسيطا . فأنا أعرف الدلائل من الآن . اتعرف رجلا يسمى فان برانت ؟ » . « أوه . ذلك الرجل العجوز المزعج !! نعم أعرفه . انه مدين لى بـ ٣٧ دولارا . فقد بعت له بعض بذور البرسيم وادعى أن الحبوب ليست على ما يرام . وامتنع عن دفع الثمن . وهو مدين بكمبيالات فى جميع ارجاء المنطقة . وكل شىء يشتريه يقول عنه أنه غير جيد . انني لن أبيع له قضيبا من الحلوى بدون أن يدفع الثمن مقدما . فلربما

يدعى انه لم يكن حلو المذاق . اذن فقد أحضرته معك ؟ » .
فقال جوان « أحضرته معى . وأحضرت ايضا رجلا من شيكاغو وهو رجل أعمال منهمك فى الاعمال التجارية وهو من النوع الذى سيفقد أعصابه اذا لم تسر الامور على النحو الذى يريده » .
فقال بريد « حسنا . عليك أن تتخذ قرارك » . فنظر جوان الى السماء الملبدة بالغيوم المنذرة بالمطر وقال : « أظن انها ستمطر ما فى ذلك شك . ومع امتلاء التلال بالامطار فانها ستنجرف فى شكل كتل وأكوام نحو النهر . باستطاعتى اقناعهم بما فيه الكفاية ولكن ما هو احتمال اضطرارى للعودة ؟ . »
فقال بريد « حوالى ١٠٪ » واستطرد «وكيف حال زوجتك ؟» .
فقال جوان « انها ليست على ما يرام . فهى تعانى من ألم فى الاسنان » . وقال بريد « المحافظة على الاسنان تكلف الانسان كثيرا . ينبغى على الانسان الذهاب الى طبيب الاسنان كل ستة شهور » .
وضحك جوان وقال « اعرف ذلك . ولكن هل تعرف اى شخص يفعل ذلك » فرد بريد « لا » . لقد كان يحب جوان بل ولم يكن يعتبره أجنبيا . وقال جوان « ولا انا » .
واستطرد « حسنا . توجد طريقة واحدة أخرى للابتعاد عن المتاعب التى قد يثيرها المسافرون » .
« ما هى تلك الطريقة ؟ » .
« ان أجعلهم يقررون بانفسهم . فهذه ديمقراطية . أليس كذلك ؟ » .
« سيؤدى ذلك الى مجرد الشجار والاقتتال » .
فقال جوان « حسنا وما الخطأ فى ذلك اذا كانوا سيقاتلون بعضهم البعض ؟ » .
وقال بريد « صحيح انك على حق من تلك الزاوية . ولكنى اقول لك شيئا : مهما اتفقت الآراء على وجهة نظر معينة سيصر فان برانت على وجهة النظر المضادة . فهو شخص لا يؤيد فكرة المجيء الثانى للسيد المسيح حتى ولو كان هناك اجماع تام على هذه الفكرة » .
وقال جوان « فى هذه الحالة عليك فقط ان تعرف كيفية التعامل معه . ففى يوم ما كان عندى حصان . وكان ذلك الحصان عنيدا للغاية حتى انك اذا وجهته الى اليسار يتجه هو الى اليمين. وبذلك كنت أخدعه واوجهه الى العكس . وكان هو يظن انه يسلك الطريق

الذى يروق له ، ويمكنك أن تطبق نفس هذه الطريقة على فان برانت » .

فقال بريد « سأقوم بمنعه من دفع الـ ٣٧ دولارا » . وقال جوان « هذه هى الطريقة التى تصلح معه » واستطرد : « حسنا . النهر ليس فى حالة طوفان . فراس المزلاج ذاك مغطى . سأذهب لاستطلاع رأى المسافرين » .

وفى مؤخرة المتجر العام شعر بيميلز انه قد خدع بعض الشىء اذ وجد نفسه مضطرا لان يشترى بيبسى كولا لكل من نورما وكاميل . وبالرغم من المحاولات التى بذلها لم يستطع أن يفصل كاميل عن نورما . ولم تكن الغلطة هى غلطة نورما ولكن كاميل كانت تستخدم نورما لهدف معين .

وكانت نورما متألقة فى سعادة . اذ لم يسبق لها طوال حياتها ان بلغت مثل هذا القدر من السعادة حيث كانت هذه المخلوقة الجميلة لطيفة معها . أصبحتا صديقتين . وهى لم تقل أنهما يمكن لهما أن تعيشا سويا وانما قالت بأنها سترى كيف تسير الامور . ولسبب ما أعطى هذا القول لنورما قدرا كبيرا من الثقة والاعتماد عليها . فمشاعر الناس لم تكن ودية تجاه نورما . فهم كانوا يقولون « نعم » . وبعدئذ يهربون منها . ولكن هذه الفتاة كانت تشبه كل شىء أرادت نورما أن تكونه . قالت « سنرى كيف تسير الامور » . واستطاعت نورما أن ترى فى ذهنها الشقة التى ستحصلان عليها . قد يكون بها كنبة من النوع الذى يتحول الى سرير تعلوها كسوة من القطيفة . وأمامها منضدة للقهوة . وقد تكون كسوة الاثاث من القطيفة ذات اللون الأحمر النبيذى . وقد يكون لديهما جهاز يضم راديو وفونوغراف فى آن واحد بالاضافة الى كمية من الاسطوانات بالطبع . ولم ترغب فى التفكير الى ما هو أبعد من ذلك . لان الذهاب الى ما هو أبعد من ذلك قد يفسد حظها . وكان هناك نوع من اللون الازرق الخلاب المثير بالنسبة للكنبة الكبيرة .

ورفعت كوبها المليء بالبيبسى كولا وجعلت المشروب الحلو اللاسع ينزل الى حلقها . وفى منتصف الجرعة جثم اليأس عليها كالغاز الثقيل الخانق وصاح عقلها « لن يحدث ذلك أبدا » ، « سيذهب كل ذلك أدراج الرياح » ، « ستكون الأمور على ما هى عليه دائما وسأكون وحيدة مرة أخرى » . وأغلقت عينيها فى اعتصار ومسحت بظهر يدها عليهما . وعندما فتحت عينيها مرة أخرى شعرت أنها

على ما يرام . وراحت تفكر « سأقتصد من النقود ما يحقق لى ذلك » واستطردت فى تفكيرها « سأجهز الشقة تدريجيا . واذا لم اتمكن من تجهيزها ساظل محتفظة بها » وهبطت عليها صــــلابة واقتناع « اذا تحقق اى شىء من ذلك النجاح فسيكون ذلك بسبب الكسب غير المشروع . ولكنى ليس بمقدورى أن اتوقعه ولا يمكن أن ادع نفسي تتوقعه . فذلك من شأنه أن يهدم كل شىء » .

وقال بيميلز « لدى العديد من الخطط . فأنا اقوم بدراســة الرادار . وسيصبح الرادار من الاعمال الهامة للغاية . والشخص الذى يعرف الرادار سيثبت فى عمله مما يعود عليه بالرضا والسرور. واظن أن على المرء أن تكون له نظرة بعيدة للامام . الا تنظرين للأمام ؟ هناك بعض الناس ليست لهم نظرة بعيدة نحو المستقبل فينتهون الى حيث بدأوا » . وكانت هناك ابتسامة بسيطة تعلو شــفتى كاميل .

وقالت « انك قد اكتسبت شيئا بتعلمك للرادار » وتمنت لو استطاعت التخلص من هذا الصبى . صحيح انه كان ولدا ظريفا ولكنها كانت لديها الرغبة فى التخلص منـــه . اذ كان باستطاعتها أن تشم رائحته . فقالت له : « شكرا على المشروب » واستطردت « أظن اننى ساذهب لأجدد نشاطى بعض الشىء . اترغبين فى المجيىء معى يا نورما ؟ » .

وعلت وجه نورما نظرة اخلاص ووفاء وقالت « أوه . نعم . ينبغى لى أن اجدد نشاطى أيضا » . فكل شىء تقوله كاميل كان صوابا ومحببا للنفس وجميلا . وصرخت نورما فى ذهنها « أوه . أيها السيد المسيح . حقق ذلك » .

وكانت المدام برتشارد ترتشف عصير الليمون وقد إستغرق الامر بعض الوقت للحصول عليه لانهم لم يعتادوا على تقديم عصير الليمون للزبائن . ولكن عندما اشارت مدام برتشارد الى الليمون فى قسم البقالة وعرضت أن تقوم بنفسها بعصر الليمون ، لم يكن هناك مفر أمام المدام بريد فقامت بعصر الليمون لها .

وقالت المدام برتشارد موضحة وجهة نظرها « اننى لا استطيع تناول المشروبات المعبأة فى زجاجات منذ فترة طويلة . وأحب عصير الفواكه الطبيعى » وعانت المدام بريد فى استياء من الهزيمة تحت وطأة هذه الموجة من العذوبة والرقة . وراحت المدام برتشـــارد ترتشف عصير الليمون وتتفقد رفا مليئا بالبطاقات البريدية ذات

الصور الملونة وكان هذا الرف موجودا فوق الكاونتر الخاص بالبدع الجديدة . وكانت هناك صور عن دار القضاء فى ســـان جــوان دى لاكروز وعن الفندق فى سان يسيدرو الذى شيد بجوار ينبوع ماء معدنى ساخن . وهو فندق عريق وجميل يتردد عليه كثير من الناس المصابين بالروماتيزم للاستحمام فى المياه المعدنية . وكان هذا الفندق يسمى « سبا » طبقا لما هو مكتوب على البطـاقة البريدية الملونة . وكانت هناك اشياء أخرى على الكاونتر . الخاص بالبدع الجديدة : كلاب من الجبس ملونة ومسدسات من الزجاج مملوءة بالحلوى وعرائس ذهبية الالوان وصناديق من الخشب الاحمر المتاز بها فواكه كاليفورنيا الرائعة . وكانت هناك لمبات تدور قبعاتها لدى اضاءة الانوار فتتحرك وتسطع الغابات والمراكب الشراعية بطريقة حيوية للغاية .

وقف أرنست هو الآخر عند الكاونتر واخذ ينظر الى ذلك العرض فى شيء من الازدراء . وقال للمستر برتشارد : « اننى افكر أحيانا ان افتح متجرا للبدع يضم جميع الاشياء الجديدة . فهذه البدع القديمة قد نزلت الى السوق منذ سنوات ولا احــد يشتريها . وشركتي الآن ليس بها سوى البدع الحديثة التى تتمشى معالجمهور مستقبلا » .

وأومأ المستر برتشارد برأسه. وقال « ان الرجل يشعر بالثقة عندما يعمل فى شركة راسخة » واستطرد « وهذا هو السبب الذي يجعلنى أعتقد انك قد ترغب فى العمل معنا . فبامكانك ان تتأكد من أننا راسخين فى كل ساعة من ساعات اليوم » .

وقال ارنست « اننى ذاهب لاحضار حقيبتى . ان لدى شيئا جديدا لم يعرض فعلا على الجمهور حتى الآن ولكن التجار يتلقفونه مثل الكعك الساخن . مجرد التجار فقط . ولربما اضع قليلا منه هنا . ربما » .

وخرج بسرعة وسحب حقيبة عينـاته وفتحها وأخرج منهـا صندوقا من الورق المقوى وقال « هل ترى . مجرد تغليف بسيط . وذلك التغليف هو من اجل المفاجأة » ثم فتح الصندوق واخرج منه مرحاضا متقن الصنع مرتفعا بعض الشيء وطوله ١٢ بوصة . وكانت توجد كرة من النحاس الاصفر لها سلسلة صغيرة وكانت سلطانية المرحاض بيضاء اللون بل وكان له غطاء للمقعد صغير وملون بطريقة تجعله يشبه الخشب .

وكانت المدام بريد قد تحركت الى نهاية الكاونتر . وقالت : « زوجي هو الذى يعقد جميع صفقات الشراء . عليك بمقابلته ».

فقال أرنست « اعرف ذلك . ولكنى أردت فقط أن أريك هذا الشيء ، انه لا يحتاج الى دعاية . عليه اقبال شديد » .

وسأله المستر برتشارد « لأى شيء هو ؟ » .

فقال ارنست « انظر من فضلك » وجذب السلسلة الصغيرة فانسابت فجأة فى سلطانية المرحاض سوائل بنية اللون . ورفع ارنست مقعد المرحاض من السلطانية فصارت كوبا صغيرا . فقال فى انتصار « هذه أوقية واحدة . واذا أردت الحصول على جرعة مضاعفة مناسبة مثلا لكأس طويل فعليك بجذب السلسلة مرتين » .

فصاح المستر برتشارد « ويسكى !! » .

فقال أرنست « أو براندى أو روم » واستطرد « أى شيء تريده. انظر . هنا فى الخزان يوجد المكان الذى تملأه . والخزان من البلاستيك المضمون . وهو يجعل المشروبات باردة وقد حصلت فعلا على طلبات لتوريد ١٨٠٠ من هذا النوع . انه لشيء جذاب ومثير للغاية . ويعطى المرح والسرور فى كل مرة » .

فقال المستر برتشارد « يا الهى ، انه شيء جميل ورائع . من الذى يفكر ويبتكر تلك الاشياء ؟ » .

فقال أرنست « حسنا . لدينا قسم للأفكار . كل شخص يضع فكرة . وهذه الفكرة بالذات قد اقترحها البائع التابع لنا فى منطقة جريت ليكس وهو سيحقق لنفسه فوائد مالية حسنة لان شركتنا تعطى ٢٪ من الارباح لاى موظف يبعث لها بفكرة يمكن أن تطبق عمليا » .

وقال المستر برتشارد مرة اخرى « انه شيء رائع » واستطاع ان يرى فى ذهنه تشارلى جونصون وهو يشاهد ذلك الصندوق لاول مرة . انه ستكون لديه الرغبة فى الاندفاع لشراء صندوق لنفسه .

وتساءل المستر برتشارد « وما هو ثمن هذه الصناديق ؟ » .

« حسنا . الثمن بالقطاعى للصندوق الواحد خمسة دولارات. ولكنى اقترح عليك أن تشترى النموذج المخصوص لهذا الصندوق الذى نبيعه بـ ٥ر٢٧ دولار » .

فزم المستر برتشارد شفتيه ..

واستطرد ارنست قائلا « الصندوق العادى مصنوع من البلاستيك أما النموذج الآخر الذى أحدثك عنه فهو افضل بكثير

فهو مصنوع من خشب البلوط ومن براميل الويسكي القديمة بهدف استيعاب الويسكي بطريقة لطيفة . بالاضافة الى سلسلته من الفضة الحقيقية وبه ماسة برازيلية فوق المقبض والسلطانية مصنوعة من الخزف الصيني الحقيقي وقاعدته في الخشب الوهجاني المحفور بالأويمة . وعلى الصندوق توجد لوحة من الفضة صغيرة الحجم بحيث يمكنك أن تكتب عليها اسمك في حالة اذا ما أردت اهداءه الى محفل أو ناد » .

وقال المستر برتشارد « يبدو أن له قيمة كبيرة » واتخذ عقله قرارا . وادرك كيف انه سيتمكن من التفوق على تشارلي جونصون من حيث الحيل الضاحكة . عليه أن يعطي واحدا من هذا المرحاض الى تشارلي . ولكن ينبغي عليه أن يكتب على اللوحة « اهداء من اليوت برتشارد الى تشارلي جونصون .. ابن الكلب الامريكي البحت » وبعدئذ يدع تشارلي يريه لكل من يريد . وعندئذ سيعرف كل شخص من الذي جاءت له الفكرة أولا .

وتساءل « هل أحضرت معك صندوقا من النموذج الخصوصي ؟ »

« لا . عليك أن تطلب ذلك » .

وكانت المدام برتشارد قد اقتربت منهما في هدوء فقالت بدون تردد « اليوت . انك لست بصدد الحصول على واحد من تلك الصناديق يا اليوت . ان شكله ردىء للغاية » .

فقال المستر برتشارد « انني بالطبع لن أضعه بالقرب مني اذا كانت هناك سيدات . لا . أيتها الفتاة الصغيرة . أتعرفين ماالذي سأقدم عليه ؟ انني سأبعث بواحد من هذه الصناديق الى تشارلي جونصون فأنا سأرسل صندوقا من هذا النوع كمقابل لارساله لي ذلك الفراء الثمين المحنط لحيوان الظربان الامريكي . نعم . يا سيدي . سأنتقم لنفسي منه » .

وقالت المدام برتشارد موضحة الامور « لقد كان تشارلي جونصون زميلا للمستر برتشارد في الفصل أثناء الدراسة في الكلية . وهما يطلقان النكات الخارجة عن الاخلاقية . وهما يشبهان الاولاد الصغار عندما ينفردان مع بعضهما البعض » .

فقال المستر برتشارد في وقار « والآن . لو انني طلبت صندوقا . هل يمكنك أن ترسله الى على العنوان الذي سأعطيه لك ؟ وهل يمكن أن تكلفوا أحدا بحفر الكلمات عليه ؟ سأكتب لك العبارة التي أريد أن تضعوها على اللوحة » .

وتساءلت برنيس « ما الذى ستقوله ؟ » .
فقال المستر برتشارد « على الفتيات الصغيرات عدم التدخل فى الاعمال الخاصة برجل كبير » .
وقالت برنيس « اراهن على انها ستكون كلمات فظيعة » وكانت ميلدريد فى حالة اكتئاب . كانت تشعر أنها متبلدة ومرهقة وفقدت الاهتمام بكل شيء . وكانت تجلس على كرسى من النوع المصنوع من الاسلاك الملتوية والذى يجلس عليه الزبائن لتناول الحلوى فى المتجر . كانت تجلس وحيدة عند نهاية الكاونتر . وراحت ترقب فى سخرية بيميلز وهو يحاول الانفراد بالشقراء . لقد سببت لها الرحلة شعورا بخيبة الامل . اذ كانت مشمئزة من نفسها ومما قد حدث . فأى نوع من الفتيات هى اذا كان سائق أوتوبيس يروق فى نظرها ؟واقشعرت قليلا فى شيء من النفور والاستياء . ترى أين هو ؟ ولماذا لم يعد ؟ وكبحت رغبتها فى النهوض والذهاب للبحث . ودوى فجاة صوت فان برانت بجوار اذنها حتى أنها اختلجت فى مكانها على الفور .
قال « أيتها الفتاة الشابة . ان جونلتك تظهر ما تحتها . وقد ظننت أنه يهمك أن تعرفى ذلك » .
« أوه . نعم . شكرا جزيلا » .
فقال « كان من المحتمل أن تقضى اليوم باكمله معتقدة أن ملابسك فى وضع سليم اذا لم يقم أى شخص باخبارك » .
« أوه . نعم . شكرا لك . ووقفت وانحنت الى الخلف ودفعت بجونلتها على ساقيها حتى تتمكن من الرؤية . وكانت هناك بوصة من قميص النوم ظاهرة من الخلف .
وقال فان برانت « أعتقد انه من الافضل أن يخبر الانسان بأمور مثل هذه » .
« أوه . فعلا . يبدو أن شريط حمالتى قد قطع » فقال فى برود « لا يهمنى سماع أى كلام عن ملابسك الداخلية » فملاحظتى الوحيدة ـ وأكرر ذلك ـ هى أن جونلتك تظهر ما تحتها . ولا أريد أن تعتقدى أن لى أى دافع آخر » .
فقالت ميلدريد فى قلة حيلة « انا لا اعتقد ذلك » . فاستطرد فان برانت قائلا : « هناك الكثير من الفتيات الصغيرات يتركز انتباههن على سيقانهن فى خجل وارتباك حيث يعتقدن أن كل شخص ينظر الى سيقانهن » .
فانفجرت ميلدريد فى ضحك وحشى مثل امراة مريضة عقليا .

فتساءل فان برانت فى غضب « أهناك شيء مضحك للغاية ؟ ».
وقالت ميلدريد « لا شيء . كل ما فى الامر أننى تذكرت نكتة » لقد تذكرت ان فان برانت لم يكف عن النظر الى السيقان طوال الصباح.
فقال « حسنا . لو كانت النكتة مضحكة الى هذا الحد قوليها لى »
« أوه . لا . انها نكتة شخصية . سأذهب لاثبت شريطى » . ونظرت اليه ثم قالت فى تعمد « انتبه . يوجد شريطان على كل كتف . أحدهما خاص بقميص النوم والاخر يمسك البراسيير . والبراسيير يرفع الثديين لأعلى فى ثبات » وشاهدت لون فان برانت ينبعث من ياقته فاستطردت « ولا يوجد أى شيء تحت ذلك حتى الشورت الداخلى . هذا اذا كنت مرتدية شورتا داخليا . ولكننى لا أرتديه الآن » .

فاستدار فان برانت وسار مسرعا . وشعرت ميلدريد بالتحسن. وادركت ان ذلك الرجل السخيف العجوز لن يتمكن من قضاء لحظات مريحة فباستطاعتها أن ترقبه ولربما تخدعه فيما بعد وتضبطه متلبسا بالنظر الى السيقان . ونهضت فى ابتهاج وذهبت نحو خلف المتجر الى الحظيرة المكتوب عليها كلمة « سيدات » .

وكان الباب مغطى بشيش مثل الشباك وكانت روعة الصباح آخذة فى التصاعد . ووقفت ميلدريد أمام الباب المغلق . وتمكنت من سماع صوت نورما وهى تتحدث مع الشقراء فى الداخل . وراحت تنصت لعل الانصات لحديث الناس يضفى على الرحلة شيئا من الامتاع . وكانت ميلدريد يحلو لها التلصص على الناس واستراق السمع . وكانت تتضايق أحيانا من رغبتها فى التصنت . كانت تنصت فى شغف ومتعة الى العبث والتفاهات ولكن أفضل حالات التصنت هى التى تكون فى غرفة الاستراحات الخاصة بالنساء . ومما أثار اهتمامها لفترة طويلة هو حرية النساء وانطلاقهن فى الكلام فى أية غرفة يوجد فيها مرحاض ومرآة وحوض للغسيل . وهى قد كتبت ذات يوم مقالا فى الكلية . وقد اعتبر مقالا جريئا للغاية حيث ذكرت فيه أن النساء قد يفقدن ما عندهن من كبت عندما تكون جونلاتهن مرتفعة .

وذهبت فى مقالها الى أن السبب اما أن يكون هو ارتفاع الجونلة واما أن يكون هو مجرد التأكد من أن الرجل ــ العدو ــ لن يتمكن مطلقا من غزو هذا المكان . فهو المكان الوحيد فى العالم الذى تتأكد فيه النساء من خلوه من الرجال . ومن ثم يستسلمن للاسترخاء وتطفو على السطح حقيقتهن الجوانية . ولقد فكرت فى ذلك الامر كثيرا . فالنساء يكن أكثر صداقة أو أكثر فسادا مع بعضهن البعض

فى غرف التواليت العامة وفقا للظروف الشخصية . وربما كان السبب فى ذلك أنه لم يكن هناك رجال . لانه حيث لا يوجد رجال لا توجد منافسات وعندئذ يسقط عنهن التصنع والزيف .

وتساءلت ميلدريد فى مقالها عما اذا كان الامر كذلك فى غرف تواليت الرجال . ولم ترجح احتمال حدوث ذلك لان الرجال لهم منافسات أخرى كثيرة بالاضافة الى تنافسهم على النساء بينما معظم منافسات النساء والاخطار التى تتهددهن تتعلق بالرجال .

وقد أعيد اليها مقالها بعد أن كتب عليه التأشيرة التالية : « غير مدروس بعناية » . فوضعت فى الاعتبار ضرورة اعادة كتابة مقالها من جديد .

وعلى الملأ فى المتجر لم تشعر ميلدريد بروح المودة والصداقة تجاه كاميل . ولكنها أدركت أن كراهيتها لها لن تنتقل معها الى غرفة التواليت . وفكرت : « أليس عجيبا ان تتنافس النساء على رجال لا يرغبن فيهم ؟ » .

كانت نورما وكاميل تتحدثان باستمرار . ووضعت ميلدريد يدها على الباب ودفعته ففتح . فظهر فى الغرفة الصغيرة كرسى تواليت وحوض غسيل تعلوه مرآة مربعة الشكل . وعلى احدى الحوائط كانت توجد علبة لأغطية المقعد الورقية والى جوار الحوض كانت توجد فوط من الورق . وعلى الحائط بجوار النافذة ذى الزجاج المصنفر كانت توجد ماكينة تخرج من فتحتها أوراق النشاف الصحية . وكانت الارضية الخرسانية مطلية باللون الاحمر الداكن أما الحوائط فكانت تعلوها طبقات كثيفة من الطلاء الابيض . وكانت هناك رائحة نفاذة لمطهر له رائحة عطرية منتشرة فى الهواء .

وكانت كاميل جالسة على المرحاض . وكانت نورما واقفة أمام المرآة . ونظرتا سويا الى ميلدريد لدى دخولها . وتساءلت كاميل « أتريدين استخدام المرحاض ؟ » .

فقالت ميلدريد « لا . ان الشريط الخاص بقميص نومى متدل » ونظرت كاميل الى أسفل تجاه جونلة ميلدريد وقالت « قميصك متدل فعلا » ثم قالت لنورما « لا . ليس فى ذلك الاتجاه» واستطردت « أترين الاتجاه الذى يسير فيه منبت الشعر على الجبهة ؟ حسنا . اجعلى الحاجبين يتجهان لأعلى بعض الشىء من الجانب الخارجى . بنسبة قليلة فقط . انتظرى يا حبيبتى . انتظرى دقيقة وسوف أريك كيف يكون ذلك » .

ووقفت واتجهت الى نورما « استديرى حتى أستطيع رؤيتك ،

هناك الآن . انظرى الآن الى نفسك . انظرى كيف أن ذلك ينزل من منبت الشعر على الجبهة قليلا ؟. انجبهتك عالية لذلك ينبغى عليك ان تحاولى انزالها الى أسفل . استديرى الآن واغلقى عينيك » .
واخذت قلم الحواجب من نورما ودلكت به برفق فوق الجفون السفلى تحت الرموش مباشرة جاعلة الخط اكثر سوادا لدى المرور على الاركان الخارجية .
وقالت « لقد وضعت ماسكارا كثيفة للغاية يا حبيبتى » واستطردت « انظرى كيف أن الرموش تلتصق مع بعضها البعض ؟ استخدمى مزيدا من الماء واستغرقى فترة زمنية أطول . انتظرى دقيقة » ثم اخرجت من حقيبة يدها علبة بلاستيك صغيرة خاصة بتظليل العيون وقالت : « والآن استخدمى هذه المادة فى دقة وعناية » ثم غمست اصبعها فى المعجون الازرق ودعكت قدرا قليلا منه فوق جفنى نورما العلويين وجعلت المعجون اكثر كثافة تجاه الزوايا الخارجية وقالت « والآن . دعينى أرى » ثم فحصت وقالت «انظرى يا حبيبتى . اجعلى عينيك متسعتين للغاية مثل الارنب واجعلى جفنيك العلويين يتجهان لاسفل بعض الشىء . لا . لا تغلقى عينيك بشكل جزئى . اجعلى فقط الجفنين العلويين يرتخيان لاسفل بعض الشىء . هاهو . مثل ذلك . والآن انظرى الى نفسك . اترين الفرق ؟ » .
فقالت نورما « يا الهى . منظرى مختلف تماما » وجاء صوتها مليئا بالرهبة والدهشة .
« منظرك مختلف بالتأكيد . وأحمر الشفاه وضع بطريقة خاطئة . انظرى يا حبيبتى : ان شفتك السفلى رفيعة للغاية وهكذا الحال بالنسبة لى . انزلى بأحمر الشفاه الى اسفل هنا بعض الشىء . وهنا أيضا بعض الشىء » .
ووقفت نورما ساكنة مثل طفلة طيبة وتركتها تعمل . وقالت كاميل « واخدة بالك ؟ اكثر كثافة فى الزوايا والآن تبدو شفتك السفلى اكثر امتلاء » .
وقالت ميلدريد « انت ماهرة . يمكننى ايضا الاستفادة من نصائحك » .
فقالت كاميل « أوه . حسنا . ان المسألة بسيطة بعض الشىء » وقالت ميلدريد هذا مكياج مسرحى ، اقصد انه من نوع المكياج الذى يستخدم على المسارح » .
« حسنا . اننى كما تعرفين العامل مع الجمهور — فاطباء

الاسنان يستخدمون ممرضات يكدن يشبهن فتيات الاستقبال » .
وصاحت ميلدريد « يا للعنة !. ان هذا الشريط ليس مفكوكا ولكنه مقطوع » وأزاحت رداءها عن كتفها وأمسكت بجزء من خيط حريري فى يدها .

وقالت كاميل « عليك أن تشبكيه بدبوس » .

« ليس معي دبوس والابرة والخيط موجودان فى احدى الحقائب الكبيرة » .

ففتحت كاميل حقيبة اليد الخاصة بها مرة ثانية ومن بين محتوياتها كانت توجد نصف دستة من دبابيس الامان الدقيقة الصغيرة .

وقالت كاميل « هاهي . اننى أزود نفسي دائما بالادوات اللازمة » واستخرجت دبوسا « أتحبين أن اركبه لك ؟ » . « اذا لم يكن عندك مانع . عيناى اللعينتان . اننى لا أتمكن من رؤية أى شىء » .

فجذبت كاميل القميص المفكوك لأعلى وطوت نهاية الشريط ودبسته فى ثبات مع حافة قميص النوم وقالت « انه بذلك يكاد يكون على ما يرام . ولكنه على الاقل لا يظهر من تحت الجونلة وهذا علاج مؤقت باستخدام دبوس . هل عانيت دائما من قصر النظر يا حبيبتى ؟ » .

وقالت ميلدريد « لا . لقد كنت على ما يرام الى أن وصلت الى سن الرابعة عشرة تماما . وقال احد الاطباء أن ذلك لا علاقة له بسن البلوغ . وقال أن الفتيات يستعدن قوة الابصار عندما ينجبن الاول » .

وقالت كاميل « هذا أمر شاق ومرهق » .

وقالت ميلدريد « ويسبب لى المضايقات اللعينة . ورغم كثرة النماذج الجديدة للنظارات الا أنها كلها غير جميلة المنظر » . « ألم تسمعي من قبل عن ذلك النوع من النظارات التى تتلاءم مع العيون مباشرة » .

« لقد فكرت فى ذلك النوع ولكننى لم أقدم على ذلك . لاننى لا أرغب فى أن اجعل اى شيء يلمس عيني فهذا يخيفني » وكانت نورما ما زالت تنظر الى نفسها فى المرآة فى دهشة . فقد أصبحت عيناها فجأة أكثر اتساعا وصارت شفتاها أكثر امتلاء ونعومة كما زالت عن وجهها تلك النظرة الفئرانية الخاطئة .

وقالت نورما دون أن توجه كلامها لأحد « أليست هي مدهشة . أليست هي مدهشة حقا ؟ » .

وقالت كاميل « انها ستصبح فتاة جميلة عندما تتعلم القليل من الحيل والأساليب وتحصل على شيء من الثقة في نفسها . وسوف نصلح من شأن ذلك الشعر يا حبيبتي بمجرد أن نصل » .

وصاحت نورما « هل تقصدين بذلك أنك قد درست هذا الموضوع واننا سنحصل على الشقة سويا ؟ » وراحت تدور وتلف بسرعة حول ميلدريد ثم قالت بأنفاس لاهثة « اننا سنحصل على شقة . وستكون لدينا كنبة طويلة من النوع الذي يتحول الى سرير وفي كل صباح الاحد سنغتسل ونصفف شعرنا ــ » .

فقاطعتها كاميل قائلة « سيكون علينا أن نرى كيف تتكشف الامور . فها نحن الاثنتان بدون وظائف . وهي تتخيل أنها قد استأجرت بالفعل شقة تتسع لفردين . تذرعي بالصبر ياحبيبتي » .

وقالت ميلدريد « انها لرحلة غريبة » وأضافت « فنحن بسبيل الذهاب الى المكسيك . وقد سار كل شيء على غير ما يرام منذ البداية . فأبي كان يريد مشاهدة الريف ووضع في خطته الاقامة لبعض الوقت في كاليفورنيا ولذلك فضل أن يستقل الاوتوبيس الى لوس انجلوس حتى يتمكن من مشاهدة الريف بشكل افضل » .

وقالت كاميل « حسنا ، يمكنه ذلك » .

وقالت ميلدريد « ربما يتمكن من مشاهدة قدر كبير من الريف . ولكن هل سبق لك أن رأيت مجموعة من الناس مثل مجموعتنا هذه ؟ » .

فقالت كاميل « انهم متشابهون الى حد ما » .

وقالت ميلدريد « انني معجبة بالمستر شيكوى . ففيه قدر من الدماء المكسيكية . اما ذلك الولد فانه قد يهجم عليك اذا لم تأخذي حذرك منه » .

وقالت كاميل « أوه . انه على ما يرام . كل ما هنالك أنه شهواني بعض الشيء . ومعظم الصبية الصغار لهم نفس هذا الاتجاه . وهو قد يتغلب على هذه الظاهرة » .

وقالت ميلدريد « وربما لن يتمكن من التغلب على هذا الاتجاه . هل ألقيت نظرة فاحصة على ذلك الشخص العجوز : فان برانت ؟ . انه لم يتغلب على تلك الظاهرة للآن . فهذا الامر متأصل في داخله بالفعل . فهو رجل منحرف عقليا بعض الشيء » وابتسمت ميلدريد وقالت « انه عجوز الى حد ما » وذهبت ميلدريد الى مكان صغير

مخصص للاستجمام وجلست ثم قالت « هناك شيء أريد أن أسألك عنه . أن والدي يظن أنه قد شاهدك من قبل فى مكان ما . وهو له ذاكرة قوية . ألم يسبق لك رؤيته أبدا ؟ » .

وعلى الفور شاهدت ميلدريد العداء فى عينى كاميل . رأت الفم المزموم . وادركت أنها قد اثارت امرا مؤلما . الا أن الهدوء ورباطة الجأش عاد الى وجه كاميل مرة أخرى .

وقالت « لابد أننى اشبه فتاة أخرى علي ما أظن » وأضافت « انه فى هذه المرة قد اخطأ اللهم الا اذا كان قد رآنى فى الشارع فى مكان ما » .

فتساءلت ميلدريد « هل تقولين هذا الكلام بكل أمانة وصدق ؟ اننى لا أحاول الآن أن أكشف أمرك . كل ما هنالك اننى تعجبت فقط مما حدث » .

فانزلقت من الغرفة روح الصداقة والزمالة وضاع الاسترخاء . وبدأ الامر كأن رجلا دخل عندهن . وسددت كاميل النظرات الى ميلدريد وقالت لها فى برود « انه قد اخطأ فى ظنه . ويمكنك ان تأخذى هذا القول بالطريقة التى تريدينها » .

وفتح الباب . ودخلت المسز برتشارد . وقالت لميلدريد «أوه . ها انت هنا . لقد ظننت انك تتجولين بعيدا » .

فقالت ميلدريد « أوه . لقد انقطع شريط من قميص نومى » « حسنا . أسرعي . فقد عاد المستر شيكوى وتدور الآن بعض المناقشات » ثم قالت لنورما التي كانت قد تحـركت بعيـدا عن الحوض لتفسح لها مكانا « شكرا لك يا عزيزتى . اننى سأقوم فقط بتبليل منديل يدى وازيل به قدرا من الغبار ـــ » ثم قالت موجهة الحديث لميلدريد « لماذا لا تشربين عصير الليمون ؟ . فتلك المرأة اللطيفة ليس لديها مانع على الاطلاق من اعداده . ولقد قلت لها انها ستكون مشهورة للغاية لو انها قدمت فقط عصير الفواكه الصافى الطبيعى » .

وقالت كاميل فجاة « أتمنى الحصول على أى شيء نأكله . فقـد بدأت اشعر بالجوع . واود أن اتناول طعاما جيدا » . فقالت المدام برتشارد « وأنا كذلك » .

وقالت كاميل « ارغب فى تناول كابوريا بالمايونيز باردة ومشقوقة دون أن تنقسم لاجزاء . بالاضافة الى زجاجة بيرة » وقالت مدام برتشارد « لم يسبق لى أن تناولت كابوريا معدة بتلك الطريقة . ولكنى اتمنى تناول سمك عروس البحر المقلى بالطريقة التى تستخدمها

والدتي . فقد اعتادت أن تأخذ مقلاة من طراز قديم مصنوعة من الحديد المسبوك ـ والسمك ينبغي أن يكون طازجا للغاية ومشـذب بعناية تماما . وتعمل عجينة من فتات الخبز المحمر البنى اللون . فتات الخبز او فتات السميط . وتضع ملء ملعقـة حساء بأكملهـا .. لا ـــ ملء ملعقتين حساء من صلصة ورسستاير شاير على بيضة مختلطة الصفار مع البياض . واظن أن ذلك كان هو السر فى الطعم اللذيذ » .

وقالت ميلدريد « يا ماما . لا داعى لان تسردى على طريقة اعداد سمك عروس البحر » .

فقالت المدام برتشارد : « يحسن بك أن تتناولي عصير الليمون. فهو من شأنه أن ينظف بشرتك . لان اى رحلة طويلة تصيب الانسان ببقع على البشرة » .

وقالت ميلدريد « أتمنى أن نبدأ فى التحرك حتى يمكننا تناول وجبة الغذاء فى المدينة القادمة . ما اسمها ؟ » .

فقالت نورما « سان جوان دى لاكروز » .

فرددت المدام برتشارد فى صوت رخيم « سان جوان دى لاكروز. اعتقد أن الكلمات الاسبانية جميلة للغاية » .

وقبل أن يخرجن ألقت نورما نظرة طويلة مندهشة على نفسها فى المرآة . وارخت عينيها . انها ستصبح عادة لديها اذا تذكرت أن تفعل ذلك طوال الوقت . ولكنها قد غيرت من شكلها تماما وهى قد اعجبت بذلك وارتاحت له .

الفصـــــل الثالث عشر

جلس جوان على كرسى بدون مسند وكان يشرب البيبسى كولا ويحك الطرف اللامع من اصبعه المبتور على حواف بنطلونه المصنوع من نسيج يشبه القطيفة . وعندما حضرت النساء من المنطقة الخلفية ودخلن المتجر نظر لأعلى نحوهن وتحول الحك باصبعه الى طرق .

وتساءل : « هل الجميع موجودون الآن هنا ؟ » واستطرد « لا. يوجد شخص واحد متغيب . أين المستر فان برانت ؟ » . « اننى هنا » هكذا تكلم فان برانت من خلف الكاونتر فى الجانب الخاص بالبقالة حيث كان يفحص الارفف فى تكاســل وكان محتجبا وراء حائط من معلبات القهوة الموضوعة فى نظام .

وقال المستر برتشارد « أريد أن أعرف متى سنبدأ فى التحرك. اذ أن على أن أجرى بعض الاتصالات » .

فقال جوان فى هدوء « هذا هو ما أريد أن أتحـدث عنه . فالكوبرى ليس على ما يرام . وربما يمكننى عبوره ولكن هناك كوبرى آخر وربما يكون قد تحطم او بصدد التحطم . فنحن لم نتمكن من الحصول على أية معلومات عنه . فلو وصلنا الى المنطقة المنحنية من النهر مع تحطم الكوبريين ، عندئذ سنكون قد وقعنا فى مصيدة لاننا لن نتمكن من اجراء اتصالات . والآن . فأنا أرغب فى أخـذ الاصوات على ذلك وسأنفذ أى قرار تتخـذه الغالبية العظمى من المسافرين . أمامى الان : اما أن أسارع بالعبور وآخذ فرصــتى قبل أن تقع الكارثة وينهدم الكوبرى واما أن أعود بكم من حيث أتينا وتتخذوا لانفسكم خططا أخرى . عليكم الآن أن تقرروا بأنفسكم . ولكنى أريد منكم الالتزام بالقرار الذى تتخذونه » .

ورفع الزجاجة وراح يشرب البيبسى كولا .

وقال المستر برتشارد « ليس لدى متسع من الوقت . اسمع يا صديقى . اننى لم احصل على اية اجازات منذ أن بدأت الحرب . فقد كنت أقوم بصنع معدات وآلات الحرب التى حققت لنا النصر . وهذه هى الاجازة الاولى التى اقوم بها . اننى فقط ليس لدى متسع من الوقت للتجول فى ربوع البلاد جريا وراء التسلية أو الاثارة أو المداعبة . فأنا احتاج للراحة . وليس لدى سوى اسابيع قليلة وهذا التعطيل يستنفدها » .

وقال جوان « آسف . انني لم أتعمد ان أفعل ذلك كما تعرف . ولو حدث أن احتجزت فى منطقة منحنى النهر فانك ستضيع مزيدا من الوقت وقد أفقد أنا الاوتوبيس باحتجازه هنـاك . فالكوبرى متهالك الى درجة الانهيار . وقد ينهار فى أية لحظة . ولا يوجد حل آخر سوى العودة من حيث أتينا » .

وجاء فان برانت من خلف الحائط المكون من معلبات القهوة المرصوصة فوق بعضها البعض . وكان ممسكا فى يده علبـة من شرائح الخوخ زنة ٢ر٥ رطل . وعبر المتجر متجها الى المدام بريد وسألها « كم ثمن هذه ؟ » .

« ٤٧ سنتا » .

« يا الهى !. من أجل علبة خوخ ؟ » .

فقالت « ان الربح ثابت كما هو . كل ما هناك ان علينا أن ندفع ثمنا أعلى لشرائها . »

فالقى فان برانت نصف دولار فى عنف على الكاونتر وقال لها « افتحيها ـ ٤٧ سنتا من أجل علبة خوخ صغيرة رديئة الصنف.!!»

فوضعت المدام بريد العلبة فى فتاحة الحائط وادارت الكرنك وتوقفت عندما ارتفع طرف العلبة . ودفعت بالعلبة عبر الكاونتر الى فان برانت . فشرب جانبا من العصير دفعة واحدة اولا ثم مد أصابعه فى داخلها واستخرج منها شريحة صفراء وسندها فوق العلبة المفتوحة لتقطر ما بها من سوائل .

وعلق قائلا : سمعت الآن كلامك . أتظـن أن باستطاعتك أن تضيع وقتنا هباء وسدى . انه ينبغى على أن أصل الى دار القضاء بعد ظهر هذا اليوم . ومسألة وصولى تتعلق بمشيئتك وارادتك . انك سائق فى النقل العمومى وخاضع لقواعد وكالة النقل بالسكة الحديد » .

وقال جوان « وذلك هو ما أحاول أن أفعله . فمن بين قواعد النقل هو الا نقتل المسافرين » .

وقال فان برانت « ان السبب هو عدم معرفتك بهذه المنطقة. وينبغى أن يكون هناك قانون ينص على ضرورة معرفتك بالمنطقة قبل أن يسمحوا لك بقيادة الاوتوبيس » وألقى بشريحة من الخوخ بسرعة فى فمه والتقط شريحة أخرى بين اصبعى السبابة والابهام . فقد كان مستمتعا .

« قلت لنا أن هناك شيئين فقط نختار فيما بينهما . حسنا . يوجد هناك ثلاثة أمور . فأنت لا تعرف الطريق القديم الذى كان

هناك قبل أن يشيدوا هذين الكوبريين اللعينين . والطريق القديم يدور حول المنطقة المنحنية من النهر بشكل ملاصق للحافة الخارجية للمنحنى . وقد اعتادت مركبات السفر العمومية استخدام ذلك الطريق » ونظر جوان مستفسرا من المستر بريد « لقد سمعت عن هذا الطريق . ولكن ما هى الحالة التى هو عليها ؟ » .

وقال فان برانت « كانت المركبات العمومية تستخدمه منذ ما يزيد على ١٠٠ سنة » .

وقال المستر بريد « أعرف عنه أنه على ما يرام لمسافة ميلين فقط ولكن لا أعرف شيئا عنه فى المسافات الاخرى البعيدة . وهذا الطريق يرتفع مع جانب الجبل نحو الشرق . هنالك . ويحتمل أن تكون المياه قد اكتسحته فأنا لم اذهب اليه منذ فترة قبل سقوط الامطار » .

وقال فان برانت « الاختيار متروك لك » . ولوح بقطعة من الخوخ والقى بها فى فمه وتحدث من حولها قائلا : « لقد اخبرتك ان الجو سيمطر . وأخبرتك بأن النهر سيرتفع تبعا لذلك . والآن عندما وقعت فى الحيرة والارتباك فاننى أخبرك عن طريقة الخروج من المازق . فهل لى أن أقود أوتوبيسك اللعين أيضا ؟ » .

فصرخ جوان « احفظ عليك لسانك . فنحن معنا سيدات » .

وأمال فان برانت العلبة وشرب البقية الباقية من العصير وشد قطع الخوخ الى الخارج بأسنانه . وجرى العصير الغليظ القوام الى أسفل على ذقنه فقام بمسحه بكم قميصه . وقال « يا الهى . يا لها من رحلة . منذ أن بدأت مباشرة » .

والتفت جوان وواجه المسافرين الآخرين وقال « حسنا . هاهى الرخصة . ان رخصتى تقول أنه ينبغى على أن التزم بالسير على الطريق الرئيسى . وأنا لا أعرف الطريق القديم . ولست أدرى ما اذا كنت سأتمكن من عبوره بنجاح أم لا . وأترك لكم مسألة تقرير ما تريدونه . فأنا لا أريد أن يقع على اللوم اذا ما تأخرنا أو أعيق تقدمنا » .

وقال المستر برتشارد « اننى أرغب فى أن أرى الامور وقد تم انجازها . فأنا ينبغى على الآن أن أصل الى لوس انجلوس أيها الرجل . فقد استخرجت تذاكر بالطائرة الى مكسيكو سيتى . أتعرف كم كلفنى ؟ وتذاكر الطائرات لا رجوع فيها . وينبغى علينا أن نتخذ قرارا من الآن بالنسبة لهذا الكوبرى . اتظن أن الكوبرى خطير ؟ » .

فقال جوان « انه خطير » .
فقال المستر برتشارد « حسنا . وانت تقول انك لا تعرف ما اذا كنت ستتمكن من السير فى الطريق القديم بنجاح ؟ .
فقال جوان « هذا صحيح » .
فقال المستر برتشارد « اذن أمامك حالتان من المجازفة وحالة واحدة مضمونة . والحالة الواحدة المضمونة لا توصلك للهدف المنشود . هممم » .
وقالت المدام برتشارد « ماذا تظن يا عزيزى ؟ ينبغى علينا أن نفعل شيئا . فأنا لم أستحم منذ ثلاثة أيام . ينبغى علينا أن نفعل شيئا يا عزيزى » .
وقالت ميلدريد « فلنجرب الطريق القديم . فربما يكون ممتعا ومسليا » ونظرت الى جوان لترى وجهة نظره ازاء ذلك ولكن عينيه كانتا قد تحولتا بالفعل عنها واتجهت الى كاميل .
وبدافع من العلاقة الجديدة وجدت كاميل نفسها تقول « وأنا أؤيد فكرة السفر بالطريق القديم . ولن يزيدنى هذا اتساخا لاننى متسخة للغاية من الآن » .
ونظر جوان لأسفل واستيقظت عيناه فى حدة عندما شاهد وجه نورما . فهى لم تكن تشبه نفس الفتاة . وأدركت نورما أنه قد لاحظها . فقالت وهى لاهثة الانفاس : « اختار الطريق القديم » .
وعثر ارنست هورتون على كرسى . وهو الكرسى الذى كانت تستخدمه المدام بريد عادة عندما كانت تتورم ساقاها فى فترات ما بعد الظهر . وكان يشهد عملية حصر الاصوات .
وقال « ان الامر لا يهمنى كثيرا . وأنا بالطبع احب أن أصل الى لوس انجلوس فى أى وقت . وأنا ملتزم بالرأى الذى تجمعون عليه مهما كان هذا الرأى » .
ووضع فان برانت العلبة فوق الكاونتر بشدة مما أحدث صوتا عاليا وقال « انها ستمطر » واستطرد « وذلك الطريق الخلفى سيصير زلقا بشكل مخيف . وربما لا نتمكن من الصعود الى قمة التل تجاه الشرق . فهذا الجزء شديد الانحدار وزلق . فاذا غصت فى الوحل هناك فانه يتعذر عليك الخروج من الوحل على الاطلاق » .
فقالت ميلدريد « ولكنك الشخص الذى اقترح ذلك » فقال فان برانت « اننى فقط افند جميع الآراء . مجرد العمل على تنسيقها » .
فسأله جوان « وما هو الاقتراح الذى تؤيده ؟ »

« أوه . اننى لن أدلى بصوتى مؤيدا أو معارضا أى فكرة . فذلك أسخف شىء سمعته فى حياتى على الاطلاق . يبدو لى انه ينبغى على السائق أن يتخذ القرارات شأنه فى ذلك شأن قائد السفينة » .

وذهب بيميلز الى الكاونتر الخاص بالحلوى ووضع ٢ دايم والتقط اثنتين من الحلوى من نوع « بيبى راث » . ووضع احداهما فى جيبه الجانبى على أمل اعطائها لكاميل عندما ينفرد بها وحدها . اما الثانية فراح يفض غلافها فى بطء وهبطت فكرة خيالية مثيرة على ذهنه بشكل فجائى . لنفرض انهم سلكوا طريق الكوبرى وفى منتصف عبورهم للكوبرى تماما تحطمت براكى الكوبرى وسقط الاوتوبيس الى قاع النهر ؟ سيكون بيميلز قد القى به بعيداً ولكن الشقراء ستكون قد وقعت فى الفخ فى داخل الأوتوبيس . وشاهد نفسه وهو يغوص حتى كاد ان يهلك ولكنه تمكن أخيرا من كسر نافذة فىالاوتوبيس وجذب كاميل الى الخارج وسبح بها الى الشاطىء ووضعها وهى مغمى عليها فوق العشب الاخضر وراح يدلك لها ساقيها ليعيد اليها الدورة الدموية . بل والافضل من ذلك أنه قلبها على وجهها ووضع يديه تحت ثدييها وعمل لها التنفس الصناعى .

ولكن فلنفرض أنهم سلكوا الطريق القديم وغاص الاوتوبيس فى الوحل ؟ . عندئذ سيكونان هناك على ما يرام ربما بجوار نار مشتعلة . سيكونان سويا ويجلسان سويا أمام النار مع وجود ضوء ساقط على وجهيهما وربما تلقى بطانية عليهما سويا .

وقال بيميلز « أظن ان من الافضل لنا ان نسلك الطريق القديم » فنظر اليه جوان وابتسم :

« انك تحمل فى داخلك دماء كيت كارسون حقيقة . أليس كذلك يا كيت ؟ » . وأدرك بيميلز أنها كانت نكتة ولكنها ليست نكتة وضيعة (*)

« حسنا . أظن أن الامر كذلك بالنسبة لكل شخص باستثناء واحد فقط لم يدل بصوته . ماذا فى الامر ؟ . أتريد أن تتمكن من رفع قضية ؟ » .

فاستدار فان برانت نحو الآخرين وقال « انكم جميعا معتوهون . أتدرون ماذا يفعل ؟ انه يحمى نفسه . فلو حدث أى شىء لن يقع عليه اللوم . لأنه يمكنه أن يقول أنه قد نفذ رغباتكم . لا . لن أمكنه من ايقاعى فى الشرك بتلك الطريقة » .

ونظف المستر برتشارد نظارته على منديله الابيض المصنوع من

الكتان وقال « انها فكرة » واستطرد « لم أفكر فى هذا الامر على ذلك النحو تماما . فنحن فعلا نقوم بالتخلى عن حقوقنا » .

فلمعت عينا جوان بالغضب وصار فمه رفيعا ومزموما . وقال « ادخلوا الى الاوتوبيس . سأعود بكم الى سان يسيدرو وألقى بكم هناك . فأنا أحاول أن انجز لكم الامور وأنتم تتصرفون كما لو كنت أحاول اغتيالكم . هيا . ادخلوا الى الاوتوبيس . لقد سئمت من ذلك فأنا قد قلبت حياتى رأسا على عقب منذ الليلة الماضية من أجل راحتكم . وقد ضقت ذرعا بكم . فهيا اذن . اننا عائدون » .

فسار المستر برتشارد نحوه وقال « لا · اننى لم أقصد ذلك · اننى أقدر ما قمت به ونحن جميعا نقدر ما قمت به · ولقد كنت فقط أحاول التفكير فى الموضوع من كافة جوانبه · وذلك هو ما أفعله بالنسبة للاعمال التجارية · حيث لا أقدم على شىء الا بعد تمحيص ينتهى الى قرار » ·

فقال جوان مرة أخرى « لقد سئمت من ذلك · لقد حصلتم على فراشى فى الليلة الماضية · ولا أريد الآن سوى التخلص منكم » ·

وقال فان برانت « لا تنس أن أوتوبيسك هو الذى تعطل . وهذه ليست غلطتنا » ·

فقال جوان فى هدوء « أغلب الظن أننى أريد أن أتخلص منكم »

وقال فان برانت « انتبه لنفسك . لا تنس انك سائق عمومى . وبعد هذه الحالة التى تعتبر انذارا لك لن يكون من الصعب سحب الرخصة منك » ·

فتغيرت الحالة النفسية لجوان فجأة · وضحك · وقال : « يا أخى · اننى أرحب بسحب الرخصة حيث سأكون مطلق السراح وبعيدا عن الناس من أمثالكم · ويمكننى أن افكر فى المكان الذى اختاره لكى أضع فيه تلك الرخصة بعد ان أطويها وأربطها بسلك شائك » ·

فضحكت كاميل بصوت مرتفع وضحك ارنست هورتون فى سعادة ضحكات توحى بالاستخفاف · وقال « على أن أقول قبل أن أنسى : نعم يا سيدى · اسمع يا مستر شيكوى · ان هذين الرجلين دخلا فى المجادلات والمناقشات · أما الباقى منا فيريد استئناف السفر · اننا نريد أن نأخذ فرصتنا · لماذا لا تقوم بجر خط على الارض بحيث من يقف على الخط يعد موافقا على الذهاب ومن لا يقف عليه يعتبر موافقا على البقاء هنا · وفى ذلك عدل بما فيه الكفاية » ·

وقالت ميلدريد « أريد أن أذهب يا مستر شيكوى » وقال جوان « وهو كذلك » فلنتخذ ذلك الشق الكبير الموجود على الارض هناك حدا فاصلا . وكل شخص لا يريدنى أن أسلك الطريق الخلفى عليه بالانتقال الى الجانب المزروع بالخضراوات » .

ولم يتحرك أحد . وأمعن جوان النظر فى كل وجه من الوجوه . فقال فان برانت « هذا الاجـــراء غير قانونى . فلن يعتـــد به فى أى محكمة » .

« ما الذى لا يعتد به فى المحكمة ؟ » .

« ما تفعله الآن »

« انه ليس فى أى محكمة »

فقال فان برانت « ربما يصل الى أى محكمة » .

فقال جوان « حتى لو كنت تريد المجيىء معى فاننى لن أسمح لك بذلك » .

« انك تريد فقط أن تبعدنى . ولكننى قد حصلت على تذكرة ولدى الحق فى استخدام الاتوبيس . انك تريد فقط أن تبعدنى . سأجعلهم يطوحون بك بسرعة هائلة تجعل رأسك يدور » فقوس جوان كتفيه وقال « ويمكنك أنت أيضا الصعود الى الاتوبيس . أوكى . هيا بنا نبدأ فى الرحيل » واستدار نحو المستر بريد وقال له « أيمكنك أن تعيرنى بعض الادوات القليلة ؟ وسأحضرها اليك لدى عودتى مباشرة » .

« ما نوع الآلات التى تريدها ؟ »

« أوه . معول وكريك »

« أوه . بكل تأكيد . لكى تستخدمها فى حالة تعرقل الاتوبيس ؟ »

« نعم . وهل عندك كتلة من الخشب وآلة لرفع الاثقال ؟ »

« آلة رفع الاثقال ليست جيدة . أما كتلة الخشب فهى على مايرام وان كان يوجد بها سلك معدنى قديم سمكه نصف بوصـــة . ولست أدرى مقدار الضغوط التى يمكن أن تتحملها . فهذا الاتوبيس ثقيل الى حد ما » .

وقال جوان « حسنا . هذا أفضل من لا شىء » واستطرد : « أليس لديك أى أسلاك معدنية لاشتريها منك الآن ؟ » .

فقال بريد « اننى لم أحصل على أية كميات جديدة من أسلاك مانيلا منذ أن بدأت الحرب . ولكن يســـعدنى أن تأخذ من الاسلاك الموجودة عندى . هيا . خذ لنفسك ما تريد » .

وقال جوان « هيا يا كيت · ساعدنى · ممكن ؟ »
وخرج ثلاثتهم من المتجر وساروا الى المنطقة الخلفية ·
وقال ارنست لكاميل « لم يكن ليفوتنى هذا · لم يكن ليفوتنى هذا لاى سبب من الاسباب » ·
فقالت كاميل « أتمنى لو كنت غير مرهقة الى هذا الحد » واستطردت « فقد ظللت أتنقل بالاتوبيسات منذ خمسة أيام · وأريد أن أخرج من ملابسى واستغرق فى نوم عميق لمدة يومين » ·
« لماذا لم تستقلى القطار ؟ أقلت أنك ذاهبة الى شيكاغو ؟ » ·
« نعم · شيكاغو »
« حسنا · كان باستطاعتك أن تستقلى قطار النوم الرئيسى السريع وتنامى طوال الطريق حتى لوس أنجلوس · فهو قطار مريح » ·
فقالت كاميل « أردت أن أقتصد قدرا لا بأس به من المال · فلدى كمية محدودة من النقــود وأريد أن أمارس الحب فى أماكن مختلفــة لبضعة أسابيع قبل أن أعود الى عملى · وأفضل أن يتم ذلك فى سرير مزدوج وليس فى سرير عربة النوم بالقطار » ·
« هل نجحت فى الفوز باعجابك ؟ وهل أنا فهمتــك على النحــو الصحيح ؟ »
فقالت كاميل « لا »
« أوكى · أنت سيدة الموقف »
فقالت كاميل « اسمع · لا داعى لان نلعب مع بعض · فأنا مرهقة للغاية بحيث لا أستطيع أن ألعب معك لعبة التخمين »
« أوكى · أوكى » سألعب بأية طريقة تريدينها » ·
« حسنا · فلنترك هذا الامر الى أن تنتهى الرحلة · هل يهمك ذلك الامر ؟ » ·
فقال ارنست « اننى معجب بك · ويســعدنى أن آخذك معى فى نزهة بعد أن تستريحى من عناء السفر »
فقالت كاميل « حسنا · سنرى كيف تسير الامور » · لقد كانت معجبة به. كان باستطاعتها التحدث اليه. وهو قد عرف بعض الاجابات القليلة مما ادى الى نوع من الارتياح ·
وكانت نورما قد راحت ترقبهما وتنصت لحديثهما · لقد أضبحت معجبة بكاميل اعجابا شديدا · وأرادت أن تتعلم فقط كيف يتم ذلك · وفجأة أدركت أن عينيها مفتوحة فى اتساع مثل عينى الارنب فأرخت من جفنيها العلويين ·

وقالت المدام برتشارد « آمل الا أكون بصدد التعرض للصداع . اسالهم يا اليوت عما اذا كان لديهم اسبرين . ممكن ؟ » .

فقامت المدام بريد باخراج كيس سلوفان من كرتونة كبيرة من الورق المقوى وقالت « أتريد واحدا . ثمن الواحد خمسة سنت » .

وقال المستر برتشارد « يحسن بنا ان نأخذ نصف دستة » « سيكون ثمنها ٢٦ سنتا شاملة الضريبة » .

فقالت المدام برتشارد « لست بحاجة لان تأخذ كل هذا العدد الكبير يا اليوت . فعندي زجاجة من فئة الخمسمائة موجودة في حقيبتي » .

فأجاب عليها « من الافضل أن يكون لدينا احتياطي من الاسبرين » . فقد كان يعرف حالات الصداع التي تتعرض لها . كانت حالات مرعبة . اذ كانت تلوي وجهها وتحولها الى كتلة من الالم اللاهث المتصبب بالعرق المكشر عن أنيابه . كانت آلام صداعها تملأ غرفة بل وتملا منزلا وتنفذ الى كل شخص حولها . وكان باستطاعة المستر برتشارد أن يشعر باحدى حالات الصداع التي تتعرض لها لدى نفوذها اليه من خلال الحوائط . كان باستطاعته أن يشعر بها فوق جسده . ولقد قال الطبيب انه لا يوجد هناك شيء يمكن عمله لعلاج ذلك . فكانوا يحقنونها بالكالسيوم ويعطونها المسكنات . وكانت نوبات الصداع تهبط عليها عادة عندما تكون عصبية المزاج أو عندما لا تسير الامور على مايرام دون أن يكون الخطأ من جانبها .

وكان زوجها يتمنى لو استطاع حمايتها . وبدت هذه النوبات من الصداع كأن لها طابع الانانية وحب الذات . ومع ذلك فهي لم تكن كذلك . اذ كان الالم حقيقيا . فلا أحد بمقدوره أن يتظاهر بمثل هذا العذاب الاليم . وكان المستر برتشارد يخشى نوبات الصداع هذه أكثر من أي شيء آخر في العالم . فالنوبة الشديدة كان يمكنها أن تجعل المنزل بأكمله يهتز رعبا . وكانت تلك النوبات تشبه الضمير بعض الشيء . اذ لم يستطع المستر برتشارد أن يتخلص مطلقا من الاحساس بانه هو السبب في ذلك الصداع على نحو ما على الرغم من المجادلات التي يبذلها لتبرئة نفسه مما حدث . ولم تقل المدام برتشارد أبدا أي شيء من هذا القبيل ولم تشر الى أن الامر قد يكون كذلك . وهي في حقيقة الامر كانت شجاعة للغاية . وكانت تحاول أن تكتم صرخاتها باستخدام الوسادة .

ولم يكن المستر برتشارد يضـــايقها كثيرا فى السرير · وحقيقة الامر أن ذلك كان يحدث بشكل نادر للغاية · الا أنه كان يربط بطريقة غريبة بين حالات الصداع عندها وبين حالات الشبق التى كانت تعتريه من وقت لآخر وتفقده السيطرة على نفسه · ورسخ فى ذهنه بشـــكل عميق أن الامر كان كذلك ولم يدر كيف غرست تلك الفكرة فى ذهنه · ولكنه كان يشعر فعلا بشىء من وخز الضمير · وكان السبب فى ذلك هى تلك النزعة البهيمية عنده وشبقه وفقدان السـيطرة على نفسه · ولم تكن لديه أية وسيلة لانقاذ نفســـه · وكان يجـد نفسه فى بعض الاحيان كارها لزوجته كرها شديدا بسبب ما يشـعر به من تعاسة · فعندما كانت تصاب بالصداع كان يبقى فى مكتبه وقتا اضافيا وأحيانا كان يجلس الى مكتبه لبضعة ساعات محملقـــا فى المفرش البنى اللون بينما جسده يختلج مع الالم الذى تعانيه زوجته ·

وهى قد تحاول انقاذه وهى فى ذروة نوبة من أسوأ النوبات التى تتعرض لها ، فتقول له فى أنين « اذهب الى السينما · اذهب الى تشارلى جونصون ·· تناول شيئا من الويســـكى · احتسى الى أن تصبح ثملا · لا تبقى هنا · اذهب الى السينما » الا أنه كان من المستحيل أن يفعـــل ذلك · لم يكن يستطيع ذلك ·

ووضع المستر برتشارد الستة أكياس الصغيرة الشفافة فى جيب معطفه · وسألها « أترغبين فى تنـــاول اثنتين الآن · اذا كـــان الامر يستدعى ؟

فقالت « لا · أظن أننى على وشك التحسن » وابتسـامتها الشجاعة الحلوة ··

وما أن سمعت ميلدريد أول مرة يذكر فيهـــا كلمة اسبرين حتى ذهبت الى جانب المتجر وراحت تقرأ القائمة التى توضـــح الحد الاقصى لسعر البيع المعتمد من الأوبا (مكتب الرقابة على الاسعار) · وكان فمها مزموما بشدة وكان حلقها متوترا · وقالت بهدوء وبصـــوت منخفض « أوه · أيها السيد المسيح » · « أوه · أيها السيد المسيح · أهى بصدد البدء فى ذلك بالفعل ؟ » ولم تكن ميلدريد تأخذ حالات الصـداع على أنها شىء حقيقى تماما · فهى نفسها لم تتعرض أبدا لحـــالة واحدة من الصداع الشديد · ولكنها تعرضت فقط لحالات من الصداع البســـيط التى تجىء على فترات متقطعة وتعرضت لحـــالات قليلة من الصداع الناجم عن تناول الخمور وهى فى المدرسة · وكانت تسمى الصـــداع

الذي تتعرض له والدتها سيكوسوماتي وسيكوتي • وكان خوفهـا منه يفوق خوف والدها • وعندما كانت فتـــاة صـغيرة كانت تهرب من نوبات الصداع التي تفاجيء والدتها • اذ كانت تهبط الى البدروم أو الى الفراغ خلف الكابينة في غرفة الحياكة • وعادة ما كانوا يجذبونهـا الى الخارج ويأخذونها الى أمها لان أمها عندما تعاني من آلام الصداع تـكون بحاجة للحب والتدليل • وكانت ميلدريد تنظر الى نوبات الصداع على أنها لعنة تحل بالانسان وكانت تكرههـا • وكانت تكره أمهـا عندما تتعرض لتلك النوبات من الصداع •

وكانت ميلدريد قد اعتقدت لفترة من الوقت أن صداع والدتهـا ما هو الا ادعاء كاذب تمـاما • ورغم أنها أدركت من خـلال الاطلاع والقراءات أن الالم كان حقيقيا الا أنها ظلت تنظر الى حالات الصداع على أنها سلاح تستخدمه والداتها بكل دهاء ووحشية • فصحيح أن الصداع كان يسبب الالم لامها الا أنه كان أيضا يسـيطر على الاسرة ويعاقب الاسرة ويقيم الاسرة ويقعدها • فالاشياء التى لا تحبها والدتها لا تتم مطلقا بحجة أنها تسبب الصداع لها • وكانت ميلدريد تعرف أن خوفها من دخول المنزل فى وقت يزيد على الساعة الواحدة صباحا مرجعه الى تأكدها من أن والدتها قد تتعرض للصداع اذا تأخرت عن ذلك الوقت

وفى الفترات الزمنية ما بين صداع وآخر ينسى المرء مدى التدمير الذى تحدثه هذه النوبات • وكانت ميـلدريد تعتقد أن ما تحتـاجه والدتها هو طبيب نفسانى • وكانت برنيس على استعداد لعمل أى شيء من أجل أن تشفى من ذلك الصداع • ولكن المستر برتشارد كان يمنع فى حزم ذهابها لطبيب نفسانى • وقال انه لا يؤمن بالاطباء النفسيين • مع أنه فى حقيقة الامر كان يؤمن بهـم بل ويؤمن بهم لدرجـة كبيرة للغاية الى الحد الذى جعله يخاف منهم ويخشاهم • هذا بالاضافة الى أن المستر برتشارد أصبح تدريجيا معتمدا على نوبات الصـداع تلك • اذ كانت على نحو ما تبريرا بالنسبة له • كانت عقابا له • كانت تقدم له الخطايا التى تستلزم التكفير عنها • وكان المستر برتشارد بحاجة الى الخطايا • اذ كانت حياته فى مجال المال والتجارة خالية من الخطايا لان أعمال القسوة والصرامة فى المال والتجارة كانت تحدد وتترك جانبـا بهدف تجاهلها من حيث هى أمر يضطر اليه المسـاهمون ويتحملون مسئوليته • كان المستر برتشارد يحتـاج الى خطايا ذاتية شخصية ويحتاج للتكفير الذاتي عن تلك الخطايا • ومن هنا كان يسـتنكر في

غضب فكرة الاستعانة بطبيب نفسانى .

وأرغمت ميلدريد نفسها على الاستدارة على عقبيها والعودة الى أمها « أأنت على مايرام يا عزيزتى ؟ » .

فقالت برنيس فى اشراق « نعم » .

« ألا يوجد صداع ؟ »

فقالت برنيس فى شيء من الاعتـــذار « لقد تعرضت فقط لوخز جعلنى أخاف من التعرض لنوبة من الصداع . اننى لن أغفر لنفسى أبدا اذا تعرضت لاحدى النوبات الرهيبة وأتلفت بذلك رحلة بابا » .

وشعرت ميلدريد برعشة خوف بسيطة من هذه المرأة التى هى أمها ــ خوف من نفوذها ومن قسوة قلبها . لابد أن يـــكون ذلك عن غير وعى . يجب أن يكون كذلك . وكانت ميلدريد قد رأت وسمعت التبرير لهذه الرحلة الى المكسيك . فوالدها لم يكن لديه الرغبة فى الذهاب اذ كان يفضل قضاء أجازته فى المنزل بعيدا عن المكتب وان كان ذلك يعنى أنه قد يذهب للمكتب يوميا بمعنى أن ذهابه ســـيكون فى أوقات غير منتظمة وعودته لن تكون مع ساعة الانصراف من العمـــل وانما وفقـا لاحساسه ورغبته فى العودة . وبذلك يشعر أنه فى أجازة من العمل .

ولكن الرحلة للمكسيك قد رسخت فى الاذهان كحقيقة واضحة . متى وكيف تم ذلك ؟ هذا هو ما لم تعرفه ميلدريد أو والدها . ولـكن والدها أصبح تدريجيا مقتنعا بأن الفكرة هى فكرته بل ومقتنعا بأنه هو الذى يرغم أسرته على الذهاب معه . وقد أعطـاه هذا شعورا ممتعا بأنه سيد البيت وأن كلمته هى العليا فى منزله . وهو قد سار فى الردهات مغلقا الباب وراء الباب فى المنزل الذى يشبه التيه . كان الامر أشـبه ما يكون بوكر المصيدة . فالدجاجة تجد ثقبا وتنظر فى داخله وترى أنه يوجد به قليل من الحبوب وتنفذ من خلال الباب الى الداخل ــ فيغلق البـــاب . حسنا . ها هنا يوجد عش . مظلم وهادىء . فلم لا تبيض ؟ وتكون بذلك نكتة لطيفة على من ترك ذلك الباب مفتوحا .

لقد نسى والدها تقريبا أنه لم تكن لديه الرغبـــة فى الذهاب الى المكسيك ، كان كل من برتشارد وزوجته يفعل ذلك من أجل ميلدريد . كان ذلك بالفعل هو الامر السليم . فقد كانت ميلدريد تدرس اللغـة الاسبانية فى الكلية ، وهى لغة لم تتمكن من استيعابها شأنها فى ذلك شأن القائمين على تدريسها ، وقد تكون المكسيك هى المكان المناسـب الذى تتمرن فيه على التحدث والمران على اللغة ، وقالت والدتهـا أنه

لا توجد هناك وسيلة لتعلم لغة مثل التمرن عليها واستخدامها ٠

ولم يكن باستطاعة ميلدريد وهي تنظر الى وجه أمها الحلو المنبسط في استرخاء واستجمام أن تصدق ببساطة أن هذه المرأة يمكنهـــا أن تدبر أمرا ثم تقوم بعدئذ باتلافه ٠ لماذا ؟ ٠

كان من الممكن أن تفعلها ٠ فقد غرست الفكرة ٠ ومن المؤكد أنها كانت بصدد الحصول على الصداع ٠ ولكنها قد تنتظر لحين أن تصبح في مكان لا يوجد به أطباء حتى يمكن أن يسبب صـــداعها أكبر قدر ممكن من التأثير ٠ لقد كان أمرا يصعب تصديقه ٠ ولم تعتقد ميلدريد أن أمها كانت تدرك حقيقة ما كانت تفعله ٠ ولكن كانت هنـــاك كتلة كالعجين في صدر ميلدريد تهبط بثقلها فوق معدتهـــا ٠ لقـد كان الصداع آتيا في الطريق ٠ كانت تدرك ذلك ٠

وشعرت ميلدريد بالغيرة من كاميل ٠ وحسدتها ٠ لان كاميل فتاة عاهرة ٠ والامور بالنسبة للفتاة العاهرة أيسر بكثير ٠ فلا يوجد ضمير ولا شعور بالخسران ولا شيء سوى الانانية الغـريبة التي تتصـــف بالاسترخاء والتمطي كالقطة ٠ فباستطاعتها أن تذهب الى الفراش مع أي شخص تريده ولا تراه بعد ذلك مطلقا ٠ ولا تشعر من وراء ذلك بمشاعر الخسران وعدم الامان . كانت تلك هي حياة كاميل من وجهة نظر ميلدريد. وتمنت أن تعيش نفس هذه الحياة. وكانت تعرف أنها لن تستطيع ذلك بسبب وجود أمها ٠ ودخلت الى ذهنها الفكـرة التي لم تدع للدخول ـ لو أن والدتها كانت ميتة لاصبحت حياة ميلدريد أكثر بساطة الى حد بعيد ، عندئذ ستتمكن من الحصـــول على مكان سري صغير تعيش فيه في منطقة ما ٠ وأبعدت هذه الفكرة من ذهنها بطريقة تكاد تكون غير مستحبة . وقالت لنفسها بأسلوب يتسم بالرسميات « يا له من شيء سخيف أفكر فيه » ٠ ولكنه كان حلما يراودها كثيرا ٠

ونظرت الى الخارج عبر النافذة الامامية ٠ لقد سـاعد بيميلز في وضع الكتلة الخشبية وآلة الرفع في داخل الاتوبيس ٠ وكانت هناك شحوم على سلك « المانيلا » فلوثت بنطلـــون بيميلز ذا اللون البني الممزوج بلون الشيكولاته ٠ وكان يبذل محاولات لمسح البقع بمنديل يده ٠ وراحت ميلدريد تفكر « مســـكين ذلك الصبي ٠ فلربما تكون هذه هي البدلة الوحيدة عنده » ٠ وكانت على وشك أن تنصحه بعد مسح البقعة الا أنها شاهدته وهو يذهب الى مضخة البنزين ويضـــع قليلا من البنزين على منديل يده وينظف البقعة في اتقان ٠

وبدأ جوان ينادي « هيا بنا ٠ أيها الناس » ٠

الفصــــل الرابع عشر

وكان الطريق الذي يلف حول منحنى نهر سان يســــيدرو قديما للغاية • فلا أحد كان يعرف متى أنشىء • ولقد استخدمت مركبـات السفر العمومية هذا الطـــريق فعلا كما اســـتخدمه الرجال الذين يستعينون بالخيول والدواب فى تنقلاتهم • وفى مواسم الجفاف كانت الماشية تساق على ذلك الطريق نحو النهر لكى ترقد تحت ظلال أشجار الصفصاف أثناء الحر القائظ نهارا • ولكى تشرب من الحفر التى تحفر فى قاع النهر • وكان ذلك الطـــريق القديم مجرد شريحة من الارض الفضاء التى لم يتم اعدادها للزراعة • ولا تميزه عن باقى المســاحات المجاورة سوى آثار اطارات السيارات على الارض وآثار حوافر الخيول وفى موسم الصيف كان يشهد سحابة كثيفة من الغبار عندما تمر عليه احدى عربات النقل العمومية • أما فى الشـــتاء فكانت تتطـاير منه أوحال تشبه المعاجين من تحت حوافر الخيول • وتدريجيا أصبح هذا الطريق مقعرا لاسفل حتى أنه صار أكثر انخفاضا من الحقـــول التى يخترقها مما جعله بمثابة بحيرة طويلة من المياه الراكدة فى الشتاء ، وعميقة للغاية فى بعض الاحيان •

وبعدئذ جاء الرجال ومعهم المحاريث وحفروا الحفر على الجـانبين وشيدوا الجسور الترابية تجاه الطريق • وبعد ذلك دخلت الزراعة وأصبحت الماشية لها قيمة كبيرة للغاية حتى أن ملاك الماشية على طول الطريق أقاموا الاسوار التى تحتجز ماشيتهم فى الداخل وتبقى ماشـية الاخرين فى الخارج •

وكانت الاسوار بمثابة أعمدة مشقوقة من الخشب الاحمر ومثبتة فى الارض ، عليها الواح سميكة من الخشب ١ × ٦ مثبتة بالمسامير على نصف المسافة من أعلى بحيث ترتبط الاعمدة ببعضها البعض • وعلى طول أعالى الاعمدة كانت توجد أسلاك شائكة من طراز قديم بمثــــابة شريط من المعدن الملتوى ذى الشوكات المسونة المدببة ، وتغير لون الاسوار بفعل الشمس والامطار • فالاعمدة والالواح الخشبية التى هى من الخشب الاحمر تحول لونها الى رمادى فاتح وأخضر رمادى • ونبت حشائش البحر على الاخشاب وتكونت الطحالب على الاعمـدة الاكثر قدما •

وكان الرجال السائرون على أقدامهم والذين تتأجج صـــدورهم بالعبارات الملهمة يقتربون من الالواح الخشبية وينقشون رســـالاتهم

عليها . « تب الى الله . فمملكة السماء فى متناول يدك » . « أيها المخطىء . ارجع الى الله سبحانه وتعالى » . « لقد أزفت الساعة » . « لماذا سيعود هذا الامر بالخير على أحد الرجال .. » . « أقبل على السيد المسيح » ، ووضع رجال اخرون لافتات أخرى على السور بالاستعانة بالاستنسل . « مخدرات جاى » . « سيروس نوبل » . « ويسكى الاطباء » . « محل سان يسيدرو للدراجات » . وهذه اللافتات كلها قد تغير لونها فأصبحت معتمة اللون .

وعندما تناقص استخدام الحقول فى مجال الرعى وتزايد استخدامها فى زراعة القمح والشوفان والشعير بدأ المزارعون يزيلون من حقولهم الحشائش والاعشاب واللفت والخردل الاصفر والخشخاش والنباتات الشائكة والاعشاب الضارة . فاتخذت كل هذه النباتات ملجأ لها فى الحفر المنتشرة بجانب الطريق ووقف نبات الخردل بارتفاع سبعة أقدام مع أواخر الربيع وشيدت طيور الشحرور المغردة ذات الاجنحة الحمراء أعشاشها تحت الزهور الصفراء . ونما نبات قرة الماء فى الحفر الرطبة .

وأصبحت الحفر الموجودة بجانب الطريق مليئة بالاعشاب النامية العالية وصارت موطنا للعرسات وثعابين الماء الزاهية اللون وبدأت الطيور ترتادها فى المساء لتشرب منها . وكانت القبرات تجلس طوال الصباح على الاسوار القديمة فى فصل الربيع وتغرد أغنياتها ذات النغمات الحادة المتغيرة . أما الحمام البرى فكان يجلس فوق الاسلاك الشائكة فى المساء لدى غروب الشمس وقد تراصت اكتافه بجوار بعضها البعض على مسافة أميال طويلة . وكانت صيحاته تدوى عبر الاميال فى نغمة متصلة . وفى المساء كانت صقور الليل تجرى عبر الحفر باحثة عن اللحوم . ولدى حلول الظلام كانت البومات التى تقيم فى الاسطبلات المهجورة تبحث عن الارانب . واذا تعرضت بقرة للامراض تجلس الصقور الرومية القبيحة المنظر على السور القديم فى انتظار لحظة الموت .

وكان الطريق مهجورا فى الغالب . وحتى الاسر القليلة التى كانت لها مزارع فى هذه المنطقة لم تعد تستخدم هذا الطريق رغم أنه لم يكن هناك طريق اخر سواه . وذات يوم كانت توجد الكثير من الممتلكات الصغيرة مع وجود رجل يعيش بالقرب من فدادينه : مزرعته وراءه وأرضه المزروعة بالخضراوات توجد تحت نافذة غرفة الجلوس فى بيته . ولكن مساحات الاراضى أصبحت الان ممتدة وشاسعة دون أن يستأجرها أحد وأصبحت المنازل الصغيرة والاسطبلات القديمة تقف بدون نوافذ وصارت رمادية اللون وبدون طلاء .

وعندما حل وقت الظهيرة تكالبت السحب من الجنـــوب الغربي وانضمت مع بعضها البعض • وهناك قاعدة تقول أنه كلما طالت عملية الاستعداد التى تقوم بها السحب دل ذلك على أن الامطار ستستمر فى الهطول لفترة أطول • ولكن البســـحب لم تكن قد اســـتكملت استعدادها • اذ كانت هناك بعض المساحات من السماء الزرقاء ومن وقت لاخر كان وميض الشمس يخطف بالابصار لدى انعكاســـه على الارض • وفى احدى المرات قطعت سحابة طويلة ضـــوء الشمس الى أشرطة طويلة مستقيمة •

وكان على جوان أن يسير بأتوبيسه للخلف قليـلا على الطـــريق الرئيسى لكى يصل الى المدخل المؤدى الى الطريق القديم • وقبـل أن يدخل الى الطريق القديم أوقف الاتوبيس وهبط منه وسار الى الامام وشعر بالوحل الذى يشبه الشحوم تحت قدميه • وتعـرف جوان على نوع من الابتهاج فى داخله • فقد ظل يبذل المحاولات ليدفع حمـولة عربته من الاجساد البشرية الى اللحاق بأعمالها ومصالحها التى لا تعنيه فى شىء ولكنه أحس الان فى داخله بمشاعر سوء النية وتعمـد الاذى فقد اختاروا بأنفسهم هذا الطريق • ولربما يكون طريقا لا بأس به • وكانت لديه نفس مشاعر الابتهاج التى يحس بها الانسان عندما يكون فى أجازة • لقد أرادوا بأنفسهم هذا الطريق وليدعهم يحققون ما يريدون انه سيرى ماذا سيفعلون لدى تعطل الاتوبيس بهم • وحفر بإصـــبع قدمه فى الوحل الممزوج بالحصى قبل أن يعود الى الاتوبيس • وسأل نفسه : ترى ماذا تفعل أليس الان ؟ • وهو كان يعرف جيدا الامور التى كانت تفعلها أليس • وهو اذا تعمد تعطيل الاتوبيس فقد يكتفى حينئذ بالسير بعيدا عنه • مجرد السير بعيدا ولا يعود أدراجه على الاطلاق • كانت لديه نفس مشاعر الابتهاج التى يحس بها المرء عندما يكون فى أجازة من العمل • وكان وجهه متألقا بالسعادة عندما صعد داخلا الى الاتوبيس •

وقال فى سعادة « لست أدرى ما اذا كنا سنتمكن من تحقيق ذلك فى هذه الظروف » فشعر المسافرون بشىء من الضـــيق وحدة المزاج بسبب ارتفاع حالته المعنوية وشعوره بالبهجة •

وجلس المسافرون متكومين فى المنطقة الامامية من الاتوبيس بقدر استطاعتهم • اذ شعر كل منهم أن جوان هو حلقة الاتصـال الوحيدة بينهم وبين الاستقرار النفسى والعاطفى • ولو انهم عرفوا ما كان يدور فى رأسه لاصيبوا بفزع كبير للغاية • وكان هناك ابتهاج وسرور عظيم فى أعماق جوان ، فأغلق باب الاتوبيس • وضـــغط بقدمه مرتين على

صمام البنزين ليزيد من سرعة موتوره قبل أن يضــــع أتوبيسه على السرعة المنخفضة • ثم استدار داخلا به الى الطريق الريفى الموحل •

وكانت السحب قد استبعدت للهطول بأمطارها . وأدرك هو ذلك واستطاع أن يرى فى الغرب سحابة واحدة تهبط لاســـفل • كانت آخذة فى التحرك من هناك وقد تتحرك فوق الوادى وتتفجر فى شكل نوبة أخرى من نوبات المطر الفجائى الغزير القصير المدى • وصـــار الضـــوء مرة أخرى معدنى اللون فى تداخل واجتياح على نحو يوحى بسقوط المطر العنيف •

فقال فان برانت فى اشراق « المطر على وشك الهطول » فقال جوان « يبدو الامر كذلك » واستدار بأتوبيســه فى الطـريق • لقد كانت اطارات أتوبيسه تجوس على الطريق بشـــكل جيد ولكنه ما أن ترك الطريق المرصـــوف حتى شعر بانزلاق الاطارات قليلا فوق الاوحال الزلقة وشعر بمؤخرة الاتوبيس تتحـــرك فى جزء من الدائرة • ولكن كانت لتلك الحركة حدود معينة • كان الاتوبيس يتحرك ببطء فـوق الطريق فوضع جوان الاتوبيس على السرعة الثانية • ولربما يجعله يسير على تلك السرعة طوال المسافة كلها •

وصاح المستر برتشارد بصوت يعلو على صوت الموتور متســائلا « ما هى مسافة هذه اللفة ؟ » •

فقال جوان « لست أدرى • اذ لم يسبق لى أن سلكت هذا الطريق انهم يقولون ١٣ أو ١٥ ميلا • شىء من هذا القبيل » • وانحنى فوق عجلة القيادة ورفع عينيه عن الطريق ونظر نظـرة سريعـة الى عذراء جادليوب فى محرابها الصغير على قمة تابلوه آلاته •

ولم يكن جوان رجلا شديد التدين • كان يؤمن بقوة العذراء مثل ايمان الاطفال الصغار بقوة أعمامهم • وكانت العذراء بالنســـبة له بمثابة دمية والهة وقطعة لجذب الحظ السعيد بل وتمت له بصـــلة القرابة • فأمه وهى تلك المرأة الايرلندية كانت قد تزوجت فى أسرة العذراء وتقبلت العذراء مثلما تقبلت أم زوجها وجدة زوجها • وأصبحت جادليوبانا بمثابة أسرتها والهتها •

وقد نشأ جوان وترعرع مع هذه السيدة العذراء ذات الجـونلات الواسعة الواقفة فوق الهلال • وكانت العذراء متواجدة فى كل مكان عندما كان صغيرا فى السن ــ فوق سريره للاشراف على أحلامه ، وفى المطبخ لمراقبة الطعام ، وفى الصـــالة لترعاه لدى دخوله الى المنـزل وخروجه منه وفـوق باب الزجـوان لـكى تنصـــت اليه أثنـــاء لعبه فى الشارع • وكانت فى محرابها الجميل الخاص بها فى الكنيسة وفى

حجرة الدراسة بالمدرسة • وكأن ذلك كله لم يكن كافيا لاثبات أنهـا موجودة في كل مكان • اذ كان يرتديها على شكل ميدالية ذهبية صغيرة لها سلسلة ذهبية تلتف حول عنقه • وهو اذا كان بمقدوره أن يبتعد عن عيني أمه أو أبيه أو اخواته فانه لا يستطيع الابتعاد عن العـذراء لانها كانت متواجده معه دائما • واذا حاول خداع أقاربه الاخرين أو تضليلهم أو لعب الحيل عليهم فان جاداليـوبانا تدرك كل شيء على أي حال • ولقد كان يعترف لها بكل شيء ولكنه اعتراف شكلي فقط لانها كانت تعرف كل شيء بأية وسيلة • كانت المسألة أقرب الي اعادة حصر الدوافع لفعل شيء معين أكثر منها افشاء اخبار لها • وكان ذلك سخيفا أيضا لانها كانت تعرف مقدما الدوافع ولذلك كانت هناك أيضا تلك التعبيرات على وجهها التي تتمثل في شبه ابتسامة وكأنها كانت على وشك أن تنفجر ضاحكة • فهي لم تكن تفهم الموقف فحسـب وانمـا كانت أيضا تشعر بالتسلية بعض الشيء • اذ أن جرائم الطفولة المخيفة لم تكن تبدو كأنها تستحق عذاب جهنم ، هذا اذا كانت تعبيرات وجهها تحمل أي معنى •

ولهذا فقد أحبها جوان منذ طفولته حبا عميقا ووثق فيهـا تمـاما • وكان والده قد أخبره أن تلك العذراء هي المختصة برعاية ومراقبـة المكسيكيين بصفة خاصة • ولذلك فهو عندما كان يشـاهد الاطفال الألمان او الاجانب Coolidge في الشوارع كان يدرك أن عـذراءه لا تبدي أية اهتمامات بهم لانهم ليسوا مكسيكيين •

واذا أضفنا الى هذا أن جوان لم يكن يعتقد فيها بعقله وانما كان يؤمن بها بكل حاسة من حواسه عندئذ تتكون لديك فكرة عن اتجاهاته نحو سيدتنا العذراء جاداليوب •

وشق الاتوبيس سبيله على الطـريق الموحل متحـركا في بطء شديد مخلفا وراءه أخاديد عميقة • وتحركت عيناه بسرعة نحو العذراء وقال في ذهنه « أنت تعرفين أنني لم أكن سـعيدا وتعرفين أنني قد بقيت أسير الشراك التي نصبت لي بدافع من احساسي بالواجب وهو شيء غير طبيعي وغير متأصل في • والان فأنا على وشك أن أضع قرارا بين يديك ؛ اذ لا يمكنني ان اتحمل مسئولية الهروب بعيدا عن زوجتي وعن مشروعي الصغير • عندما كنت أصغر في السن كان باستطاعتي أن أفعل ذلك • ولكنني الان كبير في السن وضـعيف في قراراتي • ولذلك فانا أضع هذا الموقف بين يديك • وتواجدي على هذا الطريق ليس من محض اختياري • فقد أجبرت على التواجد هنا بارادات هؤلاء الناس الذين لا يهتمون بأي شيء من أجلي أو من أجل سـلامتي أو

سعادتي . وانما اهتماماتهم تنصب فقط على خططهم الخاصة بهم .
بل انهم لم يقع نظرهم على فأنا مجرد ماكينة لتوصلهم الى المكان الذي
يرغبون في الذهاب اليه . وقد عرضت عليهم أن أعـود بهم من حيث
جئنا . وأنت قد سمعتينني . ومن ثم فأنا الان أترك المسألة لك وسوف
أعرف ما تريدينه . فلو غاص الاتوبيس في الوحل على نحو يجعـل
العمل العادى يخرجه ويتيح له التقدم فى المسير فاننى سأخرجه . واذا
كان الحذر العادى سيجعل الاتوبيس في مأمن عـلى الطـريق فاننى
سألتزم بهذا الحرص . ولكن لو كنت ـ جلت حكمتك ـ ترغبين فى
أن تعطينى دليلا وذلك بأن تجعلى الاتوبيس يسقط فى الوحل لمسافة
تصل الى محاور العجل أو بأن تجعليه ينزلق بعيدا عن الطريق ويهبط
في حفرة حيث يتعذر عمل أى شيء لانقاذه عندئذ سأعرف انك توافقين
على ما أريد أن أفعله . وبعدئذ سأسير بعيدا ووحيدا . ويمكن لهـؤلاء
الناس أن يعتنوا بأنفسهم .

سأسير بعيـدا وأختفى . لن أعود مطلقا الى أليس . سأخلع حياتى
القديمة مثل مجموعة من الملابس القديمة . المسألة ترجع اليك »

وأومأ برأسه . وابتسم للعـذراء . وكانت العـذراء تبتسـم
ابتسامتها البسيطة أيضا .. فهى كانت تعرف ماذا سيحدث ولكن لم
تكن هناك وسيلة بالطبع لاكتشاف ذلك . لم يكن باستطاعته أن يهرب
دون أن يحل به العقاب . اذ كان عليه أن يحصل على موافقة العـذراء
أولا . كان الاختيار في يدها بشكل مباشر . ففى حالة شعورها القوى
بضرورة عودته لاليس فانها تجعل الطريق سهلا وتجعل الاتوبيس يمر
عليه دون عراقيل . وعندئذ سيعرف أنه محكـوم عليه بأن يعيش مع
هذه الانسانة التى هى فى حوزته .

وأخذ نفسا عميقا الى داخل رئتيه فى نوع من الاثارة ولمعت عيناه
واستطاعت ميلدريد أن ترى وجهه فى المرآة الداخليـة للاتوبيس .
وتعجبت من تلك البهجة المخيفة الموجودة فى داخل ذهنه والتى جعلت
وجهه يشرق على ذلك النحو . واعتقدت بأنه رجل مكتمـل الرجـولة
بمعنى الكلمة وأنه بمثابة ذلك النوع من الرجال الذى تريده المرأة
المكتملة الانوثة ، لانه لم يكن يرغب فى أن يكون على جانب ولو ضئيل
جدا من الانوثة . فهو من النوع الذى يكون راضيا عن جنسه الخاص
به وهو من النوع الذى لن يحاول أبدا أن يفهم النساء وذلك فى حد
ذاته من الامور المريحة . فهو يكتفى بأن يأخذ ما يريده منهن . وزال
عنها اشمئزازها من نفسها وشعرت بالتحسن بعض الشيء من جديد .

وكانت أمها تكتب رسالة أخرى فى ذهنها « وهناك كنا على ذلك

الطريق الموحل ، على بعد أميال من أى مكان • وحتى السائق لم يكن يعرف الطريق • حسنا • وكان يمكن أن يحدث أى شيء • أى شيء • لم يظهر فى الافق أى منزل • وكان المطر قد أخذ ينهمر » •

وكان المطر قد أخذ ينهمر • ليس كرذاذ الصباح ولكنه مطر غزير جارف له ضجة وله طابع انجاز الاعمال بحيث كان يعطى عددا كبيرا من الجالونات فى الساعة فى منطقة معينة • ولم تكن هناك رياح • وكان المطر ينهمر فى شكل خطوط مستقيمة وصافية • وأحدث الاوتوبيس أزيزا وصفيرا كما أحدث طرطشة على الطريق المنبسط . وعندما أدار جوان العجلات الامامية قليلا شعر بنهاية المؤخرة تنزلق بعض الشىء •

وصاح فان برانت « أليس عندك أية سلاسل ؟ » فقال جوان فى سعادة « لا • لم أتمكن من الحصول على أية سلاسل منذ فترة ما قبل الحرب »

فقال فان برانت «لا أظن أنك ستوصلنا بنجاح الى النهاية» واستطرد « انه على ما يرام فوق الطريق المستوى السطح ولكنك بعد فترة قصيرة ستبدأ فى الصعود الى التل » وتحرك تجاه الشرق وتجاه الجبال التى كانوا يزحفون نحوها وصاح موجها الحديث للمسافرين الاخرين :

« ان النهر ينخر فى جرف عال • والطريق يسير فوق ذلك الجرف لا أظن أننا سنتقدم بنجاح حتى النهاية » •

لقد كان صباحا مليئا بالصراعات والضغوط بالنسبة لبيميلز • وعلى كل حال لم تكن هناك لحظات استرخاء كثيرة فى حياته الا أن هذا اليوم بصفة خاصة كان يوما ممزقا للاعصاب • كان جسده يتأجج بالاثارات • اذ كان بيميلز ممتلئا بعصارات المراهقة وكانت كل ساعات يقظته وساعات نومه مستغرقة كلها فى التفكير فى هدف واحد • ولكن ردود الفعل للدافع الاوحد كانت متنوعة للغاية حتى أنه كان يجد نفسه فى احدى اللحظات شهوانيا مثل كلب فوق ستارة مسرح العرائس ، وفى اللحظة التالية يجد نفسه غارقا فى مشاعر كثيفة وأحاسيس مثالية وفى اللحظة التى تليها يعوى ويصب اللعنات على الذات • وعندئذ كان يشعر انه وحيد وأنه وحده فقط اكبر مخطىء فى العالم . وكان ينظر فى اعجاب شديد لضبط النفس الذى يتحلى به جوان والرجال الاخرون الذين يعرفهم •

ومنذ أن وقع بصره على كاميل وهو يشعر بأن ذهنه وجسده من أوله لآخره فى أشد الاشتياق اليها • وأنتقل اشتياقه من الصور الشهوانية عن نفسه وعنها الى رؤيا لنفسه وهو متزوج منها ويعيش

معها حياة الاستقرار · وكان يشعر في احدى اللحظات أنه يكاد يكون مندفعا بقدر يسمح له بأن يطلب يدها ولكنه في اللحظة التالية لها كان يهبط عليه خجل وارتعاد لدي القائها نظرة في اتجاهه ·

وقد حاول للمرة الثانية أن يحصل على مقعد بحيث وهو في موقعه الجديد يتمكن من أن يرقبها دون أن يلحظه أحد ولكنه فشل في ذلك مرة أخرى · كان باستطاعته رؤية مؤخرة رأسها ولكنه تمكن من رؤية المنظر الجانبي لوجه نورما · وبذلك استطاع بيمبلز في هذا الوقت المتأخر فقط أن يلحظ التغيير الذى طرأ على نورما · وما أن لاحظ هذا التغيير حتى سحب نفسا عميقا · لم يكن لها نفس الشكل · وأدرك أن المسألة هي مجرد مكياج · لانه استطاع أن يرى قلم حواجب العيون واحمر الشفاه من المكان الذى كان يجلس فيه · ولكن ذلك لم يكن هو السبب الذى أدى الى جريان دمائه ساخنة في معدته · لقد تغيرت · أصبح يوجد بها شيء من الانوثة الواعية · وهو أمر لم يكن متواجدا فيها من قبل حتى أن عصارات بيمبلز المتوحشة همست في داخله · وهو اذا لم يتمكن ــ وهذا هو ما أدركه فعلا في أعماق قلبه ــ من الحصول على كاميل فلربما استطاع الحصول على نورما · اذ أن خوفه منها لم يكن في مثل خوفه من الالهه كاميل · وبدون وعي بدأ يضع الخطط للايقاع بنورما والسيطرة عليها تماما · وأخذت بثرة جديدة تتكون أمام أذنه اليسرى مباشرة · فقام بهرشها لا شعوريا · فانبثق اللون الاحمر الغاضب من لحمه الفاسد الى الخارج فوق خده · ونظر خفية الى ظفر اصبعه الذى قام بهذه المهمة ووضعه في جيبه ونظفه · لقد تسبب في اسالة الدماء على خده ، فأخرج منديل يداه ووضعه على وجهه ·

وكان المستر برتشارد متضايقا مما قام به من انجازات واتصالات كان هنا احساس أليم بالمعاناة الدائمة في داخله مما أدى الى عدم شعوره بالراحة والاسترخاء · فحاول أن يصرف عن نفسه ذلك الاحساس · واستخدم كل الوسائل العادية ليبعد عن نفسه الافكار غير السارة التي تكدر صفوه · ولكنها لم تأت بالنتيجة المرجوة ·

لقد قال ارنست هورتون عن خطة المستر برتشارد أنها ابتزاز · كما أن ارنست كان على وشك القول بأنه يظن أن اليوت برتشارد قد يسرق اختراعه عن الغطاء للبدلة الداكنة اذا لم يكن هناك من يرقبه وقد تسبب هذا في بادىء الامر في اثارة غضب المستر برتشارد فهو رجل له سمعته وهيبته ومركزه · وبعدئذ راح يفكر « نعم ان لي مركزي وسمعتي في المجتمع الخاص بي · ولكنني هنا ليس لدى شيء · فأنا

وحيد هنا • وهذا الرجل يظن أنني شخص ملتو وغشـــاش • وليس بمقدوري الان أن أرسله الى تشارلى جونصون لكى يوضح له أنه مخطىء فى رأيه » • وقد تسبب هذا فى مضايقة المستر برتشارد الى حد بعيد بل ولقد ذهب ارنست الى ما هو أبعد من ذلك • فهو قد كشـف عن اعتقاده بأن المستر برتشـــارد قد يوافق على الذهاب الى شــقة مع الشقراوات • انه لم يسبق له أن فعل هذا الشىء فى حيـاته • وكان عليه أن يثبت لارنست هورتون أن رأيه فيه كان خاطئا • ولـكن كيف يتسنى له ذلك ؟

وكانت يد المستر برتشارد فوق ظهر المقعد • وكان ارنست جالسا بمفرده فى المقعد الذى يقع خلفه • وكان موتور الاتوبيس المنطلق على السرعة الثانية مرتفع الصوت • وكان حسده القديم يهتـز ويتذبذب فى ضجة وضوضاء • ولم تكن أمامه سوى وسيلة واحدة هى أن يقدم لارنست هورتون شيئا ما • شيئا ما صريحا وشريفا لكى يتأكد بنفسه من أن المستر برتشارد ليس نصابا ولا غشاشا •

وهبطت عليه فكرة مبهمة غير محددة • فاستدار فى مقعده وقال « لقد أثار انتباهى ما قلته لى بشأن ما تفعله شركتـك بالافكـار التى تصل اليها » •

فنظر اليه ارنست فى شىء من التسلية • فالرجل يريد شيئا ما وشك فى أن ذلك الصبى العجوز يريد الانغماس فى حفلة أو حفلتين • اذ كان رئيس ارنست فى العمل يستخدم تلك الطريقة • فكان يعبر عن رغبته فى عقد المؤتمرات ليلا وكان ينتهى به الامر دائما الى التواجد فى احدى بيوت الدعارة وكان يندهش دائما من الطريقة التى دفعت به الى هناك •

وقال ارنست « لقد نشأت بيننا علاقة لطيفة للغـــاية » • وقال المستر برتشارد « ان هذه الفكرة ليست بالشىء الكبير بالنسبة للافكار الاخرى التى ترد على ذهنى ، انها مجرد شىء هبط على • ويمكنـــك الحصول عليها اذا كنت تريدها وذلك بهدف أن تعود عليك بأى قدر من الخير والمنفعة » •

وظل ارنست صامتا •

فاستطرد المستر برتشارد قائلا « خـذ مثلا أزرار كم القميص • فأنا الان أرتدى دائما أكمام وأزرار القمصـــان الفرنسية • واذا قام المرء بتزرير الاكمام بالزراير فانه يضطر لخلعها قبل أن يخلع القميص واذا أراد أن يدفع بأكمامه للخلف لكى يتمكن من غسل يديه فان عليه أن يخلع أزرار كم القميص • انه من السهل على المرء أن يضع أزرار

أكمام القميص قبل ارتداء القميص ولكنه لا يستطيع أن يدخل فيه يديه • وعندما يرتدى المرء القميص يصعب عليه ادخال أزرار الاكمام فى عرواتها • أتفهم ما أعنى ؟ »

فقال ارنست « هناك ذلك النوع الذى يقفل مع بعضه محدثا صوتا » •

« فعلا • ولكنه لا يلقى رواجا بين جماهير النساس ، فالمرء دائما ما يخطىء فى التزرير أو يفقد أجزاء منه » •

وتوقف الاتوبيس • ثم وضع جوان الاتوبيس على السرعة الاولى واستأنف المسير على الفور • وكان هناك ارتجاج شديد عندما اصطدم الاتوبيس فى حفرة أثناء المسير وأعقبه اصطدام اخر عندما عبرت العجلات الخلفية عليها • ثم استأنف الاتوبيس سيره فى بطء • وانهمرت الامطار بشدة فوق سطح الاتوبيس محدثة صوتا كالطبول وأحدثت المساحة على الزجاج الامامى للاتوبيس صوتا كالتزييق وهى تزيل الماء من فوق الزجاج •

واضطجع المستر برتشارد للخلف أكثر فى مقعده وجذب كمه لاعلى الى أن ظهرت أزرار كم القميص المصنوعة من الذهب العادى • وقال « والان • فلنفرض أنه كان هناك زمبرك بدلا من الازرار أو الشريط المعدنى • فعندما تدخل يدك فى الكم يتسع الزمبرك • وباستطاعتك أن تدفع بالكم لاعلى لكى تتمكن من غسل يديك وبعدئذ يمكن للزمبرك أن يعود الى المكان الذى كان عليه » • ثم تفحص وجه ارنست عن كثب •

وكانت عينا ارنست شبه مغلقتين فى تفكير • وتساءل :

« ولكن ما هو الشكل الذى سيكون عليه ؟ ولابد أن يكون زمبرك من الصلب والا فانه لن يدوم طويلا » •

فقال المستر برتشارد فى شغف « لقد فكرت فى تلك النقطة جيدا فبالنسبة للوحدات الرخيصة يمكنك طلاء الزمبرك بالذهب أو الفضة أما بالنسبة للوحدات الغالية الثمن مثل الذهب أو البلاتين فاننا نستخدم أنبوبة بدلا من الشريط المعدنى ، وعندما يكون الزر عند معصمك يكون الزمبرك الصغير قد اختفى فى الانبوبة تماما » •

وأومأ ارنست برأسه فى بطء وقال « نعم • نعم يا سيدى • ويبدو أن الفكرة جيدة الى حد ما » •

فقال المستر برتشارد « يمكنك أن تأخذ هذه الفكرة ، أننى أهبك هذه الفكرة لتصنع منها أى شىء تريده » •

فقال ارنست « ان شركتى تركز على نوع مختلف من البدع

والاعاجيب . ولكن ربما ـ أستطيع أن أحدثهم عن هـــذه الفكـــرة . فأفضل الاشياء التي تباع ، للرجال في العالم هي : شفرات الحلاقة أو ماكينات الحلاقة والاقلام وأقلام الرصاص والمجوهرات الشخصية فالشخص الذي لا يكتب خمسة سطور في السنة عنده الاستعداد لان يشتري قلم حبر به خدعة بسعر يصـــل الى ١٥ دولارا في أي يوم من الايام . والمجوهرات ؟ نعم يا سيدي أن الفكرة قد تنفع وتأتي بالنتيجة المرجوة . ماذا تريد أن تحصل من ورائها اذا اعتقدوا أنها فكرة جيدة ؟

فقال المستر برتشارد « لا شيء . لا شيء على الاطلاق . انني أهب الفكرة لك . فأنا أحب أن أساعد أي زميل شاب صاعد في الحياة » . وكان قد أخذ يشعر بالتحسن مرة أخرى . ولكن فلنفرض أن الفكرة نجحت وشقت طريقها . وهو الذي ابتكر الفكرة أصلا . فلنفرض أنها ربحت مليون دولار . فلنفرض ـ ولكنه قد أعطى وعدا وهو عند وعده وهي كلمة شرف قالها ولن يتراجع عنها . واذا أراد أرنست أن يعبر عن امتنانه وتقديره فذلك أمر متروك له . وكرر قائلا : « انني لاأريد أي شيء » .

« حسنا ، ذلك شيء لطيف منك للغاية » وأخرج ارنست مفكـــرة صغيرة من جيبه وكتب بضع كلمات ثم نزع الصفحة التي كتب عليها . وقال « يتعين علي في أمور كهذه أن أحصل على تنازل عن الحقـــوق . واذا كان عندك وقت فراغ أثناء وجودك في هوليود فلربما تتمكن من الاتصـــــال بي وزيارتي حيث يمكننـــــا أن نتحـــدث ســـويا في بعض الأعمال التجارية ، فلربما نتمكن من القيام ببعض الأعمال » . وارتخت عينه اليسرى بعض الشيء عندما قال تلك العبارة وبعدئذ استدارت عيناه واستقرت للحظة على المدام برتشـــارد . ثم مرر قصـــاصة الورق الى المستر برتشـــارد وقال : « آلوهاأرمز ، همبستيد ـ ٣٢٥٥ شقة رقم ١٢ ب » .

فاحمر وجه المستر برتشارد قليلا ، وأخرج حافظته ووضـــع فيها القصاصة ، ودفع بالقصاصة بعيدا الى الداخل في مؤخـــرة الفتحة الضيقة ، وهو لم يكن في الحقيقة بحاجة للاحتفاظ بهـــا ، كان باستطاعته أن يلقي بها بعيدا مع أول فرصة تلوح له لأنه كان يتمتع بذاكرة قوية ، وقد تمضي سنوات قبل أن ينسى رقم التليفون هذا ، فقد اشتغل الجهاز في عقله ، ذلك الجهـــاز القديم الموجـــود في عقله ، ثلاثة + اثنين = خمسة وكرر ، أما بالنسبة للهمبســـتيد **Hempstead** فكلمة همب **Hemp** معناها الحبل ، الحبل الرخيص الأصفر وأنت لا يمكنك أن تستخدم أي شيء بدلا من الحبل ، فقـــد كان

يستخدم مئات من الحيل التى تعينه على التذكر على ذلك النحو ، حبل أصفر ، حبل أشقر ، وتلهفت أصابعه لالقاء القصاصة بعيداً ، اذ كانت برنيس تفتش أحيانا فى حافظته بحثا عن التغييرات التى قد تطرأ ، وكان هو يشجعها على أن تفعل ذلك ، ولكنه شعر بالمخاطر فى معدته ــ الشعور التعس بانه قد سمى لصا .

وقال لزوجته « اتشعرين بانك على مايرام يافتاتى الصغيرة ؟ » فقالت « نعم ، اظن اننى كافحت لأبعد الصداع عنى . قلت فقط لنفسى « لن ادع الصداع يجيىء ، لن ادعه يتدخل فى شئون أجازة حبيبى » .

وقال المستر برتشارد « اننى مسرور لذلك » واستطردت هى قائلة « وياعزيزى كيف يتسنى لكم أيها الرجال الحصول على مثل هذه الأفكار ؟ »

فقال « أوه ، الأفكار هى التى تجيىء للانسان ، فهذا القميص الجديد ذو العروات الصغيرة هو السبب فى ظهور هذه الفكرة ، فمنذ أيام قليلة أوقعنى فى الشرك حتى كنت على وشك أن أطلب المساعدة »

وابتسمت ، وقالت : اظن أنك لطيف للغاية » فتطاول عليها ووضع يده على ركبتها واعتصر ساقها فصفعت يده فى مداعبة وعندئذ رفع يده على الفور .

وأدارت نورما رأسها الى الحد الذى جعل فمها قريبا من اذن كاميل ، وتحدثت بصوت منخفض بقدر المستطاع لأنها كانت تعرف أن بيميلز يحاول استرقاق السمع ، كانت مدركة لنظراته المحملقة وكانت بشكل ما مسرورة من ذلك فهى لم يسبق لها أن شعرت بالثقة فى نفسها طوال حياتها مثلما كانت الآن .

وقالت « اننى لم يكن لى فى الحقيقة أية أسرة بالمعنى الذى تعرفينه عن الأسرة » ، لقد كانت توقع نفسها وتكشف أمورها أمام كاميل ، وكانت تشرح ظروف حياتها وتلقى بالمعلومات عن حياتها ، كانت تريد أن تعرف كاميل كل شيء عنها : طريقة حياتها قبل هذا الصباح والطريقة التى كانت عليها بعد هذا الصباح ، فذلك من شأنه أن يجعل من كاميل بمثابة أسرة لها ومن شأنه أن يربط هذه المخلوقة الجميلة الواثقة من نفسها بها .

وقالت « عندما تكونين وحيدة فانك تفعلين مثل هذه الأمور الغريبة ، فقد اعتدت أن أكذب على الناس ، وقد ادعى أشياء وأفعل أشياء كأنها حقيقة واقعة ، أتعرفين ما الذى قد أفعله ؟ اننى قد أصور لنفسى أننى زوجة لنجم سينمائى معين »

لقد أفلت منها الزمام ، اذ لم تكن تقصد أن تذهب فى الحديث

الى هذا الحد ، فاحمر وجهها خجلا ، ما كان ينبغى عليها أن تقول ذلك ، اذ كان هذا نوعا من الهبوط بمستوى المستر جيبل ، ولكنها قامت بفحص هذا وتمحيصه واكتشفت أن الأمر لم يكن كذلك ، اذ اكتشفت أن مشاعرها تجاه المستر جيبل لم تكن هى نفس المشاعر التى كانت تكنها له من قبل ، اذ تحولت مشاعرها الى كاميل ، وكانت صدمة لها عندما تحققت من ذلك ، وتساءلت عما اذا كان مزاجها يتعرض للتغييرات دون سبب واضح .

وفسرت السبب فى ذلك « عندما لا يكون للمرء أسرة أو أصدقاء فانه يوجدهم فى خياله بسبب تعذر حصوله عليهم فى الحياة الواقعية . ولكننا الآن لو استطعنا الحصول على شقة نسكنها سويا فلن أصنع أى شىء من محض الخيال » .

وأدارت كاميل وجهها بعيداً لكي لا تشاهد التعرى فى عينى نورما ، لكى لا ترى ما هى عليه من انعدام الحيلة والعجز التام ، وراحت كاميل تفكر « أوه ، ياالهى ، لأى شىء أدخلت أنا نفسى فى هذه الورطة ؟ لقد وقعت مع طفلة صغيرة ، لقد اندفعت وتورطت فى هذا ، كيف حدث هذا الأمر ؟ اننى مضطرة لأن أقوم على رعايتها واعيش الحياة التى تتلاءم معها ، ولربما يسبب لى هذا بعد فترة وجيزة الضيق والمتاعب ، سأكون قد قطعت شوطا طويلا معها بحيث يصعب على الخروج من هذه الورطة . آه . لو أن لورين تخلصت من رجل الاعلانات ذلك بحيث نتمكن من الحياة سويا مرة أخرى ، ماذا أنا فاعلة مع هذه الفتاة ؟ كيف بدأت العلاقة معها ؟ كيف بحق الجحيم تورطت فى هذا ؟ » .

والتفتت نحو نورما وقالت لها فى وضوح قاطع : « اسمعى ، ياحبيبتى ، اننى لم أقل اننا سنفعل ذلك ، ولكنى قلت باننا سنرى كيف تسير الأمور ، كما أن هناك أمورا كثيرة لا تعرفينها عنى ، منها مثلا اننى مخطوبة وبصدد الزواج ، ومن رأى خطيبى أن يتم الزواج فى وقت قريب بعض الشىء ، فلو أراد هو أن يتم ذلك الآن فاننى لن اتمكن من الاستمرار معك »

ورأت كاميل اليأس يدب فى عينى نورما مثل الرعب البارد ، وشاهدت تهدل خديها وفمها ، ورأت كيف أن عضلات كتفيها وذراعيها اخذت فى الانهيار ، وقالت كاميل لنفسها « يمكننى الحصول على غرفة فى المدينة القادمة واختبىء فيها الى أن تضيع منى هذه الفتاة ، ويمكننى أن أجبرها على أن تذهب بعيدا وتتركنى وشأنى ، ويمكننى ــ أوه ، أيها السيد المسيح ، كيف سمحت لنفسى بالوقوع

فى هذه الورطة ؟ اننى فى غاية الارهاق والتعب ، اننى بحاجة لأن آخذ حماما ساخنا »

ثم قالت بصوت مرتفع « لا تأخذى الامور بمثل هذه الصعوبة ياحبيبتى ، فلربما لا يكون خطيبى مستعدا ، ولربما تسير الأمور على النحو الذى تريدينه ياحبيبتى ، اننا سنرى كيف تسير الأمور »

وأطبقت نورما على شفتيها بشدة واغمضت عينيها بعض الشىء . وراح رأسها يهتز مع اهتزازات الاوتوبيس ، ولم ترغب كاميل فى النظر اليها ، وبعد فترة من الوقت استطاعت نورما أن تسيطر على مشاعرها ، وقالت فى هدوء : « ربما أنت خجولة منى ، لن ألومك على ذلك ، فأنا مجرد خادمة . ولكنك لو قمت بتعليمى فلربما اتمكن من أن أصبح ممرضة للأسنان مثلك . فباستطاعتي أن أدرس طوال الليالى وأعمل فى نفس الوقت كخادمة فى النهار ، ولكننى أستطيع تحقيق ذلك . وعندئذ لن تشعرى بالخجل منى ، لن تجدى مشقة كبرى فى مساعدتى » .

وشعرت كاميل بموجة عارمة من الغثيان فى معدتها : « أوه ، الله قدير على كل شىء ، اننى الآن فى ورطة حقيقية ، ماذا اقول لها؟ أأقول لها كذبة أخرى ؟ هل من الأفضل أن أقول لهذه الفتاة بكل صراحة الأعمال التى افعلها لكى أكسب قوت يومى ؟ أو أن ذلك من شأنه أن يجعل الامور تزداد سوءا ؟ فذلك قد يسبب لها صدمة تجعلها غير راغبة فى اتخاذى صديقة لها ، ربما يكون ذلك هو افضل اجراء ، لا ، أظن أن أفضل الحلول هو مجرد أن أفقدها فى الزحام » .

وكانت نورما تقول « أحب أن أحصل على ما تسمينه بالوظيفة التى تتطلب من الانسان الذى يشغلها قدراً من الاحترام والوقار مثلك ؟ »

فقالت كاميل فى يأس « انظرى ياحبيبتى ، اننى مرهقة للغاية حتى اننى لا أقوى على مجرد التفكير ، فأنا على سفر منذ أيام وبلغت حداً من الاعياء جعلنى غير قادرة على التفكير فى أى شىء ، اننا سنرى فقط كيف تسير الأمور » .

وقالت نورما « أننى آسفة ، لقد شعرت بمجرد الاثارة فنسيت نفسى ، ولن أتكلم فى هذا الامر بعد ذلك ، اننا سنرى كيف تسير الأمور » .

وقالت كاميل « نعم . سنرى كيف تسير الأمور » ، واهتز الأتوبيس متوقفا ، لقد كانوا يقتربون آنئذ من سفوح الجبال ، وكانت موجات عظيمة من الأراضى الخضراء تبدو معتمة المنظر من خلال الأمطار ، ونهض جوان بعض الشىء لينظر لأسفل نحو مجرى

الطريق ، فشاهد حفرة على الطريق . حفـــرة مليئة بالمياه ولا توحي بمدى عمقها ، ربما يختفى فيها الأتوبيس تماما اذا وقع فيهـــا . فنظر بسرعة الى العذراء وقال لها هامسا : « هل لى أن آخـــذ فرصتى ؟ » وكانت عجلات اتوبيسه عند حافة بركة المياه ، وابتسم ، ووضع الأتوبيس فى حالة التعشيق المعكوس وتراجع به للخلف لمسافة ٢٠ قدما .

فقال فان برانت « هل ستحاول الخوض فيها ؟ انك ستغرز فى الوحل . »

وتحركت شفتا جوان فى صمت وهمس قائلا : « يا صـــديقى العزيز لو كنت فقط تدرى ، لو كان جميع الباقين منكم يدركون » ، ووضع الأتوبيس على السرعة الأولى وجرى نحو بركة الماء فتدافعت المياه بعيدا فى صـــوت كالفحيح . ودخلت العجـــلات الخلفية الى الحفرة ، وانزلق الأتوبيس وغاص وراحت العجلات الخلفيـــة تلف وتدور وأخذ الموتور يزأر ، ودفعت العجلات الآخـــذة فى الدوران جســـد الاتوبيس المليء بالطنين والازيز عبر البركة فى بطء ودفعته فى انزلاق نحو الجـانب الاخر ، ووضع جوان التروس على التعشـيق الثانى ، وزحف .

وقال من فوق كتفه موجها الكلام لفان برانت « كان ينبغى أن يكون هذا ممزوجا بالحصى الصغير » ، فقـــال فان برانت فى تشاؤم « حسنا ، عليك بالانتظار لحين البدء فى صعود التل » .

فقال جوان « انك تضع أشياء كثيرة فى الطريق أمام الرجل الذى يريد أن يشق سبيله » .

وبدا الطـريق فى الصعود ولم تعد المياه تعترض سبيله ، وكانت الحفر على طول الجوانب تجرى بالمياه ، وانزلقت عجلات الدفـــع الخاصة بالاتوبيس ومخضت فى العجيج ، وعرف جوان فجأة ماالذى سيفعله اذا ارتطم الأتوبيس ، انه كان قد وضع فى خطته ان يذهب الى لوس أنجلوس ويحصل على عمل كسائق لعربة لورى ولكنـــه لن يفعل ذلك ، انه يحمل فى جيبه خمسين دولارا من أجل الانفـاق على اصـلاح الاتوبيس اذا تعطل فجـــأة ، وقد يكون ذلك المبلغ كافيا ، فهو قد يسير بعيدا ولكن ليس لمسافة بعيدة للغاية . وهو قد يحتمى تحت مكان مغطى مسقوف لحين توقف الامطار بل وربما ينام فى مكان ما ، أما بالنسبة للطعام فيمكنه أن يأخذ واحدة من تلك القطائر ، وبعد أن يحصل على قدر من الراحة يسير على الطـــريق الرئيسى ويستقل احدى السيارات وذلك بالتوسل الى سائقها ثم ينتظـــر بعدئذ عند احدى محطات خدمة السيارات الى آن يلتقطه اى شخص

ثم بعد ذلك يشير لاحدى السيارات بابهامه لكى تتوقف وتوصله الى سان دياجو ، وعندئذ يذهب عبر الحدود الى تيجوانا ، وقد يكون الجو لطيفا هناك وقد ينام على الشاطىء ليومين أو ثلاثة أيام ، ولن يضايقه رجال الحدود هناك ، فهو على هذا الجانب يقول لهم انه أمريكى وعلى الجانب الاخر يقول لهم أنه مكسيكى .

وعندما يكون مستعدا بعدئذ فانه قد يخرج من المدينة وربما يركب مواصلة أو قد يسير فقط عبر التلال وبجوار الجداول الصغيرة ربما لمسافة بعيدة تصل الى سانتو توماس وهناك قد ينتظر لحين وصول عربة البريد وربما فى سانتو توماس يشترى قدراً من الخمور ثم يدفع أجرة الركوب فى عربة البريد وبعدئذ قد يذهب جنوبا الى شبه الجزيرة عن طريق سان كوينتين مارا بخليج بالبناس ، وقد يستغرق ذلك اسبوعين عبر الصخور والصحراء التى تكثر بها النباتات الشوكية وبعدئذ يعبرها الى لاباز ، ويجب عليه أن يحرص على أن تتبقى بعض الأموال معه ، فهو فى لاباز قد يستقل قاربا ليمر به عبر الخليج الى جوايماس أو مازاتلان بل وحتى الى أكابالكو ، وهو قد يجد فى أى مكان من تلك الاماكن سياحا ، وعددهم فى أكابالكو يفوق عددهم فى جوايماس أو فى مازلتان ، وطالما أن هناك سياحاً يتخبطون فيما حولهم فى استخدامات اللغة الاسبانية فى دولة اجنبية فسيكون جوان على مايرام ، وهو قد يشق طريقه تدريجيا حتى يصل الى مكسيكو سيتى حيث يوجد بها السياح الحقيقيون ، وهناك يمكنه العمل فى مجال ارشاد السياح الأجانب والرحلات السياحية وتوجد طرق عديدة للحصول على النقود ، وهو لن يحتاج الكثير منها :.

وضحك لنفسه فى فتور ، لماذا بحق السماء قد لازم هذا المكان طوال تلك الفترة ، وكان حرا طليقا ، كان باستطاعته أن يفعل أى شىء يطيب له ، وليدعهم يبحثون عنه ، وهو قد يرى تعليقا صحفيا عما حدث مكتوبا فى صحف لوس انجلوس ، وقد يظنون أنه مات وقد يقومون بالبحث عن جثته ، وآليس قد تقيم الدنيا وتقعدها لبعض الوقت ، وقد يعطيها هذا احساسا هائلا بالاهمية ، انه باستطاعة عدد كبير من الناس فى المكسيك أن يطبخون الفول والبقول ، وهو قد يضطجع مع واحدة من تلك النساء الامريكيات فى مكسيكو سيتى اللائى يفشن هناك للتهرب من دفع الضرائب ، وكان جوان يدرك أن منظره يجذب النساء بما فيه الكفاية اذا ما توفر لديه عدد قليل من الحلل المناسبة . لماذا بحق الجحيم لم يعد الى بلاده من قبل ؟ .

وكان باستطاعته أن يشم رائحة المكسيك فى أنفه ، ولم يستطع ان يفكر فى السبب الذى جعله لم يفعل ذلك من قبل ، وما العمل بالنسبة للمسافرين ؟ فليدعهم يعتنون بأنفسهم ، فهم لم يبتعدوا كثيرا عن الطريق الموصوف لقد اعتادوا كثيرا على القاء متاعبهم على كواهل الناس الآخرين حتى انهم نسوا كيف يعتنون بأنفسهم ، وقد يكون فى هذا الاجراء منفعة لهم . وكان باستطاعة جوان ان يعتنى بنفسه ، وهو كان بصدد البدء فى الاعتناء بنفسه بالفعل ، اذ كان يعيش حياة سخيفة تتمثل فى نقل الفطائر من مدينة لآخرى ، حسنا ، لقد انتهى كل ذلك .

ونظر لأعلى فى خفية نحو الجودالويانا . وقال فى همس « سأحافظ على وعدى ، سأعبر بهم الطريق اذا كنت تريدين منى ذلك ، ولكن حتى بعد أن أوصلهم الى أهدافهم فانى قد أسير بعيدا » .

وأستغرق ذهنه فى مشاهد عن تلال منطقة كاليفورنيا السفلى التى تغمرها الشمس الحارقة وعن الحرارة اللاسعة فى سونورا وهواء الصباح البارد فوق هضبة المكسيك الممزوج برائحة حزم الصنوبر فى الاكواخ ورائحة القشار الناتج عن تحمير الكعك المكسيكى المصنوع من القمح ، وهبط عليه الحنين للوطن كشىء يشبه الاثارة اللذيذة ، مذاق البرتقال الطازج وحرقان الفلفل الاحمر الحار ، ماذا كان يفعل فى هذه الدولة بعيدا عن وطنه ؟ انه لم يكن ينتمى للمنطقة هنا .

ودارت عجلة السنين للخلف ، فرأى وسمع وشم رائحة مكسيكو سيتى فوق الطريق الريفى المليىء بالاوحال والطين ، كما سمع أصوات الحديث السريع والثرثرة فى الاسواق وصياح الببغاوات فى الحدائق وشجار الخنازير فى الشوارع وشاهد الازهار والاسماك الباب والفتيات السمروات الصغيرات اللائى ترتدين ملابسهن الزرقاء المتواضعة التى تسمى ملابس « الريبوزو » ، وقد أدهشه انه كان قد نسى كل ذلك لفترة طويلة ، وتعجب من ذلك الفخ المجنون الذى أبقاه أسيرا فى أمريكا ، وشعر فجأة بنفاد الصبر والتلهف على الذهاب بعيدا لماذا لم يضغط فقط بطريقة فجائية عنيفة على الفرامل ويفتح الباب ويسير بعيدا تحت وابل المطر عندئذ كان سيشاهد وجوههم الغبية وهى تنظر خلفه ويسمع تعليقاتهم الغاضبة الهائجة .

ونظر مرة أخرى الى العذراء وهمس « سأكون عند وعدى » سأجتاز الطريق اذا استطعت لذلك سبيلا » وشعر بالعجلات تنزلق فى الوحل وابتسم لعذراء جادالوب .

وكان النهر يقترب من التلال الآن ؟ جالبا معه اشجار الصفصاف

التى توضح حدوده ، وكان الطريق يروغ من جانب لآخــــر بعيداً عن النهر ، وكان المطر قد أخذ يتضاءل تدريجيا ، ومن الطريق استطاع المسافرون أن يشاهدوا المياه ذات اللون الأصفر الفــاتح وهى تدور فى حوض النهر العريض جاذبة خطوطا من الزبد القــذر فى طبقات ملتوية . وأبى الامام كان الطريق يصعد الى فوق التل ، وعند القمة كانت توجد شريحة من الصخور الصفراء اللون ، وكان الطريق يجرى أمامها ، وعند نفس قمة الشريحة الصفراء كانت توجد كلمة واحدة مكتوبة بحروف غير واضحة « التوبة **Repent** » ولابـد أن أحد الناس المتهورين المتحمسين قد تكبد المشاق الخطيرة الى أن كتبها هنالك بالطلاء الأسود . ومع مرور السنين والأيام أصـــبحت حروف هذه الكلمة غير واضحة .

وفى الصخرة المتكونة من الحجر الرملى كانت توجد كهـــوف صنعتها الرياح وحفرتها الحيوانات ، وكانت تلك الكهوف تبـــدو كالعيون السوداء التى تحملق وتطل من الصخرة الصفراء .

وكانت الأسوار هنا قوية بعض الشىء ، وبين الأعشاب المنتشرة فوق المرتفعات كانت الأبقار الحمراء تقف داكنة ومبللة بينما بعضها قد ولدت بالفعل عجلاتها الصغيرة التى تولد عادة فى فصل الربيع ، وأدارت الابقار الحمراء رءوسها فى بطء وراحت ترقب الاتوبيس وهو يطحن الارض بالقرب منها وجرت بقرة واحدة عجوز بلهاء بعيدا فى فزع وهلع وراحت تركل برجليها وتقفز لأعلى كما لو كان ذلك سيبعد الأتوبيس عنها .

وكان مجرى الطريق قد تغير ، اذ بدأ الحصى يظهر فوق الطريق مما جعل الأتوبيس يسير بشكل أفضل ، وراح الأتوبيس يضرب ويهتز فوق الحصى المغطى بمياه الأمطار بدون أن تنزلق العجلات ، فنظر جوان بعين الشك الى العذراء ، أكانت تخدعه ؟ هل ســتمهد له الطريق وتجبره على أن ينفذ الوعد الذى أخذه على نفسه ؟ ستكون لعبة قذرة وخدعة غير مقبولة ، وبدون اشارة من السماء لم يعرف جوان ماذا يفعل ، واتخذ الطريق انحناءة طويلة حول مزرعة قديمة وبعدئذ تصاعد فى اتجاه الصخرة فى جد وتصميم .

وضع جوان الاتوبيس على السرعة المنخفضة مرة أخرى فخرجت كمية من البخار من أنبوبة الانسياب وتكومت أمام خزان التبريد ، وكانت المنطقة العليا على الطريق تقع مباشرة أمام الصـــخرة ذات الكهوف المظلمة ، وزاد جوان من سرعة موتوره وهو يكاد يكون غاضبا ، فتناثر الحصى من تحت العجلات ، وكان يوجد مكان به حفـــرة

محشوة ومسدودة بحيث كانت المياه واعالي التربة تنساب منهـــا عبر الطريق ، فزاد جوان من سرعته في اتجاه هذه الحفرة السوداء فعبرت عليها العجلات الأمامية للأتوبيس اما العجلات الخلفية فراحت تدور وتلف في الوحل والطين بدون جدوى ، وتحركت نهاية المؤخرة في التواء ودارت العجلات واستقر طرف المؤخرة في الحفرة .

فظهرت على وجه جوان ابتسامة متوحشة ، وزاد من سرعة موتوره فحفرت العجلات الى مسافات أعمق وأعمق ، وعكس جوان اتجاه الأتوبيس وأدار عجلاته فحفرت العجلات في دورانها حفـــرا لنفسها واستقر الدفرنسيه على الأرض ، وأبطـــأ جوان من سرعة موتوره ، واستطاع جوان أن يرى بيميلز في المرآة الداخلية للاتوبيس ناظرا اليه في دهشة .

وكان جوان قد نسى أن بيميلز قد يعرف ، وكان فم بيميلـــز مفتوحا ، اذ كانت معلومات جوان في القيادة أفضل من ذلك ، فانت عندما تجيء الى مكان رخو لا تجعل العجلات تلف وتدور . واستطاع جوان أن يرى التساؤلات في عيني بيميلز . لماذا فعل هو ذلك ؟ انه ليس غبيا الى هذا الحد ، وتلاقى مع عيني بيميلز في المرآة ، وكل ما تراءى له هو أن يغمز له بعينه بطريقة سرية .. ولكنه شاهد نوعا من الارتياح يهبط على وجه بيميلز ، لو كانت تلك خطة فلا مانـــع عنده من ذلك ، لو كان هنـــاك شيء وراء هذا العمل فلا مانع لدى بيميلز ، وبعدئذ خطر على ذهن بيميلز فكرة مخيفة ، فلنفـــرض أن كاميل هي الهدف من وراء ذلك ، لو كان جوان يرغب في كاميـــل لن يكون لبيميلز فرصة مع كاميل . فهو لم يكن ليتنافس مع جوان .

وكان الاتوبيس يقف بزاوية حادة ، كانت عجلاته الخلفيـــة مدفونة وطرفه الأمامي يقف عاليا فوق الطـــريق ، كان الأتوبيس « حبيبة القلب » في وقفته يشبه البقة العرجاء ، ثم حل وجه فان برانت محل وجه بيميلز في المرآة ، كان فان برانت أحمر اللون غاضبا وقطع أصبعه البادى العظام الهواء تحت أنف جوان .

وصاح « اذن فقد عملتها وحجزتنا هنا ومنعتنا من الوصـــول لاعمالنا . كنت أعرف انك ستعملها ، قسما بالله كنت أعرف انك ستعملها !! كيف يتسنى لي الآن الذهاب الى دار القضاء ؟ كيف ستتمكن من اخراجنا من هذه الورطة ؟

وبظهر يده ألقى جوان بأصبع فان برانت جانبا ، وقال « ابعد اصبعك عن وجهي ، انني مشمئز منك ، والآن ارجع الى مقعدك »

وترنحت عينا فان برانت الغاضبتين ، وأدرك فجأة أن هذا الرجل كان فاقد السيطرة على نفسه ، اذ لم يكن خائفا من لجنة الســكك

الحديدية أو من أى شخص ، وتراجع فان برانت بعض الشيء وجلس فوق المقعد المائل بزاوية .

وادار جوان مفتاح التشغيل الى اليسار فتوقف الموتور تماما ، وكان المطر يطقطق ويفرقع على سطح الاتوبيس ، وطرق جوان براحتى يديه على عجلة القيادة لفترة قصيرة ثم استدار فى مقعده وواجه المسافرين قائلاً « حسنا ، ان ذلك ينهى الموقف » .

وحملقوا فى اتجاهه وقد صدموا من هول المفاجأة ، وقال المستر برتشارد فى هدوء « الا يمكنك اخراجنا من هذه الوهدة ؟ » .

فقال جوان « اننى لم ألق نظرة للآن » .

« ولكن يبدو لى أننا على عمق بعض الشيء ، ماذا أنت فاعل ؟ »

فقال جوان « لست أدرى » وأراد أن يرى وجه ارنست هورتون ليرى ما اذا كان قد عرف أن المسألة قد تمت عمداً ، ولكن ارنست كان متواريا خلف نورما ، ولم تظهر كاميل أى انفعالات على الاطلاق ، فهى قد انتظرت لفترات طويلة للغاية بحيث لم تعد تشعر أنها نافذة الصبر .

وقال جوان « أجلسوا فى ثبات » وجذب نفسه معتدلاً داخل الاتوبيس المائل بزاوية بسبب وقوفه على مؤخرته ودفع بعتلة الباب ، وأحدث القفل الخاص بالباب صوتا كالتكتكة ولكن الباب مغلقا بواسطة الزمبرك ولم يفتح ، فوقف جوان ووضع قدمه على الباب ودفعه فانفتح ، واستطاعوا أن يسمعوا حفيف المطر على الطريق وعلى الأعشاب ، وخطى جوان خارجا الى المطر وسار نحو مؤخرة الاتوبيس ، وشعر بالمطر باردا فوق رأسه .

لقد أدى عملا متقنا ، وربما يتطلب الأمر استخدام عربة جذب الحطام بل واستخدام جرار لكى يخرج الاتوبيس من وهدته ، وانحنى لأسفل ونظر تحت الاتوبيس ليفحص شيئا كان يعرفه من قبل ، اذ كانت محاور العجل والدفرنسييه راقدة على الأرض ، ومن خلال النوافذ المغلقة كان المسافرون ينظرون للخارج بوجوههم المعوجة بسبب الزجاج المبلل بالمطر ، واعتدل جوان فى وقفته وتسلق عائدا للاتوبيس .

« حسنا ، أيها الناس ، أظن أنكم ستضطرون فقط للانتظار ، اننى آسف ، ولا تنسوا أنكم جميعا أردتم أن تسلكوا هذا الطريق » .

فقال فان برانت « أنا لم أرد ذلك »

فالتفت جوان نحوه وقال « لعن الله ذلك ، أخرج نفسك من هذا الموضوع ، لا تدفع بى للجنون ، اننى الآن على وشك الجنون » وأدرك فان برانت أن جوان كان يقصد ما يقول . فنظر لأسفل

نحو يديه وضغط على بشرته المتحركة فوق مفاصل أصول الأصابع وحك يده اليسرى مع يده اليمنى ، وجلس جوان بالعرض فى مقعد القيادة ، ورفرفت عيناه فوق العذراء ، وأسر بأفكاره اليها « وهو كذلك ، اذن فأنا لجأت للغش والخداع بقدر ضئيل ، ليس بقـــدر كبير وانما بقدر ضئيل ، واظن أن عندك الآن من المبررات ما يدعك تجعلين الأمر غير مريح بالنسبة لى بعض الشىء » ، ثم قال بصوت مرتفع « انني مضطر فقط للسير للامام لكى أتصل تليفونيا وأبلغ عن تحطم السيارة ، ساطلب منهم أن يرسلوا سيارة تاكسى لكم أيها الناس ولن يستغرق ذلك وقتا طويلا للغاية » .

وتكلم فان برانت فى شىء من ضبط النفس « لا يوجد هنـــاك مكان على مسافة الأميال الأربعة القادمة ، وعلى مسافة ميل واحد يوجد منزل هاوكنز القديم ولكنه يقف خاويا لا يسكنه احد منذ ان استولى عليه بنك أمريكا ، وسيكون عليك أن تذهب الى طـــريق الولاية وهو على بعد أربعة أميال كاملة » .

وقال جوان « حسنا ، اذا كان على أن أذهب فينبغى أن أذهب ، ولن أحصل الا على تبليل نفسى بالماء تماما » .

واندفع بيميلز فى مشاعر الحب والصداقة وقال « ســـأذهب أنا ، أنت تبقى هنا . دعنى أذهب أنا »

، وقال جوان « لا ، انه يوم أجازتك » وضحك واستطرد قائلا « عليك فقط بالتمتع به ياكيت » ، ومد يده الى تابلوه الآلات وفتـــح صندوق القفاز بالمفتاح ثم فتح الباب الصغير وقال « يوجد هنـــا بعض الويسكى للطوارىء » .

وتوقف قليلا ، أينبغى عليه أن يأخذ المسدس — وهو مســدس جيد ماركة سميث وأسون عيار ٤٥ وله ماسورة ٦ بوصـــات ؟ قد يكون من العار أن يترك مسدسه ، ولكنه اذا أخذه معه فقد يسبب له ذلك المتاعب أيضا ، فلو وقع فى أى نوع من المتاعب ســـيكون المسدس فى غير صالحه . وقرر أن يترك المسدس : فاذا كان هـــو بصدد أن يترك زوجته فمن المؤكد أن باستطاعته أن يترك مسدسه ، وقال فى استخفاف « اذا تعرضتم لهجوم النمور فيوجد هنا مسدس »

وقالت كاميل « أنا جائعة »

وابتسم لها جوان وقال « خذى هذه المفاتيح وافتحى الحقيبـــة الخلفية للاتوبيس ، فهناك توجد كمية من الفطائر » وابتسم لبيميلز وقال « لا تأكل جميع الفطائر يابنى . والآن عليك بالانتظار هنا فى الاتوبيس أو يمكنك اخراج القماش المشمع من الخلف وتضعه على الأرض فى تلك الكهوف اذا أردت ذلك ، بل وفى استطاعتك أن تشعل

ناراً في داخل الكهوف اذا وجدت أي اخشاب جافة ، وسأعمل على ارسال سيارة لكم بأسرع ما يمكن » .

وقال بيميلز « أود أن أذهب أنا بدلا منك » فقال جوان « لا ، عليك بالبقاء هنا ومراعاة الأشياء والانتباه لها » ، وشاهد وميضا من السرور والابتهاج على وجه بيميلز ، وزرر جوان جاكتته باحكام فوق صدره وقال « عليكم فقط بالالتزام بالهدوء والاحجام عن اى عمل » ثم هبط الدرج خارجا من الاتوبيس .

ونزل بيميلز هابطا وراءه ، وتبع جوان خطوات قليلة الى أن التفت جوان ووقف في انتظاره ، فقال بيميلز في أدب جم « مستر شيكوى ، ما الذى خطر على ذهنك ؟ »

« على ذهنى أنا ؟ »

« نعم ، انك ــ حسنا ، انك أدرت العجلات »

فوضع جوان يده على كتف بيميلز وقال « اسمع يا كينت ، سأخبرك بالأمر في وقت ما ، عليك فقط بالبقاء هنا تنفيذا لرغبتى ، ممكن ؟ »

« حسنا ، أكيد يامستر شيكوى ، ولكني فقط أود أن أعرف السبب » .

فقال جوان « سأخبرك بكل شيء عن هذا الموضوع عندما تتاح لنا فرصة للانفراد قليلا مع بعض ، عليك فقط أن تحول دون اقتتال هؤلاء الناس مع بعضهم البعض لفترة وجيزة ، ممكن ؟ »

فقال بيميلز في قلق « حسنا ، بالتأكيد ، كم من الوقت فيما تظن سينقضى قبل أن تعود ؟ »

وقال جوان وقد بدا عليه نفاد الصبر « لست أدرى . كيف يمكن لى أن أخبرك بذلك . عليك أن تفعل ما أقوله لك » .

فقال بيميلز « أوه . اكيد . بالتأكيد »

وقال جوان « وعليك بتناول جميع الفطائر التى تريدها » « ولكن سيكون علينا أن ندفع ثمنها يامستر شيكوى » وقال جوان « أكيد » ثم سار خطوات مبتعدا على الطريق تحت المطر ، وكان يدرك أن بيميلز يتابعه بنظراته وكان يعرف أن بيميلز قد احس بشيء ما . وادرك بيميلز أن جوان بدأ يفر هاربا ، ولم يشعر جوان بالارتياح لذلك في تلك اللحظة ، اذ شعر أن مشاعره لم تكن على النحو الذى تخيله لها . ولم يبد على الموقف أن له طابع الخير أو السرور أو البهجة أو الحرية . فتوقف عن السير ونظر الى الخلف ، وكان بيميلز في تلك اللحظات يصعد داخلا الى الاتوبيس .

وكان الطريق يمر بالقرب من الصخرة ذات الكهوف الحجرية

المتاكلة ، اونحرف جوان عن الطريق ودخل الى ماوى الكهوف لبعض الوقت ، وكانت الكهوف ونتوءاتها اكبر مما كانت تبدو من الخارج، كما انها كانت جافة أيضا بعض الشيء ، وأمام المدخل المؤدى الى اكبر الكهوف كانت توجد ثلاثة احجار قد علاها السواد بفعل النيران وكانت توجد ايضا علبة مهشمة من الصفيح ، فقفل جوان راجعا الى الطريق واستمر فى المسير .

وكان المطر قد اخذ يتناقص تدريجيا ، وعلى يمينه أسفل التل إستطاع أن يرى المنحنى العظيم للنهر وكيف أنه كان يلف ويدور ويعود راسا عبر الوادى مخترقا المساحات الخضراء المبللة بمياه الأمطار . وكانت المنطقة كلها مبللة للغاية ، وكانت هناك رائحة صدأ تملأ الهواء ناجمة عن تخمر الجذوع السميكة الخضراء ، وكان الطريق أمامه بسيطا بفعل طرق الأمطار عليه لا بفعل عجلات السيارات ، اذ لم تمر عليه سيارات منذ فترة طويلة .

وأحنى جوان رأسه تحت المطر ، وزاد من سرعة مشيته . لم يكن الأمر حسنا للغاية ، وحاول أن يتذكر حرارة الشمس الشديدة فى المكسيك والفتيات الصغيرات فى ملابسهن « الريبوزو » الزرقاء ورائحة طهو واعداد الفول ، ولكن بدلا من ذلك ظهرت صورة آليس فى ذهنه . آليس وهى تنظر الى الخارج من الباب ذى الشاشات ، وتذكر غرفة النوم بستائرها المزدانة المزركشة بالازهار ، اذ كانت ترغب فى أن تبدو الأشياء جميلة ، كانت تحب الأشياء الجميلة . ومفرش السرير الذى أصبح مفرش أفغانستانى عملاق قد اشتغلت فيه بالابرة بنفسها فى شكل مربعات صغيرة ، ولا يوجد اثنان من المربعات من لون واحد، وهى قد قالت أن باستطاعتها الحصول على مائة دولار ثمنا له ، وهى قد حاكت كل قطعة فيه بنفسها .

ثم فكر فى الأشجار الضخمة ، وكيف أنه من الأمور اللطيفة أن يرقد فى بانيو مليىء بالماء الساخن فى غرفة الحمام وهى أول غرفة حمام أمكنه امتلاكها خارج الفنادق . وكانت هناك دائما قطعة من الصابون لها رائحة عطرية . فقال لنفسه « انها مجرد عادة لعينة . انها مجرد مصيدة لعينة ، انك تعتاد على شيء معين ثم تظن انك تحب هذا الشيء . أننى سأتغلب على هذا الأمر بنفس الطريقة التى اتغلب بها على الانفلونزا ، ومن المؤكد أن ذلك سيكون مؤلما بالنسبة لى . فسوف أشعر بالقلق على آليس والأسف عليها وسوف أتهم نفسى لكونى السبب فى ماحدث ، ولربما لا أستطيع أن أنام نوما هادئا . ولكننى سأتغلب على كل ذلك ، وبعد فترة وجيزة لن أفكر فى ذلك الأمر . فالمسألة لا تعدو أن تكون مجرد فخ لعين » ، ثم قفز أمامه

وجه بيميلز دافئا ومليئا بالثقة والاطمئنان « سأخبرك فيما بعد . سأخبرك بكل شيء عن هذا الموضوع ياكيت كارسون » ، فليس هناك عدد كبير من الناس ممن وثقوا في جوان بتلك الطريقة .

وحاول أن يفكر في البحيرة في « كابالا » فشاهد فوق مياهها الشاحبة الهادئة أتوبيسه « حبيبة القلب » وقد هبط نصفه لأسفل في الوحل .

والى الأمام أسفل التل من جهة اليسار وفي تجويف سفوح الجبال شاهد منزلا واستطبلا وطاحونة هواء ذات انصال مكسورة ومتدلية ، ربما كان ذلك هو المكان القديم التابع لال هاوكنز . وكان يفكر في تلك اللحظة في الترتيبات التي سيتخذها لنيل قسط من الراحة ، وفكر في الدخول الى المنزل ولكنه غير رأيه وفضل الدخول الى الاسطبل ، فالاسطبل القديم يكون عادة أكثر نظافة من المنزل القديم . فمن المؤكد ان الاسطبل يوجد به القليل من الاعشاب الجافة والقش بحيث يمكن لجوان أن يزحف الى هناك وينام . وهو قد لا يفكر في أي شيء ، وقد ينام الى أن يجيىء مثل هذا الوقت من اليوم التالى وبعدئذ قد يسير الى طريق الولاية هناك يصطاد سيارة لتوصيله . وماذا يهم المسافرين سواء بقى معهم أم لا ؟ « انهم لن يهلكوا . لن يتسبب ذلك في الحاق الضرر بهم على الاطلاق . بل سيكون ذلك شيء حسن بالنسبة لهم . ومع كل فذلك ليس من شأنى بأى حال من الاحوال » .

وأسرع الخطى هابطا التل ومتجها نحو مكان هاوكنز القديم . انهم قد يبحثون عنه . وقد تظن آليس أنه قد أغتيل وقد تستدعى العمدة لمساعدتها ، اذ لم يكن أحد يظن أنه قد هرب بهذه الطريقة . وذلك هو ما جعل الأمر نكتة لطيفة الى هذا الحد ، فلا أحد كان يظن أنه يمكن أن يفعل ذلك ، حسنا ، انه سيريهم ذلك ، فيصل الى سان دياجو ويعبر الحدود ويصطاد عربة البريد لتوصله الى لاياز . والربما تستدعى آليس رجال البوليس للبحث عنه .

وتوقف عن السير ونظر للخلف على الطريق ، لقد كانت آثار أقدامه على الأرض واضحة بما فيه الكفاية ، ولكن ربما تقوم الامطار بازالتها . اباستطاعته أن يخفى آثار أقدامه اذا ما أراد ذلك . وحاد عن الطريق متجها الى الداخل نحو منزل آل هاوكنز .

وكان المنزل القديم قد تحول الى أنقاض بسرعة كبيرة منذ ان هجرة سكانه ، اذ ان ذمرة من الصبية الجائلين قاموا بكسر النوافذ وسرقوا الانابيب المصنوعة من الرصاص ولحام الرصاص وسرعان ما تخبطت وتدافعت الأبواب مع بعضها البعض وانخلعت عن المفاصل

التي تمسك بها . وجذبت لأسفل أوراق الحوائط الداكنة القديمة تحت وطأة الرياح التي تسوقها الامطار فظهرت تحتها أوراق من الجرائد القديمة بها صور كاريكاتورية عتيقة : « الجد الماكر كالثعلب»، « نيمو الصغير » ، « الافاق السعيد » ، « براون المفلس المشاغب »
وكان الافاقون الجائلون قد وصلوا الى ذلك المكان وخلفوا وراءهم قمامتهم وزبالتهم وحرقوا اطارات الأبواب في المدفأة السوداء القديمة ، وكانت رائحة الهجر والرطوبة والمرارة تهيمن على المكان ، ونظر جوان الى المدخل ثم عبر الى الداخل وشم رائحة المنزل المهجور وخرج من الباب الخلفي متجها نحو الاسطبل .

وكان سور الحظيرة مهدما وكان الباب الضخم مخلوعا من مكانه ولكن الهواء كان متجددا في داخل الاسطبل ، وكانت مرابط الخيول مصقولة ولامعة في الاماكن التي تحك الخيول نفسها على الخشب، وكانت الاركان مليئة بخيوط العنكبوت ، وبين نوافذ السماد كانت صناديق الشموع بفرشاتها البالية ومحكات الخيول التي يعلوها الصدأ مازالت موجودة ، وفوق مشجب بجوار الباب كانت تتدلى ياقة قديمة وخطاف رقابية خاص بالخيول ومجموعة من الحبال والسلاسل التي تستخدم في جذب الأشياء ، وكان جلد الياقة مشقوقا وقد برز منها الحشو الداخلي .

ولم يكن للاسطبل « سندرة » . وكان الجزء الاوسط كله من الأسطبل قد استخدم في تخزين الدريس والحشائش الجافة ، وسار جوان حتى نهاية آخر مربط للخيول ، كان الجو معتما في الداخل، وكان ضوء السماء ينفذ من خلال الشروخ والكسور في السقف ، وكانت الأرضية مغطاة بقش قصير مكفهر اللون بفعل الزمن كما كانت مغطاة برائحة خفيفة من الزناخة والعفن . واستطاع جوان أن يسمع لدى وقوفه دون حراك في المدخل صراخ الفئران واستطاع أن يشم رائحة مستعمرات الفئران ، ومن فوق عرق خشب مائل من السقف كانت بومتان في لون الكريم تنظران لأسفل نحو جوان ثم أغلقتا عيونهما الصفراء مرة أخرى .

وكانت كمية الأمطار قد تناقصت حتى انه لم يعد هناك سوى رذاذ خفيف فوق السطح . وذهب جوان الى أحد الأركان في الاسطبل وازاح بقدمه طبقة علوية من القش مليئة بالأتربة ، وجلس ثم استلقى على ظهره ووضع يديه تحت رأسه . وكان الاسطبل يعج بأصوات سرية ضعيفة ولكن جوان كان يشعر بالتعب الشديد وكانت أعصابه تؤلمه وتوخزه وأحس بالوضاعة والامتهان وأنه ليس على ما يرام ، واعتقد أنه اذا استغرق في النوم فقد يشعر بالتحسن .

وهو منذ فترة قصيرة عندما كان متواجدا بالأتوبيس كان يشعر مقدما بمشاعر متفجرة من بهجة الحرية بلغت حد القمة ، ولكن الأمر لم يعد كذلك ، اذ أخذ يشعر بالتعاسة ، كان كتفاه يؤلمانه ، وما أن مدد جسده فى أسترخاء حتى شعر انه لا يميل للنوم . وسأل نفسه فى تعجب : « ألن اشعر أبدا بالسعادة ؟ الا يوجد هناك أى شيء أفعله ؟ » وحاول أن يتذكر لحظات السعادة التى مرت عليه فى الأزمنة الماضية والتى اتسمت بالبهجة الصافية التى لا تشوبها شائبة فقفزت الى ذهنه صور قليلة ضئيلة الأهمية ، كان هناك صباح فى وقت مبكر للغاية مع لفحة هواء بارد بينما الشمس تبزغ من وراء الجبال وطيور قليلة رمادية تحجل فى طريق موصل ، ولم يكن هناك مايدعو للبهجة والسرور الا أن البهجة كانت هناك فى داخل أعماقه .

وشيء آخر ، كان الوقت فى المساء ، وكان هناك حصان مشرق يحك عنقه الجميل على سور بينما طائر من نوع السمان يطلق أصواتا لجذب الانتباه علاوة على ترامى أصوات مياه متساقطة فى مكان ما ، وتلاحقت أنفاسه فى اثارة بمجرد أن تذكر ذلك .

شي آخر ، لقد ركب فى عربة كارو قديمة مع ابنة عمه ذات يوم ، وكانت أكبر منه سنا ، ولم يكن بمقدوره أن يتذكر الشكل الذى كانت عليه ، وجفل الحصان الذى يجر العربة لدى مشاهدته قطعة من الورق فسقطت ابنة عمه عليه ومدت يدها وهى تحاول أن تعتدل فى جلستها فلمست يدها ساقه فتفجرت البهجة فى معدته وتأجج ذهنه بالسعادة والمتعة .

وشيء آخر ، كان واقفا فى منتصف الليل فى كاتدرائية عظيمة معتمة بينما كانت هناك رائحة قوبال قوية غريبة تؤلم أنفه ، وكان يمسك فى يده شمعة صغيرة هزيلة مربوطة بها فيونكة حريرية بيضاء بشكل يغطى نصف المسافة لأعلى ، وجاءت همهمة الجمهور الحلوة بطريقة تشبه الحلم من مسافة بعيدة عند المحراب العالى ، وهنا اقتربت منه مشاعر النوم المحببة للنفس وهبطت عليه .

فارتخت عضلات جوان وأخذته سنة من النوم بين قش الاسطبل المهجور ، واحست الفئران المتهيبة خوفا بنومه فخرجت من تحت القش وراحت تلعب فى نشاط وحركة ، وكان المطر حينئذ يهمس فى هدوء فوق سطح الاسطبل .

الفصــــل الخامس عشر

وراقب المسافرون جوان وهو يسير بعيدا ويختفي عبر حافة التل ، ولم يتكلموا ولا حتي عندما صعد بيميلز عائدا الى داخـــل الاتوبيس متخذا مكانه في مقعد السائق ، وكانت المقاعد مائلة فحاول كل فرد من المسافرين أن يريح نفسه في جلسته .

وأخيرا تساءل المستر برتشارد طارحا السؤال بوجه عام « كم من الوقت سيلزمه لكي يحضر سيارة الى هنا فيما تظنون ؟ »

وحك فان برانت يده اليسرى في عصـبية « ربما لا يمكنني توقع عودته في خلال ثلاث ساعات ، فهو عليه أن يسير لمسافة أربعـــة أميال .. وحتي لو أمكنه الحصول على سيارة للخروج معه لهـــذه المهمة فان الأمر يستلزم ساعة للاستعداد قبل البدء في التحـــرك ثم ساعة للوصول الى هنا ، هذا في حالة اذا وافق احد على المجيء بالمرة فانا لست واثقا من ان أي شخص سيوافق على المجيء على هذا الطريق ، كان ينبغي علينا أن نسير معه ونلتقط سيارة عند طريق الولاية لتوصلنا » .

فقال المستر برتشارد « لا يمكننا عمل ذلك ، فنحن معنا جميـــع حقائبنا » .

وقالت المدام برتشارد « انني فضلت الالتزام بالصمت عندما جاءتك هذه الفكرة المجنونة ، يا اليوت وفضلا عن ذلك فانهـــــا أجازتك »

وكانت لديها الرغبة في أن تشرح للمســافرين الاخرين كيف ان اناسا لهم المركز المرموق الذي يتمتع به آل برتشارد تحتم عليهم أن يجدوا أنفسهم على أتوبيس - تحتم عليهم أن يضعوا أنفســـهم في طريق هذا النوع من الأمور ، وذهبت في تقديراتها الى انهم لابد وأن يكونوا في دهشة من أمرهم ، ثم التفتت ووجهت الحديث لهم « لقد ابتدأنا رحلتنا على قطار ، قطار ممتاز من مدينة سان فرنسيسكو ، قطار سريع ومريح للغاية وثمن التذكرة عليها أجرة اضافية ، وبعدئذ جاءت لزوجي الغريب الأطوار هذه الفكرة المجنونة باســتخدام الاتوبيس ، حيث اعتقد انه قد يرى الريف بشكل أفضل اذا استخدم الاتوبيس » .

فقال زوجها في مرارة « حسننا ، هانحن نشاهد الريف أيتهـا الفتاة الصغيرة » .

واستطردت هي قائلة « وقال زوجي انه قد ظل بعيـــدا عن المجتمعات لفترة طويلة ، وأراد أن يعرف الامور التي يحدث فيها الناس ، الناس الحقيقيون » وكانت نزعة خفية من الحقد وتعمد الأذى تزحف في داخلها : « وكان في رأيي أن ذلك أمر سـخيف ، ولكن الاجازة أجازته ، فهو الذي قد عمل بكل جد واجتهاد من اجل المجهود الحربي ، والزوجات لم تكن امامهن الكثير من الأعمال ، مجرد اعداد الطعام ولا شيء غير ذلك ، ونحن لم نتذوق البلوبيف مرة واحدة خلال شهرين . لا شيء سوى الدواجن » .

ونظر المستر برتشارد الى زوجته في شيء من الدهشة ، اذ لم تكن معتادة على اظهار هذه الحدة في صوتها . فأحدث هذا تأثيرا سيئا عليه وفجأة وجد مشاعر الغضب تتصاعد بوحشية في داخله وقال « انني لم أرغب على الاطلاق في المجيء اذ كان باستطاعتي الحصول على راحة حقيقية بأن العب قدرا يتسيرا من الجولف وأنام في سريري الخاص بي فأنا لم أرغب ابدا في المجيء » .

وكان المسافرون الآخرون يرقبون الموقف في شغف واهتمـــام وحب استطلاع ، اذ كان الضجر والملل محدقا بهم ولربما كان هـذا حسنا ، وكان غضب هذين الاثنين قد اخذ يملأ الاتوبيس .

وقالت ميلدريد « ماما . بابا . توقفا عن هذا » فقـــال المستر برتشارد « لا تتدخلي في هذا الأمر ، انني لم أرغب في المجيء ، لم لم أرغب على الاطلاق ، فأنا أكره الدول الاجنبية .. وخاصة الدول القذرة منها .. »

وانضغط فم المدام برتشارد في شحوب، وكانت عيناها باردتين وفي غير اكتراث ، وقالت « ان هذا الوقت مناسب تخبرني فيه بذلك » واستطردت « فمن الذي أعد جميع الخطط للرحلة ، ومن الـذي اشترى جميع تذاكر السفر ؟ ومن الذي وضعنا في هذا الأتوبيس الذي تعطل بنا في مكان غير قريب من أي موقع ؟ من الذي فعــل كل ذلك ؟ هل أنا الذي فعلت ذلك ؟ »

وصرخت ميلدريد « ماما !! » اذ لم يســبق لها أن سمعت مثل هذه النغمة في صوت أمها من قبل .

وتغير صوت المدام برتشارد فجأة وهي تقول « يبدو هذا أمرا غريبا ، انني ابذل كل ما في جهدي ، وهذه الرحلة ـ عندما تدفـع كل نفقاتها سوف تتكلف ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ دولار ولو انك لم ترغب في المجيء لكنت قد تمكنت من بناء بيت نباتات الأركيديا الذي رغبت فيه منذ فترة طويلة للغاية . مجرد بيت لنباتات الاركيديا بســيط وصغير ، ولقد قلت لي أن بناء هذا البيت أثناء الحرب لن يكـــون

مثلا طيبا ولكن الحرب انتهت الآن ونحن نخرج فى رحلة لم ترغب فى القيام بها ، حسنا ، فانت الآن قد اضعت على فرصة بنـــاء هذا البيت أيضا وأفسدت الأمر على ، فلن اتمكن من الاستمتاع بمثل هذا البيت ، انك تفســـد كل شيء ، كل شيء » وغطت عينيهـــا بيديها .

فوقفت ميلدريد وقالت « كفى عن هذا ياأمى ، كفى عن هــذا فى الحال ياأمى »

وتأوهت المدام برتشارد قليلا .

فقالت ميلدريد « اذا لم تكفى عن هذا سأسير بعيــدا » ، وقالت المدام برتشارد « اذهبى بعيدا ، أوه ، اذهبى بعيدا ، انت لا تفهمين اى شيء » .

وتجمد وجه ميلدريد ، والتقطت معطفها المصنوع من القمــاش الجبردين وارتدته ، وقالت « سأسير الى طريق الولاية » .

فقال فان برانت « انه على مسافة اربعة أميال ، انك ستتلفين حذاءك »

فقالت ميلدريد « أننى إجيد المشى » وكانت مضطرة للخروج لأن كراهيتها لأمها كانت تتصاعد فى داخلها وتسبب لها الغثيان .

وكان منديل المدام برتشارد قد خرج فملأت رائحة اللافاندر جميع أرجاء الأتوبيس .

وقالت ميلدريد فى غلظة « استجمعى قواك وتمالكى نفسك . فانا أعرف مقدما الشيء الذى ستفعلينه ، انك ستحصلين على الصداع وتنزلين العقاب بنا جميعا . فانا أعرفك ، حالة من حالات الصداع الكاذب الذى تدعينه » ثم استطردت فى شر مستطير « اننى ســابقى هنا لأشاهدك فانت تدعين الصداع دون أن يكشف أمرك أحد » .

وكان بيميلز يرقب الموقف وهو مفتون فى انبهار ، وكان يتنفس عن طريق فمه .

ونظرت المدام برتشارد لأعلى نحو ابنتها فى رعب : « ياالهى ، انك لا تعتقدين فى ذلك »

فقالت ميلدريد « لقد بدأت أعتقد فى ذلك ، فتلك الحــالات من الصداع تأتى فى أوقات لها مناسباتها تماما »

وقال المستر برتشارد « كفى عن هذا ياميلدريد »

« سأستمر فى ذلك »

« ميلدريد ، أننى ارفض ذلك »

فاستدارت ابنته بسرعة نحوه وقالت « أرفض ، ودعها تجدف فى حقك !! » وزررت معطفها فوق صدرها .

ومد المستر برتشارد يده » ميلدريد ، أرجوك ياعزيزتي » فقالت لقد حصلت على مافيه الكفاية ، انني بحاجة للتريض . » وسارت خارجة من الأتوبيس وانطلقت بسرعة بعيداً .

وصاحت المدام برتشارد « اليوت ، آليوت ، أوقفها ، لا تدعها تذهب » .

فربت على ذراعها « والان يافتاتي الصغيرة انها ستكون على ما يرام ، اننا فقط متوترون وحادو الطباع ، نحن جميعا » .

وتأوهت « أوه ، اليوت ، لو استطعت فقط أن استلقى على الارض ، أريد فقط الحصول على شيء من الراحة ، أنها تظن أن حالات الصداع التى أتعرض لها ليست حقيقية ، اليوت، انني سأقتل نفسي اذا كانت هي تعتقد فعلا في ذلك ، أود ، أريد فقط أن اضطجع وأتمدد لأريح جسدى »

فقال بيميلز « ياماما ، لدينا بعض القماش المشمع في الجزء الخلفي من الأتوبيس ، ونستخدم هذا المشمع في تغطية الأمتعة عندما نضعها فوق سطح الأتوبيس ، فاذا أخذ زوجك واحدا من هذا المشمع لوضعه في ذلك الكهف . عندئذ يمكنك أن تستلقى على الارض هناك »

فقال المستر برتشارد « حقا ، انها لفكرة مدهشة » وتساءلت « أنام أنا فوق الارض القديمة الرطبة ؟ لا » ، « لا ، فوق المشمع ، باستطاعتي أن أهيىء لك سريرا صغيراً حلوا لفتاة صغيرة حلوة »

فقالت « حسنا » لست أدرى » .

فأصر قائلا « انظرى ياعزيزتي ، انظرى ، أنني سأطوى معطفي . وعليك فقط أن تضعي رأسك عليه هناك ، والآن سأذهب الى هناك وبعد برهة قصيرة سأحضر وآخذك الى السرير الصغير الخاص بك » .

وبكت .

« وتريحين رأسك فوق الوسادة وتغلقين عينيك » وقال بيميلز « لقد قال لي المستر شيكوى أن أخرج الفطائر اذا شعر أى شخص بالجوع ، يوجد أربع فطائر لها رائحة جميلة وهى أيضا لذيذة بعض الشيء ، يمكنني أن أتناول قطعة منها الآن » .

وقال المستر برتشارد « دعنا نخرج ذلك المشمع أولا ، فزوجتى تشعر بالارهاق والتعب ، فهى تقريبا في نهاية قواها ، وأرجو أن تساعدني في اعداد سريرها ، ممكن ؟ »

وقال بيميلز « وهو كذلك » وشعر أنه يتصرف على ما يرام في غياب جوان ، وشعر أنه في حالة طيبة للغاية وأنه مبتهج للغاية .

ودلت وقفته على حالته النفسية . اذ كان كتفاه مقصوعين للخلف وكانت عيناه الشاحبتان ذات اللون الإصفر المائل للسواد مشرقتين ومليئتين بالثقة ، شيء واحد فقط كان يكدر صفو بيميلز ، كان يتمنى لو كان عنده شيء من الادراك السليم بحيث يلقى زوجا من الاحذية القديمة داخل الاتوبيس ، اذ كان من المتوقع من يأخذ حذاءه الاكسفورد ذا الطراز الحديث علقة ساخنة بسبب الطين مما يضطره الى بذل مجهود كبير لتنظيفه بفرشاة الاسنان ، ولم يكن باستطاعته أن يبدو حريصا للغاية على حذائه لأن ذلك من شأنه أن يبين لكاميل انه شخص بعيد عن الطيش والتهور ، فهى لن تقع تحت تأثير رجل يحرص على حذائه حتى لو كان ذلك الحذاء من نوع الاكسفورد الجديد ذى اللونين الأبيض والبنى .

وقال ارنست « سأذهب لألقى نظرة على تلك الكهوف » ووقف ثم تشعبط هابطا من باب الأتوبيس ، وزمجر فان برانت فى تذمر وتبعه .

وأراحت مدام برتشارد خدها فى استكانة على معطف المستر برتشارد واغلقت عينيها ، كانت مليئة بمشاعر الفزع والخوف . كيف تسنى لها أن تهاجمه وتجادله علنا أمام الناس - تهاجم زوجها الخاص بها ؟ ان ذلك لم يحدث أبدا من قبل ، فعندما كان الأمر يتطلب الشجار كانت تحرص على أن يكونا بمفردهما ، ولا حتى ميلدريد كان يسمح لها أن تسمع الشجار ، وشعرت أنه من الابتذال أن تتشاجر أمام الناس الغرباء هذا بالاضافة الى ان هذا الشجار قد حطم الصورة التى ظلت تشيدها لسنوات ، حطم ما كان يردده الناس بأن عذوبتها ورقتها هى التى جعلت زواجها يأخذ الطابع المثالى ، فكل شخص عرفته كان يعتقد فى صحة هذه الرواية ، وهى نفسها قد صدقت ذلك ، اذ أنها أقامت بجهودها الخاصة حياة زوجية هانئة ولكنها انزلقت لأنها تشاجرت معه وتحدثت عن البيت الصغير لنباتات الأركيديا بحيث لم يعد الأمر سرا محجبا .

انها قد ارادت مثل هذا البيت على مدى سنوات عديدة ، وكان ذلك فى الحقيقة منذ أن رأت مقالا فى « الهاربارز بازار » عن المدام وليام أو ماكينزى التى كانت تمتلك بيتا من تلك البيوت ، وكانت الصور جميلة ومحببة للنفس ، وكان يمكن للناس أن يقولوا عن المدام برتشارد إنها تمتلك أجمل بيت صغير من بيوت الأركيديا ، وبيت الأركيديا غالى الثمن وله قيمة كبيرة للغاية . فهو أفضل من المجوهرات أو الفراء ، وحتى الناس الذين لم تتعرف عليهم كانوا سيسمعون

عنها وعن بيت الأركيديا الصغير الخاص بها ، وهى كانت قد عرفت الكثير من المعلومات عن مثل هذه المشروعات خفية ، وكانت قد وضعت الخطط وعرفت تكاليف أجهزة التسخين والآلات آلتى تبعث الندى والرطوبة ، وعرفت المكان الذى تشترى منه شتلات الأشجار بل وعرفت كافة التكاليف ، كما أنها درست بعض الكتب آلتى تتناول موضوع تفريغ النباتات ، وتمت كل هذه الأمور فى سرية تامة لأنها كانت تعرف أنه لو جاء الوقت المناسب آلذى تستطيع فيه الحصول عليه فسيكون المستر برتشارد فى حاجة لأن يكتشف هذه الأمور ويختبرها بها ، وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة وهى لم تستنكر هذه الطريقة ، فذلك كان بكل بساطة أسلوبا فى الحياة ، الاسلوب الذى جعل زوجها ناجحا ، وهى قد تبدى تأثرها وانبهارها بمعلوماته او قد تطلب منه النصح والمشورة فى كل شىء .

ولكنها كانت متضايقة لأنها قد جعلت الأمر ينزلق مع الغضب . فمثل هذه الغلطة قد تؤخر تقدمها لمدة ستة شهور أو مايزيد على ذلك . فهى كانت قد وضعت خططها على اساس أن تجعله يقترح بنفسه انشاء هذا البيت ، وتجعله عن طريق أحجامها الحريص يتغلب على معارضتها للفكرة . ولكن الموضوع الآن قد ذكر بكل بصراحة أثناء ثورة الغضب مما قد يضع العراقيل أمام التنفيذ . وهى اذا لم تكن حريصة للغاية فى اعداد خطط المستقبل لما تمكنت ابدا من تحقيق هذه الرحلة . لذلك كان شجارها هذا يدل على الغباء والبذاءة .

وكان باستطاعتها سماع نورما وكاميل وهما تتحدثان بصوت منخفض خلفها ، وكانت عيناها مغلقتين ، وكان الاعياء والمرض والضعف يدب فى كيانها حتى أنهما لم تتصورا أنها كانت تحاول الاصغاء اليهما .

وكانت نورما تقول « ومن الأمور التى أحب أن تعلميها لى هو كيفية التعامل مع الرجال »

وضحكت كاميل فى أقتضاب وتساءلت : « ماذا تقصدين ؟ »

« حسنا ، مثال ذلك أن بيميلز قد حاول التودد اليك ومع ذلك لم يتمكن من الوصول الى مجرد التمهيد الأولى معك ، وانت فى نفس الوقت لا يبدو عليك انك تبذلين مجهودا لصده وردعه ، وخذى مثلا آخر يتعلق برجل المبيعات ذاك ، فهو رجل لبق بعض الشىء ولكنك تعاملت معه كأنه لا شىء . أننى أتمنى أن أعرف كيفية التعامل مع هؤلاء الناس بنفس أسلوبك »

فشعرت كاميل بالسرور ، ورغم أنها كانت متضايقة مع هذا العبء الثقيل الملقى على عاتقها آلا انها شعرت بالبهجة بسبب هذا

الاعجاب بها ، واصبح الوقت مناسبا لأن تخبر نورما بانها لا تعمل كممرضة للاسنان وتحدثها عن كاس الخمر العملاق الضخم والحفلات، ولكنها لم تستطع الاعتراف لها لأنها في الحقيقة لم تكن ترغب في ان تسبب لنورما صدمة كبرى . وكانت تريد أن تظل محل اعجابها .

واستطردت نورما « والشيء الذى أحبه فيك هو انك لست وضيعة ان بذيئة في هذا الأمر ، ومازالوا غير قادرين على يضعوا اصبعا عليك » .

فقالت كاميل « انني لم الحظ ذلك على نفسي ابدا .

واظن أن هذه الخاصية الموجودة فى هى أمر أشبه بالغريزة ، وضحكت ، واستطردت « ولى صديقة تستطيع التعامل فعلا مع الرجال ، وهى لا تطلق صيحة استهزاء واحدة . وهى مع ذلك كانت وضيعة مع الرجال ، وكان اسمها لورين ، وكانت مخطوبة لذلك الشخص الذى كانت له وظيفة مناسبة مما جعله لا يواجه ايةمتاعب ، وكانت لورين ترغب فى الحصول على معطف من الفراء ، وهى بالطبع كان عندها جاكيت صغير مصنوع من فراء الذئب وكان لديها معطفان من فرو الثعلب الأبيض اللون لأن لورين فتاة محبوبة للغاية، وهى جميلة وصغيرة فى السن . وعندما تكون مع الفتيات تجعلك تضحكين طوال الوقت . وأرادت لورين معطفا من الفراء الثمين ، ليس معطفا قصيرا ولكن معطفا مكتمل الطول تماما ويصل ثمنه الى ثلاثة آلاف أو اربعة آلاف دولار »

وأطلقت نورما صفيرا بين أسنانها وقالت « يا الهى » ، فقالت كاميل « حسنا ، وقالت لورين بعد ظهر أحد الأيام « أظن أننى سأحصل على المعطف المصنوع من الفراء الثمين على الفور » فقلت لها « أنت تمزحين وتكذبين على » .

« أتظنين اننى امرح ؟ سيعطنى ايدى هذا المعطف » .

وسألتها « متى قال لك ذلك ؟ »

« فاكتفت لورين بالضحك وقالت « انه لم يقل لى ، بل والاكثر من ذلك أنه لا يعرف شيئا عن هذا الموضوع حتى الآن »

وقلت « حسنا اسمعى ، أنت مخبولة » .

« اتراهنيننى ؟ وكانت لورين تتراهن على أى شيء » .

وقلت لها اننى لا اتراهن على الأشياء وسألتها « كيف سيتسنى لك الحصول عليه ؟ »

وقالت « هل ستحافظين على السر اذا قلت لك ؟ »

واستطردت « المسألة سهلة ، فأنا أعرف آيدى جيدا ، اننى سأثيره فى هذه الليلة واقدم له مشروبات روحية واستمر فى اثارته

الى أن يجن جنونه ، وأظل هكذا الى أن يضربني بجماع يده وقد أتعمد أن تصيبني احدى لكماته نظرا لأن أيدى عندما يكون مخمورا لا يصيب الهدف أمامه ، حسنا وبعدئذ سأجعل أيدى يتأجج في عصاراته ، فأنا أعرفه جيداً ، وعندئذ سيشعر أنه سافل وسيشعر بالأسف ، اتراهنينى على ذلك ؟ بل وسأضطجع مرة واحدة، وأراهنك على أننى سأحصل على ذلك المعطف غدا بالليل » .

« حسنا ، اننى لا أراهن على أى شيء ، ولذلك قلت لها « انت لا تراهنين على مبلغ بسيط مثل ٢٥ سنتا » وكان فم نورما مفتوحا بفعل الاثارة ، ومن بين رموش المدام برتشارد ظهر وميض ضوء منعكس .

واستفسرت نورما « وهل حصلت هى على المعطف ؟ » « حسنا ، لقد ذهبت الى المكان الذى تقيم فيه لورين فى صباح يوم الأحد ، وكانت لورين مصابة بكدمة متورمة تحت عينها ، كدمة زرقاء سوداء حقيقية ، وكانت تضع عليها رقعة ، وكان انفها أيضا مجروحا »

« حسنا ، وهل حصلت هى على المعطف ؟ » فقالت كاميل «حصلت على المعطف بكل تأكيد » وظهر على وجهها تجهم وحيرة واستطردت « حصلت على المعطف ، وكان قطعة من الحسن والجمال ،» حسنا ، وبعدئذ قامت بخلع جميع ملابسها ، وكنا نحن الاثنان فقط فى هذا المكان ،» ثم قلبت المعطف بحيث يكون وجهه الى الداخل وارتدته على اللحم بحيث يكون شعر الفراء ملاصقا لبشرة جسدها ، ثم راحت تتدحرج وتتدحرج على الأرض وتضحك وتضحك بصوت يوحى بالبلاهة والعصبية كما لو كانت مجنونة » .

وخرجت انفاس نورماالمحبوسة فى بطء وقالت « ياالهى ولماذا فعلت هى ذلك ؟ »

فقالت كاميل « لست أدرى » كان الأمر يبدو كأنها مخبولة بعض الشيء ، تكاد تكون مجنونة »

وكان وجه المدام برتشارد قد أخذ يتوهج ، وراحت تتنفس بسرعة كبيرة للغاية ، وتخدرت بشرتها وأحست بمشاعر الألم والوخز تسرى فى ساقيها وفى معدتها على نحو لم يسبق لها أن جربته من قبل ، وشعرت من وراء ذلك بمتعة لم تحصل عليها من قبل سوى مرة واحدة ، وكان ذلك فوق ظهر حصان منذ فترة طويلة مضت .

وقالت نورما فى شيء من الرزانة والحكمة « لا أظن أن ذلك كان أمرا لطيفا ، فاذا كانت هى قد أحبت أيدى حقيقية وكان هو بصدد الاقتران بها فلا أظن أن ذلك كان شيئا لطيفا تفعله »

وقالت كاميل « وهذا هو رأيي أيضا ، فهذا التصرف من جانب

لورين قد ضايقنى وقد أخبرتها بذلك ولكنها قالت لى .
حسنا ، أن بعض ألفتيات يسلكن الطريق الطويل للوصـــول الى الهدف ، ولكنى أردت ألوصول بسرعة ، وعلى كل حال. فالأمر سيان فى النهاية ، ولابد أن انسانة أخرى كانت ستستخدم نفس هذه الحيل لكسب المنافع من وراء أيدى » .
« وهل تزوجته ؟ »
« لا ، لم تتزوجه »
فقالت نورما فى غضب « أراهن على انها استنزفت أموال أيدى، وهذا هو كل ما فى الأمر »
وقالت كاميل « ربما ، ولكنها كانت صديقتى لفترة طـــويلة ، وكانت دائما تساعدنى وتلبى رغبـــاتى اذا احتجت لأى شىء ، وفى احدى المرات عندما أصبت بالتهاب رئوى فانها ظلت بجوارى على مدى ثلاثة أيام بلياليهم ، وكنت أنا مفلسة أثناء المرض فدفعت لى أجور الطبيب » .
وقالت نورما « أظن انك لا تستطيعين الحكم عليها » وقالت كاميل « لا ، لا أعتقد ذلك ، وعلى كل حال فانك قد استفسرت منى عن كيفية معاملة الرجال » .
وكانت المدام برتشارد تدق نفسها بالكلمات وأخافتها ردود الفعل عندها ، وقالت لنفسها وهى تكاد تهمس بالكلمات « يالها من قصـــة مرعبة مبتذلة ، يالهن من حيوانات أولئك الفتيات الصغار ، اذن فهذا هو ما يعنيه اليوت بقوله « النزول الى الناس » ، آوه ، ان ذلك لأمر مرعب ، اننا فقط ننسى الكيفية التى يكون عليها الناس وكيف يمكن أن يكونوا منحطين اخلاقيا » وراحت تكتب فى ذهنها بجنون وحماس، وكانت الاثارة لا تزال تحدث تخديرا على الجوانب الداخلية لفخذيها « عزيزتى ، أيلين ، لقد كانت الرحلة مرعبة فى المنطقة ما بين سان يسيدرو وسان جوآن دى لاكرونا ، وقع الأتوبيس فى حفرة ولم نملك سوى الجلوس والانتظار لبضع ساعات ، وكان زوجى اليوت لطيفـا معى للغاية فأعد لى فراشا فى كهف عجيب ، لقد سبق أن قلت لى أننى قد أحصل على المغامرات ، اتذكرين ؟ لقد قلت لى أننى قد تتاح لى فرصة الدخول فى المغامرات باستمرار ، حســـنا ، لقـــد دخلت فعلا فى المغامرات ، وكانت توجد هناك فتاتان مبتذلتان أميتان فى الاتوبيس احداهما تعمل جرسونة والأخرى جميلة بعض الشىء : كانت من النوع اياه الذى تعرفينه ، وكنت أنا مستسلمة للراحـــة فخيل اليهما أننى مستغرقة فى النوم ، فاستطردتا فى الحـــديث ، ولا أستطيع أن أذكر لك حرفا واحدا مما سمعته منهما ، فأنا لازلت

اشعر بالخجل مما سمعت : ان المهذبين من الناس لا يعرفون بحياة هذه المخلوقات المسكينة ، انه امر لا يصدقه العقل ، وفى رأيى دائما أن الجهل هو الذي يؤدى الى كل ذلك ، فلو كان عندنا مدارس أفضل أو بمعنى أصح لو كنا نحن بمثابة امثلة افضل يحتذى بها النـــاس لكانت صورة المجتمع قد تغيرت بأسرها تدريجيا ولكن بشكل اكيد »

وقد تقرأ ايلين الخطاب مرات ومرات أمام الناس « لقد تلقيت توا رسالة من برنيس ، انها تدخل فى أشد المغامرات اثارة ، وهى دائما ما تفعل ذلك كما تعرفون . وأريد منكم أن تسمعوا ما تقوله . اننى لم اعرف اى شخص يستطيع أن يرى الجوانب الطيبـــة فى الناس مثلما تستطيع برنيس » .

وكانت نورما تقول « انني اذا اعجبت بشخص لا افكر فى عمل شىء كهذا معه ، فاذا رغب فى تقديم هدية لى فعليه أن يفكر فى ذلك الأمر بدافع من ذاته »

وقالت كاميل « حسنا ، وهذا هو ما أشعر به ازاء هـــذا الامر أيضا . ولكنى لم احصل على معطف واحد من الفراء ولا حتى على معطف من النوع السميك ، أما لورين فقد امتلكت ثلاثة معاطف » .

وقالت نورما « حسنا ، لا اظن أن هذا التصرف يتسم بالأمانة والشرف ، ولا أظن اننى أعجبت بلورين » .

فصرخت كاميل فى داخل عقلها « يا الهى ، انك لا تعـــرفين ما اذا كنت ستظفرين باعجاب لورين ، اننى لاتساءل عما اذا كانت لديك اية فكرة عن الرأى الذى قد تكونه لورين عنك ؟ » وفكرت : لا ، ليس ذلك صحيحا ، فلربما تأخذ لورين هذه الفتاة وتصـــلح من شأنها وتقدم لها المساعدة ، ومهما قال الناس عن لورين فلاأحد يمكنه أن يقول عنها انها فتاة لا تحب الخير للآخرين .

الفصـــل السادس عشر

ونكست ميلدريد رأسها لأسفل لكي تمنع المطر من احــداث الضــباب والظملة على نظارتها ، وكان ملمس الطريق المليء بالحصى حسنا تحت قدميها ، وقد جعلها التريض تســتنشق الهواء فى عمق ، وخيل اليها أن ضوء النهار كان آخذا فى الاظــلام من ذي قبل ، لا يمكن أن يكون الوقت متأخرا للغاية ، وكان ضوء من أضواء المساء لا يزال يزحف على الوجود جاعلا الأشياء الفاتحة مثــل قطع البلور الصخرى والحجر الجيرى تبدو أكثر نصاعة والأشياء المعتمة مثل أعمدة السور تبدو سوداء .

وسارت ميلدريد بسرعة ، وكانت قدماها تطعنـــان فى الأرض وكعباها يضربان فى الحصى ، وكانت تحاول أن تبعد عن ذهنهـــا الشجار الذى حدث ، وهى لا تذكر انها شاهدت من قبل والدهـا وامها يتشاجرآن ، ولكن هذا الشجار الذى حدث امامها كان شيئا مألوفا وروتينى الطابع مما يدل على أنه كان بعيداعن كونه أمرا غير عادى ، لابد أن أمها تحرص على أن تتم المشاجرات فى غــرفة النــوم حتى لا يتمكن أحد من سماعهما ، لقد شيدت خرافة عن الزواج الذى يتصف بالكمال وعملت على استمرار تلك الخرافة ، ولكن فى هذه المرة كان التوتر قد وصـــل الى نقطة الانفجار ولم تكن هنـــاك غرفة نوم لتأوى اليها . وكانت هناك نقاط صغيرة وضــــيعة من الأحقاد والسموم الصفراء فى الشجار مما سبب القلق والازعاج لميلدريد . كانت سموما من خبث ودهاء ، لم يكن غضبــا مكشــوفا امينا وانما كان غضبا زاحفا بعض الشيء يطعن بسلاح حاد ثم يختفى السلاح على وجه السرعة .

وكانت هناك هذه الرحلة الطويلة للغاية الى المكسيك ، ولنفرض أن ميلدريد لم تعد اليهم ؟ لنفرض انها استمرت فى المسير والتقطت سيارة لتوصلها الى مسافة ما واختفت — واستأجرت غرفة فى مكان ما ربما على الساحل بالقرب من البحر وامضت الوقت على الصخور أو على البلاج ؟ وأدخلت هذه الفكرة السرور والبهجة عليها الى حد بعيد . ويمكنها أن تطهو الطعـــام لنفسها وتتعـــرف على أناس جدد على البلاج . وكانت فكرة مضحكة تستوجب السخرية ، فهى لم تكن لديها أية نقود . لقد كان ابوها كريما للغاية ولكنـــه لا يعطيها نقودا . كان باستطاعتها أن تشترى ملابسها على الحساب وتوقع

على الشيكات فى المطاعم ولكن نقودها الحقيقية كانت دائما قليلة للغاية ، كان والدها كريما للغاية ولكنه كان محبا للاستطلاع الى حد بعيد ، فكان يريد أن يعرف الأشياء التى اشترتها وأين تناولت طعامها وكان باستطاعته اكتشاف هذه الأمور من قراءة الفواتير الشهرية .

وبالطبع كان باستطاعتها أن تلجأ الى العمل لتكسب قوت يومها ، وقد تحقق هذا الأمر كيفما كان فى فترة قصيرة بعض الشىء لان العثور على عمل لا يتم فى الحال ، لا يجب عليها أن تكشف عن نواياها بكل صراحة ، وعليها أن ترتكب الخطيئة خلال هذه الرحلة المرعبة للمكسيك التى كانت ستصبح رائعة لو انها كانت بمفردها وبحيث تعود للكلية بعد ذلك ، وعلى كل فلن يمضى وقت طويل حتى تلتحق بوظيفة وقد يوافق والدها على ذلك وقد يقول لتشارلى جونصون « باستطاعتى أن أعطيها أى شىء تريده ، ولكن ، لا ، ياسيدى فقد سبق لها أن حصلت على الكثير من الملابس والفساتين التى تساير الموضة ، وهى الآن تعمل لتنفق على نفسها» وقد يقول تلك العبارة فى شىء من الفخر وكأن الفضل فى ذلك يرجع اليه فى بعض الجوانب وهو لن يعرف مطلقا انها تعمل من أجل تحقيق العزلة والخلوة لنفسها حتى تتمكن من أن تعيش فى شقة خاصة بها وتتمكن من انفاق بعض النقود بغية تحقيق أشياء لايعرف عنها شيئا .

وهى فى المنزل كان لها ــ على سبيل المثال ــ مطلق الحرية فى الذهاب الى غرفة المشروبات الروحية فى أى وقت كما تشاء ، ولكنها كانت تدرك أن والدها كان يتذكر على وجه الدقة مستوى السائل فى كل زجاجة بحيث انها لو أخذت ثلاث جرعات مثلا فانه كان يعرف ذلك على الفور . فقد كان محبا للاستطلاع للغاية .

وخلعت نظارتها ومسحتها على البطانة الداخلية لمعطفها ثم لبستها مرة أخرى ، واستطاعت أن تشاهد آثار أقدام جوان على الطريق ، وكانت توجد أماكن انزلقت عليها قدمه فوق الصخور كما كانت هناك مساحات ممتدة من الأرض الموحلة حيث ظهرت عليها الانطباعات الكاملة للأقدام بشكل واضح مع انكسار الخطوط بفعل اندفاع أصابع أقدامه ، وحاولت ميلدريد السير فوق آثار أقدامه ولكن خطواته كانت طويلة بالنسبة لها حتى أنها شعرت بالشد والجذب فوق فخذيها بعد أن ظلت سائرة على هذا المنوال لبعض الوقت .

وراحت تفكر : أنه رجل غريب يتميز بالقوة والتسلط مما

يتسبب فى الاستسلام ، وكانت مسرورة لأنها قد تخلصت من تلك التجربة المجنونة التى حدثت فى الصباح ، وكانت تعرف ان ذلك الأمر لا علاقة له بالعقل والاتزان وحسن الادراك السليم ، ولكنها مسألة التأثير المتبادل بين التهييج وافرازات الغدد — وكانت هى تعرف كل هذه الأمور ، وهى كانت تعرف عن نفسها أن لها رغبات جنسية هائلة ، وسيكون أمامها فى القريب العاجل اما أن تتزوج واما أن تقوم بعض الترتيبات التى لها صفة الديمومة ، وذلك لأن الأوقات التى تشعر فيها بالضيق والقلق والرغبة اخذت تتزايد بشكل كبير ، وفكرت فى وجه جوان الداكن اللون وفى عينيه اللامعتين الا ان ذلك لم يحدث تأثيرا عليها ، ولكن جوان كان يوجد فى داخله دفء وصدق وأخلاص ، وكانت معجبة به .

وعندما تخطت قمة التل شاهدت المزرعة المهجورة الى أسفل وشعرت بالانبهار . وأستطاعت أن تحس بالقنوط واليأس الذى يلف المكان . وأدركت انها لن تستطيع المرور على المنزل دون أن تنظر فى داخله ، واسرعت الخطى بعد أن أثير اهتمامها وشغفها .

ان فانت برانت سبق أن قال « البنك أنتزع الملكية نظير الايفاء لدين واضطرت الأسرة أن تترك المنزل ولم يكن البنك ليهتم بأمر منزل قديم ، ولكن الارض هى التى كانت تهمه » .

وأصبحت خطواتها فى نفس اتساع خطوات جوان تقريبا ، وهبطت فى تأرجح الى سفح التل ومنه الى المدخل الموصل للمزرعة ثم توقفت فجاة ، اذ لاحظت أن آثار أقدام جوان قد حادت الى الداخل . وسارت على الطريق قليلا لكى تعرف ما اذا كانت آثار اقدامه قد خرجت من الناحية الأخرى واستمرت الى المسير ولكنها لم تجد اية آثار اقدام متجهة للأمام .

فقالت لنفسها « لابد أنه مازال هناك فى الداخل، ولكن ماالسبب فى ذلك ؟ لقد كان ذاهبا الى طريق الولاية ولا يمكن أن يكون هنا فى هذا المكان تليفون » ، وتملكها الحذر عندما ادركت انها لا تدرى ما يدور فى الداخل علاوة على انها لم تكن تعرف الكثير عن هذا الرجل ، وسارت ببطء فى المدخل ثم حرصت على أن تسير فوق العشب لكى لا تحدث اقدامها أصوات احتكاك فوق الحصى .

كان هناك شىء يوحى بالخطر فى هذا المنزل المهجور ، واستعادت فى ذهنها القصص التى سبق أن قرأتها فى الصحف عن جرائم قتل فى اماكن تشبه هذا المكان ، وتوتر حلقها بسبب الخوف ولكنها هدات من نفسها : « حسنا ؟ باستطاعتى أن أستدير وأخرج من المكان ، ان احدا لا يستوقفنى ولا احدا يدفعنى الى الداخل ؟ ولكننى

أعرف انه يجب على عدم التراجع ، أعرف اننى لن أترك المكان ، وربما كان باستطاعة اولئك الفتيات اللائى قتلن الانصراف بعيــدا أيضا ، وربما كن يطلبن السماح لهن بالانصراف » .

وشاهدت منظرا لنفسها وهى ملقاة على الأرض فى احــدى الغرف وقد خنقت أو طعنت بالسكين ، وكان هناك شىء فى المنظـر جعلها تضحك ـ اذ كانت نظارتها مازالت على عينيها ، وما الذى كانت تعرفه عن جوان ؟ ان له زوجة وعمل تجارى يديره ، وعندئذ تذكرت مانشيت سبق أن قرأته فى الصحف « اغتيال أب لثــلاثة بطريقة سادية وحشية » .

وتعجبت من السبب الذى يجعل عددا كبيرا للغاية من منشدى الكوارس وعازفى الأرغن يغتالون ، يبدو أن هناك مخاطر وظيفيــة تتعلق بغناء الكوراس . اذ دائما ما يتم العثور على منشــــدى الكوراس مخنوقين خلف الأرغن ، وضحكت ، وأدركت انها تخطو الى داخل هذا المنزل ، وتساءلت : أينبغى على فقط أن أجوس بأقدامى فى قوة وبصوت مسموع أم أنه ينبغى على أن انســل فى هدوء الى الداخل واصطاد جوان شيكوى وهو يقــوم بأى عمل مهما كان نوعه ، ربما كان ذاهبا فقط الى التواليت ليقضى حاجته .

وضعت قدمها فى حرص على السلمة وتوقفت عندما زيق خشب الأرضية تحت وطأة ثقلها ، وراحت تفتش فى جميع ارجاء المنزل وفتحت الدواليب وكانت هناك علبة فلفل مقلوبة فى المطبخ وكان هناك مشجب لمعطف فى دولاب غرفة النوم ، وأدارت رأسها من جانب لآخر لتلقى نظرة على الصفحات القديمة الهزيلة الموجــودة خلف ورق الحائط المنتزع ، وقرأت قصاصة مستطيلة من مجــلة « هابى هوليجان » ، وجذبت البغلة « مود » ساقيها للخلف وركلت فطار سى فى الهواء وعلى مؤخرة بنطلون سى كانت توجد آثــــار منطبعة لحوافر البغلة ، واستقامت برأسها ، لماذا لم تفكر من قبل فى الاسطبل ؟ وتسللت ميلدريد للخلف نحو الشرفة الأماميــة ونظرت عن كثب الى الألواح الخشبية واستطاعت أن ترى آثار الاقدام المبللة التى تركها حذاء جوان ، فتتبعت الآثار الى غــرفة الجلوس ثم فقدتها . وذهبت الى الباب الخلفى المفتوح ونظـرت الى الخارج ، وكانت المفاجأة : لقد كانت هناك آثار الأقدام متخذة طريقها الى الخارج ومتجهة بالفعل نحو الاسطبل .

ونزلت على السلالم المكسورة وتبعت الطق عبر أجــزاء من المبنى وتخطت طاحونة الهواء القديمة . ودخلت الاسطبل ووقفت هناك مصغية ، لم تكن هناك أصوات ، وفكرت فى أن تنـــادى

بصوتها ولكنها عدلت عن هذه الفكرة ، وفى بطء مرت على جميـــع مرابط الحيوانات فى الاسطبل الى أن وصلت الى المربط الأخير . واستلزم الامر مرور فترة قصيرة قبل أن تعتاد عيناها على الضوء وتتوافق معه ، ووقفت فى المدخل المؤدى الى الجزء الأوســـط ، وهربت جميع الفئران الصغيرة واختفت عن الانظار وبعدئذ شاهدت جوان مستلقيا على ظهره وقد ضم يديه خلف رأسه ، وكانت عيناه مغلقتين وكانت أنفاسه منتظمة .

وقالت ميلدريد « يمكننى الآن ان أذهب بعيدا وانصرف ، فلا احد يعمل على ابقائى هنا ، وستكون الغلطة غلطتى ، اننى اريـــد فقط أن أتذكر ذلك . انه يرعى شئونه الخاصة ويهتم بها فقـــط ، أوه ، ما هذا الكلام الفاضى ؟ » .

وخلعت نظارتها ووضعتها فى جيبها ، فأصبحت الخطـــوط الخارجية المحددة للرجل مشوشة فى غير وضع أمامهـــا حيث لم تستطيع عيناها التركيز على الهدف ، ولكن كان لا يزال باستطاعتها أن تراه ، وسارت فى بطء وحرص عبر الأرضية المغطاة بالقش وعندما صارت الى جواره وضعت كعبيها فى شكل متقاطع وانزلت نفســها وجلست على قدميها المتقاطعين ، وكانت الندبة الغائرة الموجودة فوق شفته بيضاء اللون وكانت أنفاسه منتظمة وهادئة فقالت لنفسها « انه كان متعبا فقط ، وقد استلقى على الأرض لينال قسطا من الراحة فاستغرق فى النوم ، لا ينبغى أن أوقظه » .

وفكرت فى الناس الذين تركتهم وراءها فى الأتوبيس ـ لنفرض انها لم تعد اليهم أبدا ، لا هى ولا جوان ، فماذا سيفعلون ؟ عندئذ ستصاب أمها بالانهيار اما والدها فسيرسل برقية الى المحافظ ـ الى اثنين أو ثلاثة من المحافظين وقد يتصل تليفونيا بمكتب التحريات الفدرالى ، وقد يتكبد نفقات باهظـــة ، ومـــع ذلك فمـــا الـــذى يمكنهم أن يفعلوه ؟ انها قد بلغت سن الواحـــد والعشرين ، واذا أمسكوا بها يمكنها ان تقول لهم « اننى أبلغ من العمر ٢١ عاما وافعل الآن كل ما أريد أن افعله ، ولا دخل لأحد فى شئونى الخاصـــة » أو لتفرض أنها ذهبت الى المكسيك مع جوان ؟ سيكون ذلك قصة مختلفة تماما ، شىء مختلف تماما .

وهبطت على عقلها بعض التخيلات والاوهام غير المقبـولة والتى لا علاقة لها بالأمر ، لو أنه كان هنديا أو تجرى فى عروقه دماء هندية فكيف يتسنى لأحد الاقتراب تدريجيا منه فى تلصص ؟ وأمســكت بزوايا عينها لكى تضع وجهه تحت بؤرة نظرها ، وكان وجهه يشبه الجلد وبه آثار جرح قديم ولكنه كان وجها حسنا من وجهـــة

نظرها ، كانت الشفاة ممتلئة وهزيلة ولكنها شفوقة ، ولربما يكون لطيفا عندما يكون مع امراة ، وقد لا يبقى معها ، ولكنه كانت له تلك الزوجة ، تلك الزوجة الفظيعة ومع ذلك فقد بقى معها ، والله يعلم الفترة التى امضاها معها ، لابد أنها كانت جميلة عندما تزوجها ، ولكنها اصبحت قبيحة . ماذا حدث فى الدنيا ؟ كيف استطاعت تلك المرأة الفظيعة الابقاء عليه ؟ ربما كان شأنه فى ذلك شـأن أى فرد آخر ، ربما كان شأنه شأن والدها ، ولربما يكون قد ظل اسيرا لظروف الحياة بسبب المخاوف أو بسبب التعود على نمط من الحياة ، ولم تتصور ميلدريد كيف يمكن أن يحدث ذلك لأى شخص ، ولكنها ادركت أن ذلك الأمر يحدث بالفعل فالناس عندما يتقدمون فى السن يتحولون الى الخوف من الأمور الصـغيرة تدريجيا ، اذ كان والدها يخاف من سرير غريب أو لغة أجنبيـة أو من حزب سياسى لا ينتمى اليه ، ولقد كان والدها يعتقد اعتقادا جازما أن الحزب الديموقراطى بمثابة منظمة هـدامة قد يؤدى أسلوبها الى تدمير الولايات المتحدة الأمريكية ووضعها فى ايـدى الشيوعيين ذوى اللحيات ، وكان خائفا من أصدقائه كمـا كان أصدقاؤه يخافون منه . جيل من الفئران .

وحركت عينيها لأسفل فوق جسد جوآن ، جسد ناشف ذو الياف جامدة قد يصبح أشد تصلبا وتخشبا عندما يتقدم أكثر فى السن ، وكان بنطلونه مبللا بعض الشىء بسبب المطر وملتصـقا بساقيه ، وكان يبدو عليه شىء من الأناقة — اناقة الميكانيكى الذى اغتسل لتوه ، ونظرت الى بطنه المنخفض الى الداخل بعض الشىء والى صدره العريض ، وتلاحظ لها أنه لا يوجد تغير فى انفاسـه ولا تغير عضلى ، ولكن عيناه كانتا مفتوحتين ، وكان ينظـر اليها ، ولم تكن عيناه نائمتين نوما عميقا ولكنها كانتا ناصعتين .

وجفلت ميلدريد فى فزع ، ربما لم يكن نائما بالمرة ، وربما كان يرقبها وهى تدخل الى الاسطبل ، فراحت تبرر تصرفاتها « اننى كنت بحاجة الى التربض ، والنزهة ، فقد ظللت جالسة الفتـرة طويلة كما تعرف ، وظننت أن بامكانى السير الى طـريق الولاية لالتقاط سيارة هناك . ثم رأيت هذا المكان القديم ، وأنا أحب الأماكن القديمة » .

وكانت قدماها بصدد التعرض للتخدير والتنميل ، فمـالت على جانبها وسندت نفسها على يد واحدة ثم حركت ساقيها وقدميها الى جانب واحد وغطت ركبتها فى حرص وعناية بجونلتها ، فزنت قدماها وسرى الدفء مع عودة الدماء اليهما .

ولم يرد جوان عليها . كانت عيناه فوق وجهها ، وتدحرج في بطء على جانبه ، وسند راسه بأن وضع يدا تحت اذنه ، وهبط على عينيه بريق داكن وتجعد فمه بعض الشيء في زاويتيه ، وتراءى اليها أن وجهه جامدا ، فلا سبيل الى النفاذ فيما وراء العينين الى الراس ، فاما ان يكون كل شيء طافيا على السطح واما ان تكون الأمور محجبة تماما بحيث يتعذر النفاذ اليها .

وسألته « ماذا تفعل هنا ؟ »

فانفرجت شفتاه قليلا وقال « ماذا تفعلين هنا ؟ »

« لقد أخبرتك انني كنت بحاجة الى النزهة والتريض ، لقد اخبرتك » .

« نعم ، أنت قلت لي ذلك »

« ولكن ماذا تفعل أنت هنا ؟ »

ولم يبد عليه انه في حالة استيقاظ حقيقية ، وقال : « انا ؟ اوه ، لقد جلست على الأرض لاستريح ، وغلبني النـــوم . لانني لم انم في الليلة الماضية »

وقالت « نعم ، أذكر ذلك » ، وكان عليها أن تستمر في الحديث وكانت متوترة الى حد كبير « لقد تعجبت من أمرك ، انك لســت في مكانك الصحيح الملائم هنا . أقصد قيادتك للاتوبيس ، فمكانك ليس هنا ولكن في مكان ما آخر » .

فسألها في مداعبة « مثل أين ؟ » ووقعت عيناه على المكان الذي تقاطعت فيه طيات معطفها .

فقالت في قلق « حسنا ، لقد خطرت لي فكرة غريبة اثنـــاء سيري ، ظننت أنك ربما لا تعود ، وانك قد تستمر فقط في السير وربما تعود الى المكسيك ، فأنا قد أفعل ذلك لو كنت مكانك »

وغمزت عيناه ، وحملق في وجهها ، وسألها « أأنت مخبـــولة ؟ ما الذي جعلك تفكرين في ذلك ؟ »

« حسنا ، كان ذلك مجرد شيء خطر على ذهني ، أن حياتك ، أقصد حياتك كسائق للاتوبيس لابد أنها غير ممتعة الى حـد ما بعـد ـ حسنا ، بعد أن تركت المكسيك »

« ألم تذهبي من قبل الى المكسيك »

« لا »

« اذن فانت لا تعرفين كيف أن الحياة سخيفة هناك »

« لا »

ورفع راسه ومد ذراعه ثم وضع راسه على ذراعه .

« ما الذى سيحدث — من وجهة نظرك — لهؤلاء الناس الذين تركناهم هناك وراءنا ؟ »

فقالت « أوه ، انهم سيرجعون من حيث أتوا بأية طريقـــة ، فالمسافة ليست بعيدة ، ولن يهلكوا »

« وماذا سيحدث لزوجتى فيما تظنين ؟ »

« حسنا — » وأصابها الاضطراب ، واستطردت « اننى لم أفكر فى ذلك الأمر »

وقال جوان « انك قد فكرت فى ذلك الأمر وانت لا ترتاحين اليها ، سأقول لك شيئا : لا يوجد أحد معجب بها سواى ، ومن الأسباب ألتى تجعلنى معجب بها هو أن أحدا لا يحبها »

وابتسم ، وقال لنفسه « يالها من كذبة » وقالت « انها فقط فكرة مجنونة هبطت على ، بل أننى ظننت أيضا اننى قد أهرب بعيدا ، اذ فكرت فى أن أختفى وأعيش بمفردى و — حسنا ، ولا أشاهد ابدا أى شخص ممن عرفتهم من قبل » ونهضت على ركبتها ثم جلست مرة أخرى على جانبها الآخر .

ونظر جوان الى ركبتها ، ومد يده وجذب جونلتها لأســـفل فوقها . فجفلت عندما امتدت يده نحوها ثم أسترخت فى قلق .

وقالت « لا أريد منك أن تظن اننى قد تبعتك الى هنا » .

فقال جوان « أنت لا تريدين منى أن أظن ذلك ، ولكنك فعلت ذلك بالفعل »

« حسنا ، وماذا يهم اذا كنت فعلت ذلك »

وخرجت يده مرة أخرى واستقرت فوق ركبتها المغطاة فسرت النار فى كيانها بسرعة هائلة .

وقالت « لست أنت السبب فى ذلك » وكان حلقهـــا جافا ، وأستطردت « اننى لا أريدك أن تظن انك السبب فى ذلك ، ولـــكن المســـألة ترجع الى ، فأنا أعـــرف ما أريد ، بل والاكثر من ذلـــك اننى غير معجبـــة بك ، فانت لك رائحـــة مثـــل الجـــدى » ، وتهدج صوتها « أنت لا تعرف نوع الحياة التى أعيشـــها ، فانا أعيش وحيدة ، ولا أستطيع أن أخبر أى شخص بأى شىء .

وكانت عيناه دافئتين ولامعتين ، وبدا كانهما تغسلانها فى حرارة ساخنة .

واستطردت قائلة « ربما اننى لا أشبه أى فتاة أخرى كيف لى أن أعرف ؟ ولكن الأمر لا يرجع اليك ، بل اننى غير معجبة بك » .

فقال جوان « انت تسوقين لنفسك فيضا من الحجج ، أليس كذلك ؟ »

وسألته « اسمع ، ما الذى ستفعله بشأن الاتوبيس ؟ » هل ستذهب الى الطريق ؟ »
وزاد من ثقل يده على ركبتها ثم رفع يده بعيداً عنها ، وقال « سأعود وأخرج الأتوبيس من وهدته ، وأتخلص من أولئك الناس» .
« اذن فلماذا جئت الى هنا ؟ »
فقال « بسبب شيء سار فى الاتجاه الخاطىء ، اعتقدت فى شيء واتضح لى أن اعتقادى غير سليم »
« ومتى ستعود ؟ »
« بعد وقت قصير بعض الشىء »
فنظرت الى يده الملقاة فى استرخاء على القش أمامها وكانت بشرة يده داكنة ولامعة ومتجمدة بعض الشىء
« ألن تحاول ملاطفتى ؟
فابتسم جوان وكانت ابتسامته من الأعماق وصريحة ، « نعم ، اظن ذلك ، ولكن بعد أن تناقشى الأمر مع نفسك ، فأنت الآن أمام الخيارين ، ولربما تقررين فى وقت قريب ما اذا كنت موافقة أو غير موافقة ، أما أنا فسأشغل نفسى فى عمل ما خلال هذه المدة »
« ألا — ألا تريدنى ؟ »
وقال جوان « بالتأكيد ، بالتأكيد . »
« الانك تعرف أننى سأقع فى أحضانك بأية طريقة ، ولذلك فأنت لا تريد أن تتكبد أية مشقة ؟ »
وقال جوان « لا تدخلينى فى مناقشاتك ومحاوراتك ، فأنا الأكبر منك سنا ، وأنا أحب ذلك الأمر ، احبه كثيرا لدرجة أننى أستطيع الانتظار بل وأستطيع الاستغناء عنه لبعض الوقت »
فقالت « انك تجعلنى أكرهك كرها شديداً لأنك لا تعطينى أى قدر من الاعتزاز بالنفس ، كما إنك لا تستخدم أى قدر من العنف يجعلنى أستسلم لك بعده » « انك تحصلين على قدر أكبر من الاعتزاز بالنفس ، اذا تركتك تقررين الأمر بنفسك » .
« حسنا ، اننى لا أحصل على ذلك الاعتزاز »
وقال « لا أظن » ، واستطرد « الفتيات فى بلادى يرغبن فى هذه الأمور على ذلك النحو أيضا ، اذ ينبغى التزلف اليهن أو اغتصابهن بالقوة ، وعندئذ يشعرن بالارتياح لهذا الاسلوب أو ذاك »
« حسنا ، وهل تتصرف أنت دائما بهذه الطريقة التى تسلكها معى ؟ »
فقال جوان « لا ، أننى ألجأ الى هذه الطريقة معك فقط ، فأنت قد جئت الى هنا لهدف معين . وقلت بنفسك أن الأمر لا يتعلق بى»

ونظرت الى أصابعها وقالت « انها لمسألة مضحكة فأنا ما يمكن أن تسميها بالفتاة المثقفة ، واقرأ الكتب والمراجع ، وأنا لست عذراء ، وأعرف الالاف من تاريخ الحالة المرضية وتطورها عند المريض ، ومع ذلك لا أستطيع البدء بالتودد الى الرجل » ، وابتسمت بسرعة وفى دفء ، واستطردت « ألا يمكنك أن تستخدم القوة معى بعض الشئ ؟ »

وامتدت يداه ، وسقطت هى فى المكان المناسب الى جواره فوق القش .

« الن تحثنى على الاسراع ؟ »

وقال « لدينا اليوم بأكمله »

« هل ستحتقرنى أم ستهزأ بى ؟ »

« وما الذى يهمك ؟ »

« حسنا ، اننى أهتم سواء أردت أم لم أرد » فقال « أنت تتكلمين كثيرا للغاية ، أنت فقط تتكلمين كثيراً للغاية » .

« أعرف ذلك ، وهكذا الحال بالنسبة لى طوال الوقت » هل ستأخذنى معك بعيدا ؟ وربما الى المكسيك ؟ » فقال جوان « لا . ولنرى ما اذا كان باستطاعتك أن تكفى عن الكلام لفترة قصيرة » .

الفصل السابع عشر

وأخذ بيميلز المفاتيح من قفل تشغيل الأتوبيس الموجود فوق لوحة الآلات وذهب الى مؤخرة الأتوبيس وفتح القفل الذى يغلق على الأمتعة فى حماية ودفع بالغطاء لأعلى ، فنفذت رائحةالفطائر حلوة الى أنفه ، ونظر المستر برتشارد الى الداخل عبر كتفـــه . وكانت الأمتعة مكدسة فى احكام فى الحقيبة الخلفية للأتوبيس .

وقال بيميلز « أظن ان على أولا أن أخرج جميع الأمتعة لكى اتمكن من الحصول على ذلك القماش المشمع » وبدأ يجذب حقائب السفر المحشورة .

وقال المســـتر برتشـــارد « انتظر ، دعنى أرفع لك الحقائب وانت تشد المشمع ، وبذلك يمكننا أن نتركها كلها فى أماكنها » ، ووقف فوق الاكصدام وراح يشد قاع الحقائب الى أعلى بينما أخذ بيميلز يجذب بشدة طيات المشمع الثقيلة ، وكان بيميلز يجـــذب المشمع من جانب لآخر الى أن استخرجه تدريجيـــا من تحت الأمتعة . وقال بيميلز « ربما يحسن بنا أن نحصل على اثنتين من الفطائر طالما اننا فتحنا حقيبة الأتوبيس ، يوجد التوت والكـــريم بالليمون والزبيب وكريم الكاستارد بالكارأميلا ومن المناسـب الآن تناول قطعة من كريم الكاستارد بالكاراميلا » .

وقال المستر برتشارد « فيما بعد » واســـتطرد « فلنحقق لزوجتى الاستقرار أولا » وأمسك بجانب من قماش المشـــمع الثقيل وأمسك بيميلز بالجانب الآخر وتقدما نحو الصخرة المليئة بالكهوف .

لقد كانت بمثابة تكوينات مألوفة وعادية الى حد ما ، فجـانب التل الصغير قد سقط فى احد الأزمنة القديمة تاركا سطحا ناعمـا من الحجر الجيرى الهش الضعيف . وتدريجيا قامت الرياح والأمطار بأعمال النخر فى المنطقة السفلى بينما ظلت قمة الصـــخرة ثابتة فى مكانها بفعل التربة العليا وجذور الأعشاب ، وعبر العصـــور تكون العديد من الكهوف تحت الصخرة البارزة الناتئة ، وهنا وضـــعت ذئبة صغارها وهنا فى الايام السابقة عندما كانت هنـــاك حيوانات مماثلة جاءت دبة شيباء لتنام ، وفى الكهوف الاكثر ارتفـاعا كانت البومات تجلس أثناء النهار .

ولقد تكونت ثلاثة كهوف عميقة مظلمة عند سفح الصخرة ، كما تكونت فى المنطقة الأكثر ارتفاعا أعداد قليلة من الكهوف الصغيرة ، وأصبحت جميع مداخل الكهوف فى حماية من المطر بسبب النتوء العالى للصخرة ذاتها ، ولم تكن هذه الكهوف من ابتكارات الطبيعة كلية ، اذ أن عصابات الهنود الحمر التى تصطاد بقرالوحش قد استراحت هنا وعاشت هنا ، ثم أصبحت فيما بعد مكانا يتوقف عنده ويستريح فيه الرجال البيض الذين يقطعون المسافات فوق الدواب عبر الريف وقام الرجال بتوسيع الكهوف وشيدوا مواقدهم تحت نتوء الصخرة البارز .

وكان الهباب العالق فوق الحجر الرملى قديما وكان بعضه حديثا بعض الشىء وكانت الأرضية فى الكهوف جافة نسبيا لأن هذا التل الذى سقط احد جوانبه لم يكن يستقبل المياه المنجرفة من التلال الأخرى التى تفوقه ارتفاعا ، وكان عدد قليل من الحروف الأولى للأسماء قد حفرت فى خربشة على الصخرة المتكونة الحجر الرملى ولكن سطح هذه الحروف كان ناعما للغاية حتى انها أصبحت غير مقروءة بعد فترة قصيرة ، وكانت الكلمة الكبيرة الضخمة التوبة **Repent** » التى لا تتأثر بعوامل الطقس هى فقط التى ظلت واضحة ، فالواعظ المتجول قد أنزل نفسه بواسطة حبل لكى يرفع شعار تلك الكلمة العظيمة بالطلاء الأسود ثم انصرف مبتهجا من الطريقة التى كان ينشر بها كلمة الله فى عالم مليىء بالخطايا .

ونظر المستر برتشارد وهو يحمل طرف القماش المشمع الى كلمة « التوبة » ، وقال « ان شخصا ما قد تكبد كثيرا من المشقة » وساءل نفسه فى تعجب : « ترى من الذى قام بتمويل مثل هذه المجازفة » ، واعتقد أن الذى قام بذلك هو أحد المبشرين .

وقام هو وبيميلز بوضع القماش المشمع تحت النتوء البارز الصخرة « ثم ذهبا ليفحصا الكهوف ، وكانت الحفر الضحلة متشابهة الى حد ما ، فالارتفاع حوالى خمسة اقدام والعرض ثمانية أو تسعة أقدام والعمق يتراوح من عشرة الى اثنى عشر قدما واختار المستر برتشارد أبعد الكهوف من جهة اليمين لانه كان يبدو أكثر جفافا ولأنه كان أكثر اظلاما بعض الشىء فى الداخل ، واعتقد أن الاظلام مفيد فى مواجهة صداع زوجته المرتقب ، وساعده بيميلز فى بسط القماش المشمع .

وقال المستر برتشارد « أتمنى أن نحصل على بعض فروع وأغصان شجر الصنوبر أو بعض القش لكى نضعه تحت المشمع »

فقال بيميلز « الاعشاب مبللة للغاية . كما أنه لا توجد شجرة صنوبر واحدة لمسافة خمسين ميلا » .

ومسح المستر برتشارد القماش المشمع بمعصم يده ليرى ما اذا كان القماش جافا . وقال « يمكنها أن ترقد فوق معطفي . ويمكنها أن تضع معطف الفراء الخاص بها فوقها » .

وجاء كل من أرنست وفان برانت لينظرا الى الكهف وقال ارنست « باستطاعتنا أن نبقى هنا لاسابيع لو كان عندنا أى شيء نأكله » .

وقال فان برانت « حسنا . ربما نتأخر الى ذلك الحد . فاذا لم يحضر سائق الاتوبيس مع صباح الغد سأسير على أقدامى . فأنا لا أحمل معى شيئا يذكر من الامتعة » .

وقال بيميلز « يمكنني تقسيم فطيرتين اذا كنتم أيها الناس تريدون الطعام » .

وقال ارنست « قد تكون هذه فكرة حسنة » .

فسأله بيميلز « ما هو النوع الذى تفضله ؟ »

« أوه . أى نوع » .

« الكريم الكاستارد بالكاراميلا لذيذ الطعم . فهو يحتوى على دقيق القمح الصافى بدلا من قشرة الخبز الجافة الخارجية » .

وقال ارنست « ستكون هذه لذيذة » .

وعاد المستر برتشارد الى الاتوبيس من أجل زوجته . وكان شاعرا بالخجل من نفسه بسبب ثورة غضبه التى حدثت منذ وقت قصير . وكانت توجد فى معدته تلك الكتلة الصلبة التى يحس بها دائما عندما لا تسير الامور على ما يرام . وهى كتلة تشبه قبضة اليد . وقد قال له تشارلى جونصون أنه لابد أن يكون مصابا بقرحة فى المعدة . وتناول تشارلى هذا الامر فى شيء من الفكاهة . اذ قال له أنه لا يوجد شخص يقل ايراده السنوى عن ٢٥ ألف دولار مصاب بقرحة المعدة . وقال تشارلى أن قرحة المعدة تعتبر من الاعراض التى تدل على وجود رصيد كبير فى البنك . ولذلك كان المستر برتشارد بطريقة لاشعورية فخورا بعض الشيء بالالام الموجودة فى معدته .

وعندما صعد المستر برتشارد الى داخل الاتوبيس كانت عينا المدام برتشارد مغلقتين .

وقال المستر برتشارد « لقد هيأنا لك سريرك الصغير » ففتحت عينيها وحملقت فيما حولها فى اضطراب وبدون هدف .

وقالت « أوه » .

فقال « أكنت نائمة ؟ ما كان ينبغي لي أن أوقظك • اسف ». •
« لا • يا عزيزى • إنني على ما يرام • كنت فقط في اغفـــــاءة من النوم » وساعدها على الوقوف على قدميها « ويمكنك أن تســتلقى على معطفي وتضعي معطف الفراء الصغير الخاص بك فوقك ». •
فابتسمت في ضعف لدى سماعها نغمة صوته •
وساعدها لدى هبوطها من الاتوبيس وقال « اسف على ما صدر مني من وقاحة يا فتاتي الصغيرة » •
« كل شيء على ما يرام • انك متعب ومرهق فقط • وأنا أعـرف أنك لم تكن تقصد ذلك » •
« حسنا سأطلب لك وجبة عشاء عظيمة في هوليود لكي أعوضك عما حدث • ربما في مطعم رومانوف • مع الشمبانيا • أتحبين ذلك ؟»
فقالت في مداعبة « لا يمكن الثقة فيك بالنسبة للنواحي المتعلقة بالنقود • كل شيء قد نسى الان • لقد كنا فقط في حالة من الاعيـــاء والتعب » •

« يا عزيزتي ايلين • اننا سنحصل على أشهى الطعـــام في مطعم رومانوف • ولن تستطيعي مطلقا أن تخمني من سيكون جالســـا الى المنضدة التالية » •
وقالت « واعجبي !! المطر يكاد يكون قد توقف تماما » •
« فأنا أريد لفتاتي الصغيرة أن تحصل على قدر من النـــوم حتى تصبح نشيطة وعلى ما يرام » •
« أمتأكد من أنه لا يوجد بلل أو رطوبة ولا توجد أى ثعابين ؟ » •
« لا • لقد بحثنا فيما حولنا » •
« ولا عنكبوت ؟ »
« حسنا • لم يكن هناك أى نسيج للعنكبوت »
« ولكن ما العمل مع حشرة (أبو شبت) الضخمة ذات الجســـد المغطى بالشعر ؟ فهذا النوع لا يفرز نسيجا ؟ » •
فقال « باستطاعتنا أن نفتش في المكان مرة أخرى • وعلى كل حال الحوائط ناعمة • ولا توجد هناك أماكن تختبيء فيهـــا الحشرات » وقادها نحو الكهف الصغير « أترين كم هو جميل ؟ ويمكنك أن ترقدى مع رفع رأسك بهذه الطريقة حتى تتمكنى من النظر الى الخارج اذا أردت ذلك » •
وبسط معطفه • وجلست هي عليه •

« والان ، استلقى وأنا سأقوم بوضع الغطاء عليك » .

« كيف حال رأس فتاتى ؟ »

« حسنا . انها ليست على الحالة السيئة التى خشيت أن تصل اليها » .

وقال « هذا شيء حسن . عليك بالنوم قليلا . أتشعرين بالراحة ؟ »

وصدر عنها تأوه بسيط من تأوهات الشعور بالراحة .

« لو أردت أى شيء عليك فقط بمناداتى . فسأكون قريبا منك »

وجاء بيميلز الى مدخل الكهف . وكان فمه مليئا وكان يحمل علبة فطائر « أتحبين أن تأخذى قطعة من الفطير يا ماما ؟ »

فرفعت المدام برتشارد رأسها ثم ارتعدت وأنزلت رأسها وقالت « لا . شكرا لك » واستطردت « انه لشيء لطيف منك أن تفكر فى أمرى . ولكنى لا أستطيع تناول أية فطائر » . وأضافت فى ذهنها « لقد عاملنى اليوت كأننى ملكة ، يا ايلين . وكم عدد الناس الذين يمكنهم أن يفعلوا ذلك بعد أن يكون قد مضى على زواجهم ٢٣ عاما ؟ فأنا أشعر أننى سعيدة الحظ طوال الوقت » .

ونظر المستر برتشارد لاسفل نحوها . كانت عيناها مغلقتين . وكانت هناك ابتسامة صغيرة فوق شفتيها . فشعر بذلك الاسف الفجائى الموحش الذى كثيرا ما هبط عليه . وتذكر . تذكر تماما أول مرة أحس فيها بهذا الشعور . كان يبلغ من العمر خمس سنوات عندما ولدت أخته الصغيرة . وفجأة كانت هناك أبواب مغلقة فى وجهه ولم يكن بمقدوره الدخول الى غرفة الاطفال ولم يكن باستطاعته أن يلمس الطفلة الصغيرة . وشعر أنه قذر دائما بعض الشيء وكثير الصخب والضوضاء ولا يستحق شيئا من الاهتمام . وكانت أمه مشغولة دائما وعندئذ هبطت عليه مشاعر الوحدة الباردة وهى نفس المشاعر التى هبطت عليه لدى اغلاق برنيس عينيها فهذا كان يعنى أنها اعتزلت العالم بأسره ودخلت الى غرفتها الخاصة بها بحيث لم يكن بمقدوره أن يتبعها الى هناك .

وأخرج من جيبه ملقاطه الذهبى الخاص بالاظافر وفتحه وراح ينظف أظافره أثناء سيره بعيدا . ورأى ارنست هورتون جالسا وظهره الى الصخرة على الجانب الاخر من النتوء البارز . وكان الكهف العالى متواجدا فوق رأسه ، وكان أرنست جالسا فوق بعض الجرائد . وعندما اقترب منه المستر برتشارد جذب من تحته ورقة مزدوجة وقدمها للمستر برتشارد .

وقال « أكثر الاشياء فائدة فى العالم . باستطاعتك ان تفعل أى شىء بها فيما عدا قراءتها » .
وضحك المستر برتشارد وأخذ الورقة وجلس عليها بجوار أرنست وقال المستر برتشارد مرددا نفس الكلام الذى سبق أن سمعه من تشارلى جونصون « اذا قرأت خبرا فى الجرائد فهو غير صحيح » . واستطرد « حسنا . ها نحن هنا . منذ يومين فقط كنت أقيم فى جناح بفندق أوكلاند . وهانحن الآن فى كهف . وهذا يدل فقط على أن الانسان لا يستطيع أن يضع خططا » .
وحملق فى الاتوبيس . واستطاع أن يرى من خلال النافذة أن بيميلز كان هناك فى الداخل مع الفتاتين وانهم كانوا يأكلون الفطائر وشعر برغبة قوية فى الانضمام اليهم . يمكنه تناول قطعة من الفطير
وقال ارنست « ان كل الامور تسير على نحو يجعلنى أضحك فى سخرية فى بعض الاحيان ، فنحن كما تعرف من المفروض أن نكون شعبا ميكانيكيا . فكل شخص يقود سيارة وكل شخص عنده ثلاجة وراديو . وأنا أفترض أن الناس يعتقدون بحق أن لهم عقلية ميكانيكية ولكن دع قدرا ضئيلا من التراب والشوائب يدخل الى الكربوريتور وعندئذ ستتوقف السيارة فى المكان الذى تعطلت فيه الى أن يحضر ميكانيكى ويخرج منها الشوائب . ودع نورا ينطفىء وعندها فلابد من مجىء كهربائى ليضع كبسا كهربائيا جديدا . ودع آلة رافعة تتعطل وعندئذ سيكون هناك هلع وفزع » .
وقال المستر برتشارد « حسنا . لا أدرى . وعلى كل حال فالشعب الامريكى فى مجموعه شعب ميكانيكى الى حد ما وأجدادنا قاموا بأعمال عظيمة من أجل أنفسهم » .
« انهم فعلوا أعمالا عظيمة بالتأكيد . وكذلك يمكننا أن نكون مثلهم اذا أردنا . هل باستطاعتك أن تركب ساعة السباق فى سيارتك ؟ » .
« حسنا . أنا ... »
وقال أرنست « فلنذهب الى أبعد من ذلك . فلنفرض أنك اضطررت للبقاء هنا لمدة أسبوعين . أتستطيع أن تقى نفسك من الهلاك جوعا ؟ أم أنك ستتعرض للالتهاب الرئوى وتموت ؟ » .
وقال المستر برتشارد « حسنا . ان الناس كما ترى يتخصصون فى الاعمال الان » .

وأصر ارنست على وجهة نظره « أباستطاعتك أن تذبح بقرة ؟ ايمكنك أن تقطعها الى أجزاء وتطهيها ؟ » .

وادرك المستر برتشارد أن صبره بدأ ينفد مع هذا الشاب . فقال فى حدة « ان الدولة تجتاحها فى هذه الايام موجة من السخرية والتهكم ويبدو لى أن الشباب فقد ثقته فى أمريكا . أما اجدادنا فكانت لديهم الثقة فى أمريكا » .

وقال ارنست « انهم كانوا يسعون وراء لقمة العيش ، لم يكن لديهم متسع من الوقت للثقة والايمان . أما الناس الان فانهم لايعملون كثيرا ومن ثم أصبح لديهم الوقت للثقة والايمان . »

وصاح المستر برتشارد « ولكنهم ليس لديهم أى ثقة أو ايمان . ماذا دهاهم . ما الذى يوجد فى داخلهم ؟ » .

وقال أرنست « اننى لاتعجب . وقد حاولت أن أفهم السر وراء ذلك . فوالدى يؤمن ايمانا راسخا فى مسألتين : احداهما أن الامانة لابد أن تكافأ بطريقة أو بأخرى . كان يعتقد أن الرجل اذا كان أمينا فانه يشق طريقه بنجاح بأية كيفية . كما كان يعتقد أن الرجل اذا اجتهد فى العمل فانه يستطيع أن يجمع لنفسه قدرا من المال مما يحقق له الامن والامان والطمأنينة . والذى جعله يؤمن بالمسألة الاولى هو قبة ابريق الشاى فى الكنيسة وعدد كبير من الاشياء المشابهه . أما الذى جعله يؤمن بالمسألة الثانية فهو عام ١٩٣٠ ميلادية . ثم اكتشف أن أكثر الناس تمتعا باعجاب الاخرين لم يتصفوا بالامانة على الاطلاق ومات وهو يعانى من الحيرة الشديدة المخيفة . لان المسألتين اللتين آمن بهما ايمانا راسخا لم يثبت نجاحهما فى الحياة . لم يثبت نجاح : الامانة وحسن التدبير والتوفير . ولقد صدمت أنا لان أحدا لم يبتكر شيئا بدلا من هذين المبدأين » .

وهز المستر برتشارد هذا الكلام لكى يخر مهد رأسه .

وقال « لا يمكن لك أن تكون حسن التدبير والتوفير وذلك بسبب الضرائب . لقد كان هناك وقت يتمكن فيه الانسان من أن يشترى لنفسه عزبة ، ولكن الانسان لا يستطيع ذلك الان . فالضرائب تلتهم كل شىء . فأنت تعمل فقط من أجل الحكومة . ويمكننى القول بأن الضرائب تدق الفرد مبتدئة برأسه . ولم يعد هناك أحد لديه طموح »

وقال أرنست « لا يوجد هناك فارق كبير بين أن تعمل عند الحكومة أو عند القطاع الخاص اذا كنت مؤمنا بذلك » .

وقاطعه المستر برتشارد قائلا « ان الجنود العائدين من الحرب

هم الذين يثيرون قلقي واهتمامي • فهم لا يرغبون في أن يعيشوا عيشة استقرار ولا يرغبون في الذهاب للعمل • انهم يظنــــون ان الحكومة متكفلة باعاشتهم مدى الحياة مع أننا لا نقدر على ذلك » •

وأصبح جبين أرنست مزركشا بحبات العرق وكان هنـــاك خط أبيض حول فمه ونظرة عليلة في عينيه • وقال في هدوء « أنا كنت في الجيش • ولكن لا تقلق • فأنا لست بصـــدد أن أطلب منك أن توفر لي عملا • لن أفعل ذلك • لا أريد ذلك » •

وقال المستر برتشارد « انني بالطبع أحترم جنودنا كل الاحترام وأظن أنه ينبغي أن يكون لهم صوت » •

وزحفت أصابع أرنست الى العروة في طية صـــدر جاكتته وقال « بالتأكيد • أعرف ذلك • بالتأكيد » وكان يتكلم كما لو كان يخاطب طفلا « لقد قرأت في الجرائد عن أفضل الرجال عندنا • وهم ينبغي أن يكونوا أفضل الرجال عندنا لانهم قد اضطلعوا بأضخم الاعمـــال • وقرأت ما يقولونه وما يفعلونه • وقد اكتسبت عددا كبيرا من الاصدقاء الذين تسميهم صعاليك • ولا يوجد بينهم سوى اختلاف ضئيل للغاية ولقد سمعت أن هؤلاء الصعاليك يقول كلاما له وقع أفضـــل من كلام وزير الخارجية الامريكي ــ أوه • يا للجحيم ؟! » • وضحك • واستطرد « لقد توصلت الى اختراع • عبارة عن طبلة من المطاط تطرق عليهـا بقطعة من الاسفنج • وهي طبلة من أجل المخمورين الذين يرغبون في الدق على الطبول الخاصة بالاوركســـترا • انني ذاهب الان للتريض قليلا » •

وقال المستر برتشارد « أنت عصبي المزاج » •

وقال ارنست « نعم • أنا عصبي • وكل شخص عصـــبي » •• سأقول لك شيئا • اننا اذا دخلنا في الحرب مرة أخرى أتعرف ما هي أفظع الامور شناعة ورعبا ؟ انني سأهب للحـــرب أيضا • وذلك هو أشد الامور شناعة ورعبا » •

ونهض وســـار عائدا الى الاتجاه الذي جاء منه الاتوبيس • وكان رأسه منكسا وكانت يداه في جيبيـــه وكانت أقدامه تضرب على حصى الطريق • وكان قابضا على فمه باحكام شديد ولم يستطع التوقف وقال « انني فقط عصبي المزاج ، وهذا هو كل ما في الامر » •

وحملق المستر برتشارد في أرنست هورتون ثم أخفض من بصره الى أن وقع نظره على يديه فأخرج مبرد أظافره مرة أخرى وراح ينظف أظافره • وكان المستر برتشارد مهزوزا مما حدث • ولم يدر السبب في ذلك • فرغم كل التشاؤم الذي يحس به المستر برتشارد ازاء تدخل

الحكومة في الاعمال التجارية الا انه كان يوجد دائما في مؤخرة عمله تفاؤلات عظيمة · ففي مكان ما كان يوجد رجل مثل كوليدج C oolidge أو هوفر Hover وقد يظهر في الافق ويستولى على الحكم من أيدى هؤلاء الحمقى القائمين على ادارة البلاد وعندئذ تسير كل الامور على ما يرام فتتوقف الاضرابات ويستطيع كل شخص أن يحقق لنفسه ثروة ويصبح سعيدا · وكان المستر برتشارد يعتقد أن ذلك الامر وشيك الوقوع فقد حدثت بعض الاخطاء ولكن الرجل المناسب سيظهر في الافق ـ ربما يكون بوب تافت Bob Taft وعندئذ ستسير الامور بطريقة سليمة هادئة مرة أخرى وتتوقف هذه التجارب الملعونة ·

ولكن هذا الشاب ضايقه لانه شاب متفتح وسريع البديهة ومع ذلك تجتاحه مشاعر اليأس والقنوط · وكان المستر برتشارد يدرك أن ارنست هورتون لن يعطي صوته لصالح بوب تافت اذا رشح أسمه ولو أنه لم يذكر ذلك صراحة · وكان المستر برتشارد ، شأنه في ذلك شأن معظم زملائه يعتقد في المعجزات ولكنه أصبح مهزوزا بعمق بسبب ما حدث · صحيح أن هورتون لم يهاجم المستر برتشارد هجوما مباشرا ولكنه هاجمه في الاونة الاخيرة بخصوص الكاربويتور · وسمح المستر برتشارد لعقله أن يصور له الشكل الذى يكون عليه الكاربوريتور · أكان باستطاعته أن يفك أجزاءه ؟ وأدرك في غير وضوح وجود عوامة في الكاربوريتور واستطاع أن يشاهد في ذهنه الشاشة المصنوعة من النحاس الاصفر وأن يرى الحلقات الموجودة حول البيستون ·

ولكنه قال لنفسه أن أمامه أمورا أخرى أكثر أهمية تستأهل التفكير فيها · فقد قال له هورتون « لو أن الاضواء انطفأت » ـ وحاول المستر برتشارد أن يتذكر المكان الذى توجد فيه صناديق كبس الكهرباء في منزله ولكنه لم يعرف · ان هورتون كان يهاجمه · ان هورتون لم يحبه ولنفرض أن صلتهم انقطعت بالعالم الخارجي بسبب تعطل الاتوبيس كما قال هذا الشاب ·

وأغلق المستر برتشارد عينيه وشاهد نفسه واقفا في طرقة الاتوبيس ورأى نفسه يقول لباقى المسافرين « لا تقلقوا · سأعتني بشئونكم · سأجنبكم الوقوع في المتاعب · فأنا لم أشيد مؤسسة تجارية كبرى دون أن تكون لدى بعض القدرات كما تعرفون ولنحلل الموقف تحليلا منطقيا يتمشى مع العقل السليم · · اننا نحتاج أولا الى الطعام وتوجد هنا بعض الابقار في ذلك الحقل هناك » · وهورتون قد قال عنه أنه لا يعرف كيف يذبح بقرة · حسنا انه

سيبين له كيف أنه يعرف ذلك . ان هورتون لم يكن يعرف أنه يوجد مسدس فى قسم خاص فوق لوحة الالات . ولكن المستر رتشارد كان يعرف ذلك .

وأخرج المستر برتشارد المسدس . وخرج من الاتوبيس وسار بعيدا تجاه الحقل وتسلق سورا . وأمسك بالمسدس الكبير الاسود في يده . لقد سبق للمستر برتشارد أن ذهب مرات كثيرة لمشاهدة الافلام السينمائية . وبطريقة لا شعورية أحدث ذهنه انفصالا . فلم يشاهد نفسه وهو يذبح البقرة أو يقطع أوصالها وانما رأى نفسه وهو يعود ثانية الى النتوء البارز ومعه كتلة ضخمة من اللحوم الحمراء وقال « ها هو طعام لكم . ولاشعل الان نيرانا » . وأحدث انفصالا مرة ثانية . وكانت النيران تتواثب وكانت قطعة كبيرة من اللحم معلقة فوق عصى على اللهب .

وقالت كاميل « ولكن ما العمل ازاء الاستيلاء على ذلك الحيوان ؟ فهو ملك لشخص ما » .

وأجاب المستر برتشارد « الضرورة لها أحكام . فقانون البقاء يأتي فى المرتبة الاولى من حيث الاهمية . ولا يمكن لاى شخص أن يتوقع منى أن أترككم تهلكون جوعا » .

وفجاة أحدث انفصالا مرة أخرى وهز رأسه وفتح عينيه وهمس لنفسه « ابتعد عن ذلك ، يجب الابتعاد عن ذلك » . ترى أين رآها من قبل ؟ لو استطاع فقط التحدث اليها لفترة قصيرة فانه قد يتوصل الى حقيقة ذلك الامر . وكان يدرك أنه لم يكن خاطئا فى تصوره لان وجهها قد أعطاه احساسا راسخا فى صدره . ولابد انه لم يرها مجرد رؤية عادية فقط وانما قد حدث أيضا بشكل أكيد . ونظر نحو الاتوبيس وكان بيميلز والفتاتان ما زالوا فى الداخل .

فنهض واقفا على قدميه وراح يربت على مؤخرة بنطلونه كما لو إن الورقة التى جلس عليها لم تحمه من التراب . وكان المطر يتساقط فى شكل رذاذ خفيف بعض الشيء . وفى الغرب كانت توجد مساحات صغيرة من السماء الزرقاء الصافية . وأصبح من المتوقع أن يصير الجو على ما يرام . فسار الى الاتوبيس وتسلق الدرج صاعدا الى الداخل . وكان فان برانت ممددا على المقعد الخلفى الذى يشغل الاتوبيس بالعرض فى المؤخرة . وكان يبدو على فان برانت انه نائم . وكان بيميلز والفتاتان يتحدثون بصوت منخفض لكى لا يقلقوا نومه .

قال بيميلز « ما أريده فى الزوجة هو أن تكون مخلصة » .

وقالت كاميل « وما الامر بالنسبة لك ؟ هل ستحرص على أن تكون مخلصا لها أيضا » .
فقال بيميلز « أكيد . سأكون مخلصا لها اذا كانت بمثابة النموذج السليم للزوجة » .
« حسنا . ولنفرض أنها ليست كذلك ؟ » .
« حسنا . عندئذ سأريها شيئا أو شيئين . سأريها أن الاثنين يمكن أن يلعبا تلك اللعبة . مثلما فعل كارى جرانت فى ذلك الفيلم السينمائى » . وعلى المقعد الذى يوجد فى الجانب الاخر من المجموعة كانت توجد علبة فطير شاغرة وكذلك علبة فطير أخرى قد ترك بها ربع فطيرة فقط .
وكانت الفتاتان تجلسان سويا أما بيميلز فكان يجلس بالعرض على المقعد الموجود أمامهما وقد وضع ذراعه على ظهر المقعد .
ونظروا جميعا لاعلى عندما دخل المستر برتشارد الى الاتوبيس .
« أيوجد مانع من أن أجلس معكم ؟ » .
فقال بيميلز « تفضل » واستطرد « أترغب فى تناول قطعة من الفطير ؟ توجد قطعة فى هذا المكان بالضبط » ثم ناول القطعة للمستر برتشارد وحرك العلبتين الشاغرتين حتى يتمكن من الجلوس .
واستطردت كاميل « هل لك الان صديقة ؟ » .
« حسنا . حسنا ، يمكن القول أن لى صديقة ولكنها . ولكنها حمقاء بشكل ما » .
« أهى مخلصة لك ؟ »
وقال بيميلز « بالتأكيد » .
« كيف تسنى لك معرفة ذلك ؟ »
« حسنا ، ليس باستطاعتى أبدا ـ أقصد ـ نعم . أنا متأكد من اخلاصها » .
وقال المستر برتشارد فى مداعبة « أظن أنك ستتزوج فى وقت قريب بعض الشىء ، وأعتقد أنك ستدير عملا تجاريا لحسابك الخاص » .
وقال بيميلز « لا . لن يتم ذلك قبل مرور فترة معينة . لاننى ادرس الان بالمراسلة . فالرادار يوفر للانسان مستقبلا عظيما . فالاجر يصل الى ٧٥ دولارا فى الاسبوع . والعمل فيه مستمر طول العام » .
« أهذا صحيح ؟ »

« أعرف أشخاصا حصلوا على تلك الدراسه • وبعثوا الى بخطابات وقالوا أنهم يحصلون على ذلك الاجر • وقد حصل أحدهم عقب مرور سنة واحدة على منصب مدير المنطقة » •

فتساءل المستر برتشارد « مدير منطقة لاية شئون ؟ »

« مدير منطقة فقط • فذلك هو ما قاله لى فى خطابه • كما أن هذا مطبوع على خطابه فى الجزء العلوى المخصص للعنوان الخاص به »

وكان المستر برتشارد قد أخذ يشعر بالتحسن مرة أخرى اذ كانت هذه حالة من حالات الطموح أمامه • معنى ذلك أن الناس جميعا لا يميلون الى التهكم والسخرية والزهد فى الحياة •

وقالت كاميل « متى ستتزوج على ما تظن ؟ » •

وقال بيميلز « لم يحن الوقت المناسب لذلك بعد • فمن رأيى أنه ينبغى على المرء أن يجوب العالم لبعض الوقت قبل أن يهدأ ويستقر فى نطاق الحياة الزوجية • يجب على الانسان أن يقوم ببعض الاسفار • ولربما أعمل فى باخرة • والانسان الذى يتعلم الرادار فانه يتعلم اللاسلكى أيضا •

وفى تصورى أننى ربما أعمل على باخرة وأكون عامل لاسلكى لبعض الوقت » •

وتساءل المستر برتشارد « ولكن متى تنتهى من دراستك ؟ » •

« حسنا • الدروس ستبدأ فى وقت قريب بعض الشىء • وقد ملأت جميع الكوبونات وكتبت جميع الاوراق الخاصة بذلك • وأنا والان أقتصد النقود اللازمة لكى أسدد المصاريف نقدا وبالكامل ، ولقد أجروا لى اختبارا ، وقالوا أننى على قدر كبير من الموهبة والذكاء ، وقد وصلنى منهم ثلاثة أو أربعة خطابات » •

وكان الارهاق باديا على عينى كاميل • ونظر المستر برتشارد الى وجهها • وكان يدرك أن عينيه كانت مستترة وراء نظارته • وظن أن لها وجها جميلا اذا مانظرت اليه عن كثب • وان كانت شفتاها فى تلك اللحظة ممتلئتين للغاية ومتميزيتين بالود والصداقة • كل ما هنالك أن الارهاق كان باديا فى عينيها • وراح يفكر :

انها قطعت المسافة كلها ابتداء من شيكاغو فى الاتوبيسات • ولم يكن يبدو عليها أنها قوية بالقدر الكافى • وكان باستطاعته أن يرى ثدييها الممتلئين تحت ملابسها ، وكانت ملابسها مكرمشة : وكانت قد قبلت الاسورة الفرنسية لقميصها من الداخل الى الخارج لكى تكون الحواف نظيفة • فلاحظ المستر برتشارد ذلك • واعتقد أن هذا يعنى

أنها حريصة على النظافة والاناقة ، وراح يدرس بعض التفاصيل الدقيقة ٠
وشعر أن هذه الفتاة تكاد تشبه العطر ٠ وأحس بالاثارة والجوع وقال لنفسه أن المسألة ترجع فقط الى أن المرء نادرا ما يشاهد فتاة كهذه من حيث شدة الجاذبية والجمال ٠ وبعدئذ سمع نفسه وهو يتكلم دون أن يعرف أنه كان بصدد التحدث ٠
قال « آنسة أوكس ٠ لقد كنت أفكر في شيء خطر على ذهني ٠ واعتقدت أنك ربما تحبين الانصات لهذه الفكرة البسيطة التى جاءتنى والتي تتعلق بالعمل التجارى ، فأنا رئيس مؤسسة تجارية كبيرة للغاية ٠ وظننت ــ حسبنا ٠ وانى متأكد أن هذين الشخصين الصغيرين في السن سيسمحان لنا بأن نتركهما لفترة قصيرة ٠ هذا اذا لم يكن عندك مانع من سماع أفكارى ، أيمكنك الذهاب معى الى الصخرة هناك ؟ وأنا معى بعض الجرائد لنجلس عليها » ٠ ودهش من نفسه لقوله هذا الكلام ٠
وقالت كاميل لنفسها « أوه ، يا الهى ٠ ها هى المتاعب آتية فى الطريق » ٠
ونزل المستر برتشارد من الاتوبيس أولا ثم ساعد كاميل في مرعوة على النزول من الاتوبيس وأمسك بمرفقها وهى تخطو عبر الحفرة ثم أرشدها فى رفق الى الجرائد المفروشة التى سبق أن جلس عليها ارنست ٠ وأشار بيده لها لكى تجلس ٠
فقالت كاميل « أوه ٠ لست أدرى ٠ لقد ظللت جالسة لفترة طويلة » ٠
وقال المستر برتشارد « ربما التغيير في المكان يجعلك تشعرين بالراحة ٠ فأنا عندما أقضى الساعات الطويلة فى العمل جالسا الى مكتبى أقوم بتغيير ارتفاع الكرسى الذى أجلس عليه كل ساعة تقريبا واكتشفت أن هذا العمل يجدد نشاطى » ، وساعدها على الجلوس على الجرائد ٠ وغطت ركبتها بجونلتها ٠ وجلست محتضنة ركبتيها الى صدرها ٠
وجلس المستر برتشارد بجوارها ٠ وخلع نظارته ، وقال « لقد كنت أفكر ، ان أى رجل فى مثل مركزى ينبغى عليه ــ كما تعرفين ــ أن ينظر للامام ويخطط للمستقبل ٠ وأنا الان ، من حيث المصطلح الفنى فى أجازة » ٠ وابتسم واستطرد « أجازة ــ ولست أدرى على أى وجه تكون الاجازة الحقيقية » ٠

وابتسمت كاميل • وشعرت بالارض جافة للغاية تحتهـا • ولم تعرف كم من الوقت سيستغرقه هذا الحديث •

وقال المستر برتشارد « ان المادة الخام الرئيسية لاى شركة ناجحة هى الان العنصر البشرى • ولذلك فأنا دائم البحث عن العنصر البشرى باستطاعة الانسان الحصول على الصلب والمطاط فى أى وقت ولكنـه من الصعب عليه الحصول على الاذهان والمواهب والطموح والجمال » •

فقالت كاميل « اسمع يا سـيدى • اننى أشعر بالتعب الى حد مخيف » •

« أعرف ذلك يا عزيزتى ، سأدخل فى الموضـوع مباشرة • اننى أريد لك أن تعملى موظفة عندى • وتلك هى أبسط صيغة يمكننى أن أقولها لك » •

« وما هو نوع العمل الذى ستلحقنى به ؟ » •

« تعملين كفتاة استقبال ، وهو عمل تخصصى للغاية • وبعد ذلك يمكنك أن تصبحى ـ حسنا تصبحى سكرتيرة خاصة لى » •

وكان ذلك هو أقصى ما يمكن أن يقوله لكاميل • ونظرت كاميل الى مدخل الكهف الذى ترقد فيه المدام برتشارد الا أنها لم تتمكن من رؤية أى شىء « وما الذى ستقوله زوجتك ازاء ذلك الامر ؟ » •

« حسنا • وما الذى يمكنها أن تفعله ازاء ذلك ؟ انها لا تدبر لى أعمالى ولا تصرف لى شئونى » •

« سيدى • اننى كما قلت لك أشعر بالارهاق الشديد • لا داعى لان نتوصل الى اتفاق فى هذا الشأن ، فأنا أرغب فى الزواج • وربما أكون زوجة ممتازة تعيش عيشة الاستقرار مما يجنبنى القلق والمتاعب لبعض الوقت • بل وربما أكون مخلصة للرجل الذى أتزوجه » •

فقال المستر برتشارد « لا أعرف ما تهدفين اليه » •

فقالت كاميل « أنت تعرف • وأنت لن تشعر بالارتيـاح نحوى لاننى لا أجعل الامور تسير وفق هواك • فأنت تريد أن تكسـب ودى وتتملقنى لبضعة شهور ثم تفاجئنى باجراء غير متوقع لكى تجبرنى على ذلك الامر • ولكننى الان أكاد أكون مفلسة وأنت تقول أن زوجتك لا تدبر شئون عملك التجارى ولكنى أقول انها تفعل ذلك • انها تتصرف فى أمورك وفى عملك التجارى وفى كل شىء يتعلق بك • اننى أبذل جهودا لكى أكون لطيفة معك ولكننى أشعر بالارهاق • ومن المحتمـل أن تكون هى التى تختار لك هيئة السكرتارية الخاصـة بك دون أن تدرى • انها امرأة تتصف بالقسوة والصلابة » •

« اننى لا أعرف عم تتحدثين ؟ » •

وقالت كاميل « أنت تعـــرف • ومن الذى اشترى لك رابطــة عنقك ؟ » •

» حسنا ــ » •

« ان زوجتك ستكشف أمرى فى دقيقة واحدة ، ستكشف أمرى، والان دعنى أتكلم معك كلمات قليلة • انك لا تستـطيع أن تطلب من فتاة ما تريده منها بكل صراحة ، فتضطر لان تلف وتدور حول الموضوع ولكن لا يوجد هناك سوى طريقين يا سيدى ، فأنت اما أن تقــع فى الحب والغرام واما أن تقترح عملا • ولو أنك قلت لى (ها هو السبيل اليك • مبلغ كبير للغاية من أجل نفقات الشقة ومبلغ كبير مماثل من أجل الملابس) لكنت قد توصلت الى قرار فى هذا الشأن ولكان ذلك الاسلوب قد نجح معى • ولكنى لن أدع نفسى أتآكل وأنقــرض حتى الموت بسبب الدولارات • أتريد أن تفاجئنى بعد شهرين أو ثلاثة عقب جلوسى الى احدى المكاتب ، لقد أصبحت كبيرة فى الســـن الى درجة تجعلنى لا أرحب باللعب » •

وكان ذقن المستر برتشارد شامخا فى كبرياء واعتزاز بالنفس • وقال « زوجتى لا تدير لى أعمالى • ولست أدرى كيف حصلت على هذه الفكرة ؟ » •

فقالت كاميل « أوه ، دعك من هذه النقطة » •

واستطردت « ولكننى باستطاعتى أن أثور على مجموعة من الحيات الرقطاوات الشبيهات بزوجتك اذا لم يشعرن نحوى بالمودة والارتياح»

وقال المستر برتشـــارد « اننى مندهش من اتجاهاتك ، فأنا لم أفكر مطلقا فى أى شىء من هذا القبيل • لقد حاولت فقط أن أعــرض عليك وظيفة • ويمكنك أن توافقى أو ترفضى » •

فقالت كاميل « أوه • اذا كنت تضلل نفسك وتدفع نفســك الى الاعتقاد فى ذلك • فالله يكون فى عون أى فتاة تحصل عليها • فهى لن تعرف مطلقا المكان الذى تقف عليه » •

فابتسم المستر برتشارد وقال « انت فقط تشـــعرين بالارهاق والتعب • وآمل عندما تحصلين على قســـط من الراحة أن تفكرى فى هذا الامر وتقولين لى رأيك » •

وكان الحماس قد تخلى عن صوته وعندئذ شعرت كاميل بالارتياح واعتقدت أنها قد ارتكبت خطأ لانه كان من السهل للغاية التعامل معه بالشكل الذى يرضيها فهو ، لا يعدو أن يكون طفلا رضــيعا • وكان باستطاعة لورين أن تأخذ منه قميصه فى يوم واحد •

ورأى المستر برتشارد وجهها حينئذ بشكل مختلف اذ شاهد فى وجهها الصلابة والتحدى • وما أن تم هذا عن كثب حتى رأى المكياج والطريقة التي كان موضوعا بها ، وشعر أنه عاريا أمام هذه الفتاة وتضايق لانه سمح لها أن تتحدث اليه بهذه الطريقة • وهو كان قد وضع في خطته أنه لو سارت الامور على ما يرام فانه سيتصرف على ذلك النحو ولكن المشكلة هي أنها قد عرفت مقدما خطته فكشفت ألاعيبه •

وكان مضطربا ومرتبكا ومن خلال اضطرابه بدأ الغضب يزحف في داخله مرة ثانية • وكان تعرضه للغضب مرتين في يوم واحد يعتبر أمرا غير طبيعي بالنسبة له • وكانت رقبته قد بدأت تكتسى باللون الاحمر بسبب مشاعر الغضب • وكان عليه أن يتخلص من انفعالات الغضب من أجل صالحه هو • فقال فى اقتضاب « اننى بكل بساطة عرضت عليك وظيفة وأنت لا تريدنها • وهو كذلك فهذا يرجع اليك• ولكن لا داعي لان تكونى مبتذلة فهناك ما يسمى بالذوق الذى تتصف به النساء » •

فظهرت الحدة في صوتها وقالت « اسمع يا ماك ان باستطاعتى أن أغلظ فى القول أيضا • فسيدة الاعمال هذه تفعل ذلك • اننى سأقول لك شيئا : لقد ظننت أنك رأيتنى من قبل • والان فانى أسألك : أأنت تنتمى لاية نوادى مثل : الاكتاجون الدولى أو ذى بيردز أوف ذا ورلد أو نادى توفيفتى ـ ثرى ثاوزاند ؟ » •

فقال المستر برتشارد فى فتور « أنا عضو فى نادى الاوكتاجون»

« أتذكر تلك الفتاة التى تجلس فى كأس الخمر ؟ لقد رأيت الشكل الذى تبدون عليه أيها الاولاد • وأنا لا أعرف ما تحصلون عليه من وراء ذلك ولا أريد أن أعرف • ولكنى أدرك أن ذلك ليس أمرا حسنا يا سيدى • وربما قد تعرف سيدة اذا رأيت واحدة • لست أدرى » •

وبدأ صوتها يتهدج قليلا • وكانت تتعرض فى الغالب لهستيريا الارهاق • فقفزت واقفة على قدميها « اننى ذاهبه الان للنزهة يا ماك ولا تحاول احداث متاعب لى لاننى أعرفك وأعرف زوجتك » •

وسارت بعيدا على وجه السرعة • وشاهدها المستر برتشارد وهى تنصرف • وكانت عيناه متسعتين وكان صدره يرزح تحت هم ثقيل وتحت نوع من الرعب الفيزيقى الذى يعتمل فى داخله الى أقصى مراحله وشاهد جسدها الجميل وهى تتمخطر وتتمايل أثناء ذهابها • ورأى ساقيها الجميلتين وقام ذهنه بخلع ملابسها فظهرت واقفة بجانب

الكأس الضخم بينما الخمور تنساب فى جداول حمراء اللون فوق بطنها وفخذيها وردفيها ٠

وكان فم المستر برتشارد مفتوحا ٠ وكانت رقبته حمراء للغاية ٠ ثم أشاح بنظره بعيدا عنها وراح يفحص يديه ٠ وأخرج مبرد أظافره الذهبى ثم أعاده الى جيبه مرة أخرى وهبط عليه شىء من الدوار ٠ووقف فى حيرة ٠ ثم سار تحت الصرة متجها الى الكهف الصغير الذى ترقد فيه المدام برتشارد ٠

وفتحت عينيها وابتسمت لدى دخوله اليها ، واضطجع المستر برتشارد الى جوارها بسرعة وجذب معطفها لاعلى وزحف تحته ٠

فقالت « يبدو عليك الارهاق يا عزيزى اليوت » ماذا تفعل ؟ اليوت !! »

وقال « اخرسى ، أتسمعيننى ؟ اخرسى ٠ أنت زوجتى ٠ أليس كذلك ؟ ألا يكون للزوج أية حقوق على زوجته ؟ » ٠

« اليوت ٠ أنت مجنون ٠ سيراك ـ سيراك أى شخص » ٠

وقاومته فى هلع ورعب وقالت « اننى لا أعرف » واستطردت « اليوت ٠ انك تمزق ردائى » ٠

« لقد اشتريته ٠ أليس كذلك ؟ لقد سئمت من أن أعامل كأننى قط مريض » ٠

وراحت برنيس تبكى بهدوء فى خوف ورعب ٠ وعندما تركها أخذت تبكى ووجهها ملقى فى استرخاء على معطف الفراء الخاص بها ٠ وتدريجيا توقف بكاؤها ثم جلست ونظرت الى الخارج من خلال فتحة الكهف ٠ وكانت عيناها متوحشتين ٠ ثم رفعت يديها ووضعت أظافرها على خدها وجذبت الاظافر لاسفل مرة واحدة على سبيل التجربة ثم عضت شفتها السفلى ونزلت بأظافرها لاسفل محدثة خدوشا وقطوعا ٠ وشعرت بالدماء تنساب فى بطء من الاجزاء المخدوشة فمدت يدها ولوثتها فوق أرضية الكهف ثم حكت التراب فى خدها النازف بالدماء فانسابت الدماء لاسفل عبر التراب وهبطت الى أسفل ذقنها حتى وصلت الى الجزء الاعلى من ردائها ٠

الفصـــل الثامن عشر

وخرج كل من ميلدريد وجوان من الاســـطبل • وقالت ميلدريد « انظر ! لقد توقف المطر • وانظر الى الشمس فوق الجبال • سيصبح الجو جميلا » •

فابتسم جوان •

وقالت ميلدريد « انني كما تعرف أشعر أنني رائعة •• أشـــعر أنني فى قمة السعادة » •

وقال جوان « أكيد » •

« أتشعر بأنك رائع الى الحد الذى يجعلك تمسك لى مرآتى ؟ فأنا لا أستطيع أن أرى ما بداخلها هناك »

وأخرجت مرآة صغيرة مستديرة من حقيبة يدها وقالت :

« هنا • لا • أعلى من ذلك قليلا » ومشطت شـــعرها على وجـه السرعة • وربتت بالبودرة فى رفق على خديها ووضعت أحمر الشفاه وحملقت عن كثب للغاية فى المرآة لانها كانت ترى على مسافة قصيرة للغاية « أتظن أننى ثرثارة بشكل لا يتناسب معى كفتاة غير عذراء ؟ »

فقال « أنت على ما يرام • وأنا معجب بك » •

« مجرد اعجاب فقط ، ولا شيء أكثر من ذلك ؟ » •

« أتريدين منى أن أكذب عليك ؟ » •

فضحكت « أظن أننى أريد ذلك بعض الشيء • لا ـ لا أريد ذلك هل تريد أن تأخذنى معك الى المكسيك ؟ » •

« لا » •

« وهذه هى نهاية المطاف إذن ؟ ألا يوجد هناك أى شيء اخر ؟ » •

فسألها جوان « وكيف لى أن أعرف ؟ »

وأعادت المرآة واحمر الشفاه الى حقيبة يدها ونعمت أحمر الشفاه على شفتيها بوضع شفة فوق أخـــرى • ثم قالت « نظف معطفى من القش • ممكن ؟ » •

واستدارت • وراح جوان ينظف معطفها بيده • واستطردت قائلة « لان والذى ووالدتى لا يعرفان شيئا عن هذه الامور • فأنا واثقة من أنهما ينظران الى على أننى غير مدنسة وطاهرة تماما • لقد غرست أمى بذرتى • غرست بصلة من أجود الانواع قبل أن يجيء الثلج ثم مالت على التربة والرمال والسماد » • وكانت تشعر بالدوار • « ألا نستطيع الذهاب الى المكسيك ؟ وما الذى سنفعله الان ؟ » •

« سأعود واخرج الاتوبيس من وهدته وأقوده الى سان جوان » ثم سار نحو بوابة الاسطبل القديم ·

« أباستطاعتي أن أمسك بيدك لبعض الوقت فقط ؟ » ·

فنظر جوان الى يده ذات الاصبع المبتور في جزئه الاعلى وبدأ يتحرك الى الجانب الاخر ليعطيها يده الكاملة ·

فقالت « لا · أنني أحب تلك اليد الاخرى » ثم أمسكت يده وراحت تحك اصبعها فوق الجلد الناعم للمكان المتبور ·

فقال « لا تفعلي ذلك · لان هذا يثير أعصابي » ·

فأمسكت يده في احكام وقالت « لا داعي لان أضع نظارتي على عيني » ·

وكانت سلاسل الجبال الواقعة الى الشرق منهما ساطعة وذهبية مع غروب الشمس · واستدار كل من جوان وميلدريد نحو اليمين وبدءا في الصعود الى أعلى التل في اتجاه الاتوبيس ·

« أستقول لي شيئا كأجر ـ حسنا كأجر لي على ارتكاب الخطيئة معك ؟ » ·

فضحك جوان « وماذا تريدين ؟ » ·

« لماذا اتجهت الى هنا ؟أظننت أنني كنت سأجيىء وراءك الى هنا ؟»

فسألها جوان « أتريدين أن أذكر لك الحقيقة أم تريدين مجرد المداعبة واللعب ؟ » ·

« حسنا · أريد كلا الامرين · ولكن لا · أظن أنني أريد الحقيقة أولا » ·

فقال جوان « حسنا · لقد كنت في طريقي للهروب · كنت بصدد شق طريقي عائدا الى المكسيك وأختفي نهائيا · وأترك المسافرين يهتمون بشئون أنفسهم » ·

« أوه · ولماذا لم تفعل ذلك ؟ » ·

فقال « لست أدري · لقد سارت الامور بطريقة غير مستحبة · فعذراء جود البيوت أوقعتني في الحفرة · ولكنني أعتقد أنني خدعتها · وهي بالطبع لا تحب الخداع · فأماتت الحماس اللازم لتنفيذ فكرتي »

وقالت له في جد « انك لا تعتقد في ذلك · وأنا أيضا لا أعتقد في ذلك القول ، فما هو اذن السبب الحقيقي ؟ » ·

« السبب الحقيقي لاى شيء » ؟ ·

« السبب الحقيقي في مجيئك الى ذلك المكان القديم ؟ » ·

فاستمر جوان في المسير وانفرج وجهه عن ابتسامة مشرقة فأبعدت

الندبة الغائرة فوق شفته الابتسامة عن مركزها · ونظر لاسفل اليها وكانت عيناه السوداوان دافئتين · « لقد جئت الى هنـا على أمل أن تخرجي للنزهة · وخطر على ذهني أنني قد أتمكن من التوصـل اليك والفوز بك » ·

فلفت ذراعها حول ذراعه وجذبت بشدة على كم جاكتته · وقالت « انني أتمنى استمرار ذلك الامر لفترة أطول قليلا · ولكنني أعرف أن ذلك لن يحدث · مع السلامة يا جوان » ·

فقال « مع السلامة » · وسارا في بطء عائدين تجاه الاتوبيس ·

الفصـــل التاسع عشر

كان فان برانت يرقد ممددا على المقعد الخلفى للاتوبيس • كانت عيناه مغلقتين ولكنه لم يكن نائما • وكانت رأسه مستندة على ذراعه الايمن • وتسـبب ثقل رأسه فى منع سريان الدماء الى يده اليمنى سريانا كاملا •

وعندما غادر المستر برتشارد وكاميل الاتوبيس ظل بيميلز ونورما صامتين لبعض الوقت •

وأنصت فان برانت الى الكهولة وهى تزحف فى أوردته • وكان باستطاعته أن يحس بحفيف الدماء فى شرايينه الدقيقة كالورق كما كان باستطاعته سماع قلبه الذى يدق فى صفير حاد قصير • وكانت يده اليمنى على وشك التنميل والتخـدير ولكن يده اليسرى هى التى سببت له الضيق والمتاعب اذ لم يكن بها قدر وفير من الاحسـاس • اذ كانت بشرة يده اليسرى خالية من الاحساس كما لو كانت مصنوعة من المطاط السميك • وهو كان يدلك يده عندما يكـون وحيـدا لكى يعيد اليها الدورة الدموية وكان يعرف حقيقة أمره ولكنه لم يذكر ذلك صراحة لنفسه الا فيما ندر •

وهو منذ شهور قليلة أغمى عليه لفترة قصيرة فقط • وقام الطبيب بقياس ضغط الدم وأخبره أن يأخذ الامور ببساطة كما طمأنه وأوضح له أنه سيتحسن ويصبح على ما يرام • ومنذ أسبوعين فقط حدث له شىء اخر • اذ كان هناك وميض كهربائى فى رأسه خلف عينيه عبارة عن احساس شبيه بضوء قوى أزرق فاتح يخطف بالابصار بشـكل مريع استمر لثانية واحدة فقط فأدى هذا الى فقد قدرته على القراءة • الا أن هذا لم يؤد الى فقد الرؤية تماما • اذ كان يرى بوضوح بالقدر الكافى ولكن الكلمات فوق أى صفحة من الورق كانت تسبح وتجرى مع بعضها البعض وتتلوى كالثعابين مما أدى الى تعذر متابعتها وفهم معناها •

وكان يدرك تماما أنه قد تعرض لهجومين صـغيرين فجائيين من المرض • ولكن ذلك كان سرا لم يبح به لزوجته وهى نفسـها كانت تعرف عنه ذلك السر وأخفته عنه والطبيب عرف ذلك وأخفاه عن كليهما وانتظر • انتظر حدوث هجوم اخر • وكان يدرك أن الهجوم الجديد

سيحدث وميضا في ذهنه وميضا يسري في أرجاء جسده مما قد يؤدي الى قتله أو تخدير جميع احساساته • وكان يدرك أن ذلك الامر قد حوله الى شخص حاد المزاج وساخط وغاضب من كل شخص • وتزاحم في حلقه الغضب الفيزيقي من جميع الاشخاص المتواجدين حوله •

وجرب جميع النظارات التي يمكن الاستعانة بها فاستخدم نظارة مكبرة لدى قراءته للصحف والمجلات لانه هو نفسه كان يحاول بنصف ذهنه اخفاء حالته الصحية عن نفسه بحيث تظل سرا • وأصبحت ثورات غضبه تتفجر عنه بطريقة فجائية ودون سابق انذار • ولكن الرعب الحقيقي بالنسبة له هو أنه أصبح يصيح في عويل وصراخ دون أن يتمكن من التوقف وكبح جماح نفسه •

ومنذ وقت قريب استيقظ في الصباح الباكر وقال لنفسه « ولماذا ينبغي على انتظار حدوث ذلك ؟ » •

لقد مات والده بسبب نفس الشيء ولكنه قبل أن يموت ظل طريح الفراش مثل الدودة الرمادية التي لا حول لها ولا قوة لمدة ٢١ شهرا حتى أنه أنفق جميع الاموال التي اقتصدها لمواجهة شيخوخته على روشتات الاطباء • وكان فان برانت يدرك أنه لو حدث له نفس الشيء فان رصيده في البنك الذي يصل الى ٨٠٠٠ دولار ستذهب أدراج الرياح بحيث لا يتبقى شيء لزوجته عقب دفنه ومواراته التراب •

وبمجرد أن فتحت مخازن الادوية أبوابها في ذلك اليوم ذهب الى صديقه ميلتون بوستن صاحب مخزن أدوية بوستن •

وقال « أريد أن أقدم السم لبعض حيوانات السنجاب يا ميلتون• اعطني قليلا من مادة السيانيد السامة • ممكن ؟ » •

فقال ميلتون « انها مادة خطيرة للغاية • وأنا لا أحب بيعها • ويمكنني أن أعطيك شيئا من مادة الاستركنين السامة • فهي تقوم بنفس المهمة » •

فقال فان برانت « لا » واستطرد « لقد حصلت على نشرة حكومية بها صيغة جديدة تروج للسيانيد » •

فقال ميلتون « حسنا • وهو كذلك • وسيكون عليك أن توقع في دفتر السموم بالطبع • ولكن يجب عليك الاحتراس من تلك المادة يا فان • احترس منها • ولا تتركها فيما حولك » •

لقد كانا صديقين حميمين لسنوات عديدة • وقد التحقا بالمحفل الازرق Blue lodge سويا ونفذا الى المناصب العليا ومع تعاقب السنين شغلا منصب المعلم المقدس الموقر لمحفل سان يسيدرو • وبعدئذ

صعد ميلتون الى الرويال آرش Royal Arch والى الاسكوتش رايت Scottish Rite أما فان برانت لم يتخط الدرجة الثانية ·
ولكنهما ظلا صديقين ·

« ما هي الكمية التي تريدها من هذه المادة ؟ »

« حوالى أوقية فيما أظن »

« هذه كمية كبيرة للغاية · يا فان » ·

« سأعيد اليك الجزء الذي لا أستخدمه » ·

وشعر ميلتون بالخوف والارتعاد · وقال « لا تلمس هذه المادة بيديك على الاطلاق · ممكن ؟ » ·

فقال فان برانت « أعرف كيفية استخدامها » ·

ثم ذهب الى غرفة مكتبه في بدروم منزله ووخز ظهر يده بمطواة جيب حادة · وعندما خرجت كمية ضئيلة من الدماء فتح الانبوبة الزجاجية المحتوية على البلورات الكريستال ، وعندئذ توقف لم يستطع أن يفعل ذلك · لم يستطع أن يغمس الكريستال فى الجرح

وبعد ساعة أخذ الانبوبة الى البنك ووضعها فى صندوق الودائع الخاص به الى جوار وصيته وبوليصات التأمين الخاصة به · وفكر فى شراء أنبوبة صغيرة ليضعها حول عنقه ، بحيث اذا جاءته النوبة يضعها فى فمه مثلما فعل أولئك الناس فى أوربا · ولكنه لم يستطع أن يأخذها فى هذه الرحلة · فربما لا تجىء له النوبة الكبرى ·

وكانت هناك أثقال من اليأس ومشاعر الاحباط فى داخله كما كانت هناك موجات من الغضب فى أعماقه · فجميع الناس المحيطين به الذين لم يكونوا فى طريقهم الى الموت كانوا يثيرون غضبه · وشىء آخر كان يضايقه · فقد أزاحت نوبة المرض الفجائى النقاب عن احدى الممنوعات عنده · اذ أخذ يشعر فجأة مرة أخرى برغبات قوية وراح ينجذب انجذابا لاهثا نحو النساء بل ونحو الفتيات المراهقات · وأصبح لا يستطيع أن يمنع عينيه وفكره عنهن · وفى ذروة رغباته المريضة قد ينفجر باكيا بالدموع · وكان يشعر بخوف مثل خوف طفل من منزل غريب غير مألوف له ·

وكان كبيرا فى السن على نحو لا يسمح له بالتوافق مع التغييرات التى حدثت فى شخصيته عقب نوبة المرض وما نتج عن ذلك من طبيعة جديدة له · وهو لم يسبق له مطلقا أن كان قارئا جيدا · ولكن ما أن أصبح غير قادر على القراءة حتى أخذ يشعر بالرغبة الشديدة فى القراءة وأصبح مزاجه أكثر حدة وعنفا طوال الوقت حتى أن الناس الذين

عرفوه لسنوات طويلة بدأوا يتجنبونه ويتخلون عنه ..
وأنصت للوقت وهو يمر فى شرايينه . وأراد للمـوت أن يجيء
ولكنه كان خائفا من الموت في نفس الوقت . ومن خلال عينيه شـبه
المغلقتين شاهد الضوء الذهبى لغروب الشمس يدخل الى الاتوبيس .
لتحركت شفتاه قليلا وقال « المساء . المساء . المساء » وجاءت الكلمة
جميلة للغاية . وكان باستطاعته سماع الصفير فى قلبه . وهبطت عليه
مشاعر عارمة منتفخة فى صدره ومتورمة فى حلقه ونابضة فى رأسه
وتراءى له أنه سيصبح فى صراخ وعويل مرة ثانية . وحاول أن يقبض
يده اليمنى ولكنها كانت نائمة ولم تنقبض .
وبعدئذ صار متخشبا متصلبا بفعل التوتر . وبدا جسده ممددا
مثل قفاز من المطاط مملوء بالهواء . وتوهج ضوء المساء فى داخله .
وفى مؤخرة عينيه جاء وميض مخيف مرفوف . وشعر بنفسه يتشقلب
ويتشقلب نحو ألوان رمادية ونحو ظلام وفى سواد وفى سواد ..
ولامست الشمس التلال الغربية وبسطت نفسها . وكان ضوؤها
أصفر وصافيا . وكان الوادى المشبع بالماء متألقـا تحت الضـــوء
المنبسط . وكان الهواء النظيف المغسول هشا . وفى الحقول أحكمت
الغلال المنبسطة وجذوع أشجار الشوفان البرية الفاقدة الحركة وثاق
نفسها . وارتخت أوراق الخشخاش الذهبية الداخلة فى غمدها بعض
الشيء . وكان النهر الاصفر يغلى ويلف ويدور فى شكل دوامة ويقطع
جسوره فى شر مستطير وعنف شديد . وفى المقعد الخلفى للاتوبيس
كان فان برانت يشخر بصوت خشن فوق سقف فمه . وكانت جبهته
مبللة وكان فمه مفتوحا . وكذلك كانت عيناه .

الفصـــل العشــرون

وانتقل بيميلز الى المقعد الموجود بجوار نورما • فجمعت جونلتها حولها بطريقة مهذبة وانزلقت قليلا الى جوار النافذة •

وسألها في شيء من الشك • « ماذا يريد ذلك الرجل العجوز من تلك الفتاة على ما تظنين ؟ » • وقالت نورما « لا أدرى • ولكننى أقول لك شيئا واحدا • انها تستطع التعامل معه بلبباقة • فهى فتاة رائعة »

وقال بيميلز « أوه • لا أعرف ذلك ، فهناك أخريات رائعات » •

فسرى الغضب في داخل نورما وقالت له في سخرية :

« مثل من ؟ »

وقال بيميلز « مثلك » •

فقالت « أوه » ولم تكن تتوقع سماع هذا القول • ونكست رأسها وحملقت في أصابعها المزدانة محاولة استعادة توازنها •

وقال بيميلز « ما هو السبب في ذهابك وتركك العمل » •

« حسنا • كانت المدام شيكوى غير لطيفة معى » •

« أعــرف ذلــك • فهى غير لطيفة مع أى شخص ، ولكننى أود الا تتركى العمل ، فربما نتمكن من مواجهة الحياة سويا » •

فالتزمت نورما بالصمت • وقال بيميلز « أنا تحت أمرك • اذا كنت تريدين طعاما سأخرج لك واحدة من فطائر الزبيب • فهى لذيذة الطعم » •

« لا •• لا • شكرا • لا أستطيع تناول أى شيء » •

« أأنت مريضة ؟ »

« لا » •

« حسنا • لو أنك عدت الى العمل في الكورنرز فلربما نســتطيع الذهاب الى سان يسيدرو في أيام السبت ليلا ونرقص سويا وأشياء من هذا القبيل » •

فقالت « أنت لم تفكر في هذا الامر من قبل » •

« لاننى كنت أعتقد أنك غير معجبة بى » •

وكانت قد أصبحت آنئذ على قدر من الدهاء والمكر • وكانت هذه لعبة ممتعة • فقالت له « وما الذى يجعلك تظــن أننى معجبــة بك الآن ؟ » •

« حسنا . أنت الان مختلفة عن ذى قبل . طرأ عليك نوع من التغيير . انني أحب تسريحة شعرك الجديدة » .

فقالت « أوه . تلك ، حسنا . لا يوجد هناك أى داع لان أعود ثانية الى صالة الطعام . فمن ذا الذى سيرانى هناك ؟ » .

فقال بيميلز فى شهامة ومروءة « أنا الذى سأراك ، ارجعى الى العمل . فهم سيعطونك وظيفتك مرة أخرى . وأنا أضمن لك ذلك » .

فهزت رأسها « لا . عندما أترك العمل فأنا أترك العمل . لا رجعة فى ذلك . لن أركع على ركبتى وأعود اليهم . والى جانب ذلك فالمستقبل أمامى . فنحن قد وضعنا خططا » .

« وما هى هذه الخطط ؟ » .

ولم تدر نورما ما اذا كان عليها أن تخبره . فالتحدث فى مثل هذه الامور يجلب فى بعض الاحيان الحظ السيىء . ولكنها لم تستطع كتمان السر فى داخلها « اننا سنحصل على شقة صغيرة بها كنبة كبيرة من النوع الذى يتحول الى سرير فى حالة الضرورة . وبها راديو ، وسيكون لدينا موقد وثلاجة . كذلك سألتحق بالدراسة لكى أصبح ممرضة فى طب الاسنان » . وكانت عيناها لامعتين .

« من الذين تقصدينهم بكلمة (نحن) ؟ » .

« أقصد بكلمة نحن : أنا والانسة كاميل أوكس . عندما أصبح ممرضة للاسنان سيكون باستطاعتى أن أرتدى الثياب الجميلة وسنذهب الى العروض السينمائية وغيرها من العروض الاخرى وربما نتناول العشاء فى الخارج من وقت لاخر » .

فقال بيميلز « كلام فارغ . لن تفعلى ذلك أبدا » .

« وما الذى يجعلك تقول ذلك ؟ » .

« لن تفعلى ذلك . وهذا هو كل ما فى الامر . والان . لماذا لا تعودين الى الكورنرز ؟ اننى أقوم بدراسة الرادار وسوف نخرج سويا فى بعض الاحيان ومن يدرى فربما يرتبط مصيرنا ببعض . ولكنك تأخذين فتاه ــ وهذه الفتاة على وشك أن تتزوج . أما أنا فشاب صغير . وانه ــ وانه لمن المناسب للشاب الصغير أن تكون له زوجة . فذلك يعطى له نوعا من الطموح » .

فنظرت نورما فى وجهه نظرة مستفيضة مليئة بالتساؤل والاستفسار لترى ما اذا كان يهزأ بها . وكان هناك شىء مباشر فى نظرتها مما جعل بيميلز يحرف المعنى المستتر وراء نظرتها . فنظر بعيدا عنها فى خجل وارتباك .

وقال فى مرارة « أعرف · أنت تظنين أنك لا تستطيعين الذهاب للنزهة مع شاب تعلو وجهه هذه الاشياء · لقد فعلت المستحيل · وانفقت ما يزيد على خمسمائة دولار فى الذهاب للاطباء وشراء الادوية من مخازن الادوية · ولكن كل ذلك لم ينفع · وقال لى أحد الاطباء أن هذه البثور لن تدوم طويلا · وقال أنها ستتلاشى فى خلال عامين اخرين ولكننى لا أعرف ما اذا كان هذا القول سيتحقق »·واستطرد فى وحشية « اذهبى الى سبيلك واحصلى على شقتك الملعونة · وربما أحصل أنا على متع فى الحياة لم تسمعى عنها من قبل · ولست ملزما بسماع الكلام الفاضى من أى شخص وتصديقه » وكان صوته بائسا للغاية ، وحملق لاسفل نحو حجره ·

ونظرت نورما اليه فى دهشة ، فهى لم يسبق لها أن عرفت هذا النوع من الالم الدنىء فى أى شخص اخر باستثناء ذاتها · حيث لم يسبق لاحد أن كان بحاجة لنورما من أجل الحنان أو اعادة توكيد الذات · فانفجرت فى داخلها فقاقيع من الدفء ونوع من الامتنان والتقدير ·

وقالت « لا تفكر على ذلك النحو · لا يجب عليك أن تفكر بهذه الطريقة · لان أية فتاة اذا اهتمت بأمرك لن تفكر مثل ذلك التفكير · والطبيب الذى قال لك أن البثور ستتلاشى يعرف تماما ما يقوله · كما أننى سبق لى أن عرفت ثلاثة اخرين كانوا يعانون من البثور وتلاشت هذه البثور بعد فترة قصيرة » ·

وظل بيميلز منكسا رأسه · كان البؤس لا يزال فى داخله · ولكن كان الشيطان يتحرك فى داخله فى نفس الوقت · وأحس أن كفة الميزان تميل الى داخله فبدأ يستغل الموقف · وكان ذلك الامر جديدا عليه · كان بمثابة اكتشاف جديد · وهو دائما ما كان يتحدث فى عنف وحرية مع الفتيات فى شىء من التباهى والتفاخر وكان ذلك أمرا سهلا للغاية وبدأ شيطان خبيث يعمل فى داخله ·

وقال « حسنا ، انها تظهر فقط ولا يستطيع الانسان تحملها · بل اننى فى بعض الاحيان أعتقد أننى سأقتل نفسى » وأرغم نفسه على التظاهر بالبكاء مع شىء من التنهيد ·

فقالت نورما « والان · لا تقل هذا الكلام » ·

وكانت هذه مهمة جديدة بالنسبة لها أيضا ولكنها مهمة تتناسب معها ربما بشكل افضل من أى انسان اخر ·

وقال بيميلز « لا أحد يحبني » واستطرد « لا أحد يشغل باله من أجلي » ٠

وكررت نورما قولها « لا تقل مثل هذا الكلام ٠ فهذه ليست حقيقة فانا معجبة بك دائما » ٠

« لا ٠ أنت لم تشعري نحوي بالاعجاب أبدا » ٠

« أؤكد لك ذلك » ٠ ثم وضعت يدها على ذراعه لتؤكد ذلك المعنى وفي اندفاع أعمى ارتفع بهامته لاعلى وضغط بيده على ذراعها ، وأمسكت ذراعه ذراعيها واعتصر أصابعها فتراجعت للخلف تلقائيا ، واستدار في مقعده ولف ذراعيه حولها ودفع بوجهه الى وجهها ٠

فصاحت « لا تفعل ذلك ٠ كف عن ذلك !! »

فأمسك بها في مزيد من الاحكام ٠

وقالت « توقف عن ذلك ٠ كف عن ذلك ، فذلك الرجل العجوز موجود في الخلف هناك » فهمس بيميلز قائلا :

« استمعي الى شخير ذلك الرجل العجوز أبن الحرام ، ان شخيره يدق أذنه ٠ هيا تعالى ٠ تعالى » ٠

وحشرت مرفقيها على صدره لكي تباعد بينها وبينه ٠ وبدأت يداه تجذبان بشدة جونلتها فهمست قائلة :

« توقف ٠٠ عليك فقط بالتوقف » ٠ وأدركت آنئذ أنها وقعت في حيله وألاعيبه ٠ « كف عن ذلك ٠ دعني أخرج من هنا » ٠

فقال لها في حماس مجنون « هيا تعالى ٠ أرجوك ٠ هيا تعالى » وكانت عيناه متوهجتين ولامعتين ٠ وكان يصارع مع جونلتها ٠

« كف عن ذلك ، أرجوك أن تكف عن ذلك ، ولنفرض أن كاميل جاءت ودخلت الاتوبيس ؟ ولنفرض أنها رأت هذه الامور التي تفعلها » فزالت الغيوم عن عيني بيميلز لبعض الوقت ٠ ونظر اليها والشرر يتطاير منه « ولنفرض أنها رأتنا ٠ فما الذي يهمك اذا رأتنا هذه الفتاة الافاقة الملعونة ؟ » ٠ وهنا انفرج فم نورما واسترخت عضلاتها ونظرت اليه في غير تصديق وكأنها لم تسمع ما قاله ٠ وبعدئذ جاءها الغضب باردا وفتاكا ٠ وتصلبت عضلاتها الناشفة بسبب العمل في شيء من التوتر وجذبت يدها بشدة وخلصتها منه وضربته على فمه ثم قفزت ناهضة على قدميها وهبطت عليه بجماعي يديها ٠ ففزع للغاية وغطى وجهه بيديه ليحمي نفسه ٠

وكانت تصرخ غاضبة في وجهه كالقطة المعتوهة وقالت « أنت ثعلب ماكر ! » واستطردت « أوه ٠ أيها الثعلب القذر الصغير ! »

وراحت تركله وتدفعه الى الخارج نحو طرقة الاتوبيس • ثم خرجت الى الطرقة ومنها الى خارج الاتوبيس • وتشابكت أقدامه فى دعائم المقاعد وحاول أن يتدحرج • وهبط على نورما الاعياء والتعب والمرض • وكانت شفتاها ترتعدان • وكان عيناها تسيل بالدموع • وصاحت « أوه • الثعلب القذر • الثعلب القذر الذى تشمئز منه النفس » •

وعبرت الحفرة وألقت بنفسها على العشب ووضعت رأسها لاسفل بين ذراعيها • ونهض بيميلز على قدميه ونظر خلسة من نافذة الاتوبيس الى الخارج • وتملكته الحيرة ولم يدر ماذا يفعل •

وكانت كاميل تسير ببطء عائدة على الطريق فشاهدت نورما مستلقية على العشب وقد أطرقت برأسها لاسفل فخطت عبر الحفرة وانحنت عليها « ماذا حدث ؟ هل وقعت على الارض ؟ وماذا دهاك » ؟

فرفعت نورما وجهها المليء بالدموع وقالت « انني على ما يرام » فقالت لها كاميل فى اقتضاب « انهضى • انهضى من فوق ذلك العشب المبلل » وانحنت لاسفل وحركت نورما الى أن وقفت على قدميها وسارت بها الى المكان الموجود تحت الصخرة وأجلستها على الجرائد المطوية « والان قولى بحق الجحيم ماذا حدث لك ؟ » •

فمسحت نورما وجهها المبلل بالدموع بكمها وأتلفت بذلك اخر جزء من أحمر الشفاه وقالت « لا أريد التحدث فى ذلك الامر » • فقالت كاميل « حسنا • ذلك يرجع اليك فهذه مسألة خاصة بك » •

« انه ذلك الولد بيميلز • لقد أمسك بى » •

« حسنا ، أليس باستطاعتك حماية نفسك ؟ أكان عليك أن تجذبى نفسك جذبة قوية لاسفل ؟ »

« لم يكن ذلك هو السبب » •

« حسنا • وما هو السبب اذن ؟ » ولم تكن كاميل فى الحقيقة تشعر بالشغف والاهتمام • اذ كان لديها ما يكفيها من متاعبها ومشاغلها الخاصة بها •

ومسحت نورما عينيها الحمراوين بأصابعها وقالت :

« لقد ضربته • ضربته لانه قال عنك انك أفاقة » •

فأشاحت كاميل بنظرها بعيدا على وجه السرعة وحملقت عبر الوادى بينما كان اخر جزء من قرص الشمس يختفى خلف الجبال ثم دلكت خدها بيدها • وكانت عيناها كئيبتين ولكنها أرغمتهما على الحيوية وعلى الابتسام وأعطت الابتسامة لنورما •

وقالت « اسمعى • يا أختاه • سيكون عليك فقط أن تصدقى

هذا الى أن تكتشفي بنفسك حقيقة هامة وهي أن كل شـــخص يكون افاقا في مرحلة ما من مراحل حياته • كل شخص بدون اســتثناء • وأسوأ الافاقين على الاطلاق هم أولئك الذين يطلقون على الصياغة اسما اخر » •

« ولكنك لست أفاقة • »

فقالت كاميل « أتركي ذلك الامر » • واستطردت « أتركي ذلك الامر الان • هيا بنا • فلنحاول أن نفعل شيئا مع وجهك • وصحيح أن وضع أحمر الشفاه من جديد لن يكون جميلا مثلما يتم في الحمـام ولكنه أفضل من لا شيء » •

وفتحت كاميل حقيبة يدها وراحت تبحث بجد في داخلهـــا واستخرجت مشطا •

الفصل الحادى والعشرون

وأسرع جوان الخطى حتى أن ميلدريد وجدت مشقة فى السير بمحاذاته • فسألته « اينبغى علينا أن نجرى ؟ » •

« من السهل علينا كثيرا اخراج الاتوبيس من وهدته اذا كان ضوء النهار ما زال موجودا • فذلك أفضل من التعثر فى الظلام » •

وهرولت على الطريق بجانبه « أتظن أن باستطاعتك اخراجه ؟ »

« نعم » •

« حسنا • اذن لماذا لم تفعل ذلك فى بادىء الامر بدلا من السير بعيدا ؟ »

فأبطأ من خطواته للحظة وقال « لقد أخبرتك ، أخبرتك مرتين »

« أوه • نعم • اذن فأنت كنت تقصد ذلك حقا » •

وقال جوان « اننى فى الحقيقة أقصد كل شىء » •

ووصلا الى الاتوبيس بعد أن انزلقت الشمس تحت سلسلة الجبال ولكن السحب العليا كانت مضاءة بلون وردى وكانت تلقى شفافية وردية فوق الاراضى والتلال •

وتحرك بيميلز فى خفية خارجا من خلف الاتوبيس عندما اقترب جوان • وكان يبدو عليه نوع من الانكماش العدائى • وسأل بيميلز « متى سيجيئون الينا لنجدتنا ؟ » •

فقال جوان فى اقتضاب « لم أستطع احضار أى شخص » واستطرد « سيكون علينا أن نفعل ذلك الامر بأنفسنا • سنحتاج للمساعدة • أين بحق الجحيم جميع الاشخاص الموجودين معنا ؟ » •

فقال بيميلز « انهم مبعثرون هنا وهناك » •

« حسنا • أخرج القماش المشمع »

« لقد أخذته تلك السيدة المستلقية هنالك » •

« حسنا • أيقظها • وأنا أريدك أن تبحث عن بعض الصخور والحجارة وتحضرها الى هنا كما أريد ألواحا خشبية سميكة أو بعض الاعمدة وقد نضطر الى هدم جانب من السور • ولكن يجب المفتوح ودفع اللسان له أسفل والى الامام • ثم صاح « بيميلز !!

فانفرج فم بيميلز متدليا وارتخت كتفاه ٠
« انك قلت ٠٠٠٠٠ »
استدعى جميع الرجال لاننى سأحتاج للمساعدة ٠
وسأحضر أنا الرافعة الضخمة من تحت المقعد الخلفى ٠
وتسلق جوان صاعدا الى الاتوبيس ٠ وكان الجو مظلما بعض الشىء فى الاتوبيس آنئذ ٠ وشاهد فان برانت مستلقيا على المقعد الخلفى فقال له « عليك بالتحرك حتى أستطيع استخراج الآلة الرافعة » ٠ وفجأة انحنى جوان عن كثب ٠ كانت عينا الرجل العجوز مفتوحتين ومتدحرجتين ٠ وكان ينبعث من فمه شخير منتظم كما كان هناك لعاب حول زاويتى فمه ٠ فقلبه جوان على ظهره فسقط لسانه فى حلقه مما أدى الى انسداد حركة الشهيق عنده ٠ فأدخل جوان أصابعه فى الفم المفتوح ودفع اللسان الى أسفل والى الامام ٠ ثم صاح ٠ بيميلز !! بيميلز !! » وراح يطرق بيده الشاغرة فوق النافذة مستخدما خاتم زواجه المصنوع من الذهب ٠ فصعد بيميلز الى الاتوبيس ٠
« هذا الرجل مريض ٠ ياللهول ٠ استدعى الناس لكى يقدموا العون والمساعدة ٠ أنفخ فى البوق » ٠
وكان المستر برتشارد هو الذى اضطلع برعاية فان برانت ٠ وكان يكره ذلك الامر الا أنه اضطر للقيام به ٠ وقطع جوان قطعة صغيرة من الخشب وأوضح للمستر برتشارد الطريقة التى يبقى بها اللسان لاسفل بحيث يحشر هذا الوتد بين سقف الفم واللسان حتى يتمكن الرجل العجوز من التنفس ٠ وأثار منظر الرجل العجوز اشمئزاز المستر برتشارد ونفوره بل وأصيب بالغثيان بسبب الرائحة الحمضية المرة التى تنبعث من الصدر الذى يعتمل بالتنفس ٠ ولكنه كان عليه أن يقوم بذلك العمل ٠ ولم تكن لديه الرغبة فى التفكير فى أى شىء ٠ كان ذهنه يرغب فى التوقف ٠ ودخلت زوجته الى الاتوبيس ورأته فاتخذت لنفسها المقعد الاول خلف الباب بحيث تكون على أبعد مسافة ممكنة منه ٠ واستطاع أن يرى حتى تحت ضوء الغسق الخدوش والدماء الموجودة فوق ياقتها ٠ ولم تتحدث اليه ٠
وقال فى ذهنه « لابد أننى قد أصبت بالخبل والجنون ٠ اننى لا أدرى كيف فعلت ذلك ٠ ألا يمكنك يا عزيزتى أن تتصورى أننى كنت فقط مريضا وخارجا عن صوابى ؟ » وقال فى ذهنه أنه سيقدم لها بيت الاركاديا الصغير ٠ ولكنه لن يكون مثل البيوت الصغيرة وإنما سيشيد

لها أجمل بيت أركاديا يمكن أن تشتريه النقود . ولكنه لن يستطيع ذكر ذلك لفترة طويلة . سيكون عليهم الاستمرار في رحلة المكسيك وهي قد تكون رحلة مرعبة ولكن سيكون عليهم الاستمرار فيها . وياترى كم من الوقت سينقضى قبل أن تنمحى تلك النظرة من عينيها ويزول التأنيب والشعور بوقوع الاذى عليها وتتلاشى اتهاماتها له ؟. كان يدرك أنها ربما لا تتكلم لايام عديدة أو عندما تتكلم سيكون كلامها متسما بالادب الجم والاجابات المقتضبة والصوت العذب وقد لا تتقابل عيناها مع عينيه . وراح يفكر « أوه . يا الهى . كيف تسنى لى الدخول فى هذه الامور ؟ ولماذا لم أكن أنا الذى يعاني من سكرات الموت هنا بدلا من ذلك الرجل العجوز ؟ فهو لن يتعرض مطلقا لاى شيء بعد الآن » .

وكان يحس بالرجل يعمل فى الاتوبيس تحته . كان يسمع ضربات الجاروف وأزيز الطين والوحل كما كان يسمع الاحجار التى تلقى تحت العجلات . وكانت زوجته تجلس فى تخشب وقد ظهرت فوق شفتيها ابتسامة تنم على التسامح والغفران . ولم يكن يعرف حتى ذلك الوقت الطريقة التى ستتبعها فى تناول الموقف . ولكنها ستتوصل الى طريقة معينة .

وكانت هى حزينة . وقالت لنفسها « يجب الا أفكر فى الشر . فمجرد استسلام اليوت للنزعات المتوحشة ليس مبررا لان أفقد جمالى وتسامحى وغفرانى » . وكان هناك خفقان من النصر فى داخلها . وهمست لنفسها : « لقد انتصرت على الغضب . لقد انتصرت على الاشمئزاز . باستطاعتى أن أعفو عنه . أعرف أن باستطاعتى العفو عنه . ولكن من أجل صالحه هو يجب ألا يتم عفوى عنه فى وقت مبكر للغاية ـ من أجل منفعته هو سيكون على أن انتظر » وكان وجهها مليئا بالوقار والمعاناة .

وفى الخارج كان بيميلز يصنع الاعاجيب والمعجزات باستخدام عضلاته فى صبر وجلد وثبات وعزم . وقد أتلف الطين حذاءه الاكسفورد ذا اللونين . وربما أتلف هو حذاءه متعمدا . وكانت هناك طبقة من الطين فوق بنطلونه البنى الكاكاوى . لقد أتلف ملابسه الجميلة اتلافا شديدا . ودفع بيميلز بجاروفه فى الارض وراح يحفر لاسفل خلف العجلات وتحت الجوانب ويلقى بالطين الى الخارج ونزل على ركبتيه فى الوحل لكى يستخدم يديه . وكانت عيناه الذئبيتان تلمعان بسبب المجهود وندف العرق فوق جبينه . وراح يرقب جوان بنظرة جانبية . لقد نسى جوان . نسى فى الوقت الذى كان فيه بيميلز فى أشد الحاجة اليه

أكثر من أي وقت مضى . وكان بيميلز يضرب بجاروفه في الارض ضربات قوية مليئة بالحماس .

وأخذ ارنست هورتون معولا وعبر الحفرة وراح يلتقط الإعشاب والجذور وأعالي التربة ويزيحها بعيدا الى أن وجد ما كان يريده ألا وهي قطع الاحجار المتكسرة الناجمة عن الانهيار القديم الذى أصاب التل . فرفع تلك الاحجار وكومها على العشب بجانب الحفر .

وجاءت كاميل اليه وقالت له « سأساعدك فى نقل بعض هذه الاحجار الى مكان الاتوبيس » .

فقال لها ارنست « سيؤدى ذلك الى اتساخك تماما » فقالت « لن أصبح أكثر اتساخا مما أنا عليه الآن »

ووضع ارنست رأس المعول على الارض وقال « ألن ترغبى فى اعطائى رقم تليفونك ؟ اننى أرغب فى الخروج للنزهة سويا » .

فقالت كاميل « لقد قلت لك الحقيقة . فأنا لا أسكن فى أى مكان الآن . وبالتالى ليس لى رقم تليفون » .

وقال ارنست « افعلى ما بدالك »

« لا . أنا أقول لك الصدق . أين تقيم أنت ؟ »

فقال ارنست « هوليود ـ بلازا »

« حسنا . انك اذا تواجدت فى الردهة حوالى الساعة السابعة بعد غد فلربما أجيىء لك فى ذلك الموعد »

وقال ارنست « هذا كلام جميل . وسوف آخذك الى مطعم (ماسو فرانك) لنتناول طعام العشاء »

فقالت « اننى لم أقل أننى سأجيىء . ولكننى قلت أننى ربما أجيىء . فلست أعرف الحالة الصحية التى سأكون عليها . فاذا لم أظهر أمامك في الموعد المحدد فلا تلقي بساعتك على الارض . فأنا مرهقة لدرجة اننى لا أستطيع التفكير فى أى شىء » .

« هذا كلام جميل . سأظل ملاصقا ذلك المكان وسأنتظرك حتى السابعة والنصف » .

وقالت كاميل « انت شاب لطيف »

وقال ارنست « لست سوى مصاص آخر » . واستطرد « لا تأخذى تلك الاحجار الكبيرة . فتلك سأحضرها . عليك فقط بأخذ الاحجار الصغيرة » .

فالتقطت قطعة من الصخور فى كل يد وسارت نحو الاتوبيس .

وذهب جوان الى السور القديم واقتلع الاعمدة من الارض • اقتلع ثمانية منها بالتبادل وذلك لكى لا تسقط الاسلاك الشائكة على الارض • وحمل الاعمدة الى مكان الاتوبيس ثم عاد ثانية ليحمل المزيد منها •

وكان الشفق الاحمر الوردى قد أخذ يتحول الى لون أحمر شاحب • واستقر فوق الوادى غسق يميـــل للظلمة • وثبت جوان رافعته على عامود وتحت حافة اطار العجلة ثم رفع أحد جـوانب الاتوبيس وعندما ارتفعت العجلة راح بيميلز يملأ الحفرة الموجودة تحت الاطارات بقطـع الصخور • •

وأمسك جوان مسكة قوية أخرى ورفع مرة ثانية فارتفع تدريجيـا أحد جوانب الاتوبيس من الوحل وحرك جوان رافعته الى الجانب الآخر ورفع العجلة الاخرى •

وكانت كاميل ونورما تحملان قطع الصخور لملأ الحفر بها بينما راح ارنست يضرب في الارض لاستخراج المزيد من قطع الصخور •

وتساءلت ميلدريد « وما الذى يمكننى أن أفعله ؟ » فقال لها جوان « امسكى بهذا العامود فى ثبات الى أن أحضر عتلة أخرى » وكان يعمل فى سباق وحشى مع الظلام الزاحف • وكانت جبهته تلمع بالعـــرق • وجمع بيميلز قطع الصخور تحت العجـــلات وهو راكع على ركبتيه فى الوحل فارتفع الجانب الاخر للاتوبيس عن الوحل •

وقال جوان « فلنرفعه لمسافة أعلى من ذلك حتى لا نضطر الى تكرار هذا العمل • ويهمنى أن توضع هذه الاعمدة تحت العجلات » •

وما أن انتهوا من مهمتهم حتى كاد الظلام يخيم عليهم • « وعلى كل فرد ان يقوم بدفع الاتوبيس عندما أبدأ • فلو أمكننا فقط التقدم لمسافة ثلاثة أقدام سنصبح على مايرام » •

وتساءل بيميلز « وما هى حالة الطريق أمامنا ؟ »

« يبدو أنه على مايرام • يا الهى • لقد أتلفت ملابســـك الى حد بعيد » •

وكان وجه بيميلز مريضا بخيبة الامل • وقال « المسالة لم تصـل الى شىء • وما فائدة الملابس ؟ » وكانت نغمة صوته يائسة للغاية حتى ان جوان اضطر لآن يحملق فيه من خلال الظلام المهيمن نســبيا على المكان • وابتسم جوان ابتسامة مزمومة أدت الى رفع شفتيه : « سيكون عليك الاهتمام بهذا الجزء الخلفى هنا يا كيت أثناء قيــامى بالقيادة • اجعلهم يلقون بثقلهم على الاتوبيس عندما أتحــرك به للامام • وأنت تعرف الطريقة • عليك بالاهتمام هنا فى الخلف يا كيت » •

فالقى بيميلز بجاروفه وصاح « هيا · أقبلوا · ادفعوا الاتوبيس · سأتولى أنا الجانب الايمن · الفتيات يشتركن أيضا فى الدفع · على كل شخص أن يشارك فى دفع الاتوبيس » ورتب أفراد شـعبه خلف الاتوبيس · ونظر فى نهم وجوع واشتهاء للحظات الى المدام برتشـارد الجالسة داخل الاتوبيس وقال « أظن أنها ستعرقل عملية الدفع » ·

وتسلق جوان صاعدا الى الاتوبيس · وقال للمســتر برتشـارد « أخرج لتساعد فى دفع الاتوبيس » ·

ودار الموتور بسهولة بالقدر الكافي · وجعـل جوان الموتور يدور لبعض الوقت ثم نقله الى السرعة البطيئة ثم طـرق مرتين على جـانب الاتوبيس وسمع بيميلز يرد عليه بأن طرق مرتين على حائط الاتوبيس الخلفية · ثم زاد جوان من سرعة موتوره قليلا وعشق الدبرياش فدارت العجلات وانزلقت وزئرت ودارت وتهـادى الاتوبيس « حبيبة القلب » في بطء وتثاقل فوق الصخور وتسلق صـاعدا فوق الطريق · وجذب جوان الاتوبيس خارجا به من الوحل فوق الطريق ثم اسـتخدم فرامل اليد لايقاف الاتوبيس · ونهض ونظر من الباب الى الخارج ·

« عليك فقط بتجميع الآلات هنا على أرضية الاتوبيس · هيا بنا · فلنبدأ فى الرحيل »

وأضاء كشافاته · فانتشر الضوء فوق الطريق المليء بالحصى والى مسافة تصل الى قمة التل الصغير ·

الفصل الثاني والعشرون

وسار جوان بالاتوبيس في بطء شـــديد فوق التل وهبط به على الطريق المليىء بالحصى المبلل بالماء والذى يمر الى جوار المنزل المهجور . وعندما استدار بأتوبيسه سقطت أضـــواؤه الامامية فوق المنزل الذى لا عيون له وفوق طاحونة الهواء المكسورة وعلى الاسطبل . وكان الليل حالك السواد الا أن نسمات جديدة هبت حاملة معهـــا رائحة التلقيح المنبعثة من الاعشاب ورائحة الترمس الطيبة المعطرة . وشقت المصابيح الامامية الظلام على الطريق . وطارت بومة فى ومضة سريعة داخلة الى مساحة الضوء ثم خارجة منها . والى الامام بعيدا على الطريق نظر أرنب عابر للطريق الى الاضواء حتى أن عيناه توهجتا فى احمرار ثم قفز بعيدا عن الطريق الى داخل الحفرة .

وأبقى جوان الاتوبيس على السرعة الثـــانية وتفادى بعجلاته جرة العجلات القديمة المقعـــرة المليئة بالميـــاه . وكان الاتوبيس من الداخل مظلما فيما عدا الاضاءات الصغيرة الجانبية . وسمح جوان لعينه بالقاء نظرة سريعة خاطفة على العذراء . وقال فى ذهنه « سـأطلب منك الآن شيئا واحدا فقط . لقد تخليت عن المطلب الاول . ولكنه سيكون لطيفا منك اذا استطعت أن تجعليها مخمورة عندما أعود اليها » .

ولم تعد المدام برتشارد صارمة ووقورة . كان رأسها يتمـــايل مع حركة الاتوبيس . وكانت تحـــلم . وكانت مرتدية . مرتدية ماذا ؟ ما الذى سترتديه ؟ شيء خفيف . ربمـــا تكون ملابس بيضـــاء خفيفة . وكانت مصطحبة ايلين فى جولة فى بيت الاركاديا الصغير الخاص بها .

وسألت ايلين « أتعجبين من السبب الذى جعلنى أحتفظ بقليل من أنواع الاركاديا القرمزية ؟ » . « حسنا . ان كل شخص له أقارب ممن يعجبون بالانواع القرمزية . وحتى أنت يا ايلين . وأنت تعرفين ذلك . ولكن أنظرى الى هنا . ها هى الانواع البنية الجميلة والانواع الخضراء المحببة للنفس . لقد طلب اليوت شراء هذه الاصـــناف من البرازيل . وهى مستجلبة على مسافة ألف ميل فى عمق الامازون » .

وفوق أرضية الاتوبيس كان المعول يصطك بالجاروف محدثا أصواتا حادة متقطعة .

وانحنى بيميلز بالقرب من أذن جوان « باستطاعتى قيادة الاتوبيس

نيابة عنك يا مستر شيكوى • فأنت فى غاية الارهاق • سأقود أنا اذا كنت ترغب فى ذلك » •

« لا • شـــــكرا لك يا كيت • فأنت قد بذلت من الجهـد ما فيه الكفاية » •

« ولكننى لا أشعر بالتعب »

فقال جوان « كل شىء على مايرام » •

وكان باستطاعة ميلدريد أن ترى المنظر الجـــانبى لوجه جوان فى مواجهة الطريق المضاء » •

« ترى كم سينقضى من الوقت قبل أن أشهد مرة أخرى يوما كهذا اليوم الذى انقضى • يوم مثل سبيكة من روح النعناع • اننى سأعيش على ذكرى هذا اليوم الى أن أتمـــكن من أن أحيـا يوما آخر جميلا على غراره » •

ومن خلال هدير وضجيج الاتوبيس استمع المستر برتشارد لانفاس فان برانت • واستطاع فقط أن يرى بصعوبة وجه فان برانت الملاصق للمقعد • واكتشف فى نفســـه أنه قد كره هذا الرجل لانه كان يلفظ أنفاسه الاخيـــرة • وتأمل كراهيته للرجل فى دهشـــة • وأحس أن باستطاعته أن يخنق هذا الرجل بسهولة ويخلصه مما هو فيه • وصاح فى داخله « أى نوع من الرجال أكون ؟ وما الذى يجعـــل هذه الامور المريعة تعتمل فى داخلى ؟ أأنا بصدد التعرض للخبل والجنون ؟ ربمـــا يكون السبب هو أننى بذلت جهودا شاقة للغـــاية فى العمل • ولربما يكون هذا بمثابة تمهيد لانهيار عصبى » •

وانحنى عن كثب لكى يتـــأكد من أن أنفـــاس الرجل المريض لم تتوقف • من المحتم أن تكون هناك كدمة رديئة فى سقف فمه فى المكان الذى انحشرت عليه العصا الصغيرة • ثم سمع حركة قليلة وأدرك أن ارنست هورتون قد عاد وجلس فى المقعد التالى •

« أتحب أن أقوم برعايته بدلا منك ؟ » •

فقال المستر برتشارد « لا • أظن أن كل شىء على ما يرام » واستطرد « ما هو المرض الذى يعانى منه فيما تظن ؟ » •

فقال ارنست « انها صدمة عصبية » واستطرد « اننى لم أهدف الى اثارة غضبك اليوم • لقد كنت فقط عصبى المزاج » •

وقال المستر برتشارد « انه مجـرد يوم من تلك الايام • ان الامور

عندما تسير بشكل سيء بعض الشيء فان زوجتي تقــــول (ستتحسن الامور في وقت ما) » .

وقال ارنست « حسنا . تلك طريقة منـاسبة للنظر الى الامور اذا استطاع الانسان تطبيقها . انني سأكون في هوليود ـ بلازا اذا أردت الاتصال بي أو جرب تلك الشقة في احدى الليالي في العنـــوان الذي أعطيته لك » .

فقال المستر برتشارد « انني أخشى أن أكون مرتبطا بالاعمال طوال الوقت . واذا كنت ترغب في القاء نظرة على المصنع في وقت ما فاننا قد نقوم ببعض الاعمال » . وقال ارنست « ربما نستطيع ذلك » .

وكانت نورما جالسة آنئذ بجوار النافذة والى جوارها على المقعــد كانت تجلس كاميل . وأسندت نورما مرفقها فوق قاعدة النافذة ونظرت الى الخارج نحو الظلام المرفرف المرتعد . وكان هنـاك شريط صغير من اللون الفاتح حول الحافة المحيطة بسحابة سوداء هائلة فوق الجبـــال الغربية . وما أن ارتفعت السحابة حتى سطعت نجمة المساء صـــافية ومفسولة وثابتة .

« ضوء النجمة . النجمة الساطعة ،
« أول نجمة أراها الليلة ،
أتمنى لو استطعت تحقيق الرغبة ،
التي تطلعت اليها الليلة »

فأدارت كاميل رأسها بينما النوم يداعب جفونها وتساءلت : « ماذا قلت ؟ »

وظلت نورما صامتة للحظة . ثم تساءلت في رقة وعذوبة « أسنرى كيف تسير الامور ؟ »

فقالت كاميل « نعم . سنرى كيف تسير الامور »

والى الامام بعيدا ، ونحو اليسار قليلا ظهرت للعيان عنـــاقيد من الاضواء ـ أضواء صغيرة تتغامز على المسافة ضائعة وهائمة ووحيدة في الليل ونائية وباردة ومتغامزة ومكبلة في خيوط من الاغلال والسلاسل .

فنظر جوان اليهم وصاح قائلا « تلك هي سان جوان أمامنا هنالك »

تمت

رقم الايداع : ٥٢٣٥ / ٨٩
الترقيم الدولى : ٠ - ٤٣٥ - ١١٨ - ٩٧٧ ISBN

روايات الهلال تقدم

وجـــع البعـــاد

تأليف

يوسف القعيد

تصدر : ١٥ سبتمبر ١٩٨٩



جون شتاينبك

● ولد فى ٢٧ فبراير عام ١٩٠٢ وتوفى فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٨

● حصل على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٦٢ عن روايته «عناقيد العنب ..

● تميز فى اختيار موضوعاته وبالشكل الروائى المتجدد دوما فى رواياته

● من أهم اعماله : كأس من ذهب ١٩٢٩ . ثم سهل تورتيلا "عن الرجال والفئران" و"شرق عدن" و"المهر الأحمر" .

● تحولت معظم رواياته الى افلام سينمائية وترجمت اكثرها الى اللغة العربية

● يمثل اخر جيل من الكتاب العمالقة فى الأدب الأمريكى فى القرن العشرين

هذه الرواية

هذه هى اول ترجمة لرواية « الاوتوبيس الجامح » .. لجون شتاينبك .. ورغم اهمية الرواية الا ان المترجمين لم ينتبهوا اليها .. فطواها النسيان .

وحول "الاوتوبيس الجامح" .. خصص الناقد المعروف بيتر ليسكا فصلا كاملا فى كتابه الهام «عالم شتاينبك» الرحيب .. جاء فيه ان طموحات الكاتب قد تجسدت بشكل امثل فى هذه الرواية من خلال السائق جوان ..الذى يأخذ راكبيه المختلفين عبر الريف . من طريق لآخر .. ماراً بالطرق والجسور التى اكتسحتها المياه ، عابرا الطرق الخلفية التى نساها البشر حتى يصل اخيرا الى سان جوان التى تصبح جزءا من الكاتب والسائق والقارىء معا .

وهناك تصميمان رئيسيان لهذه الرواية هما : تجميع الاشخاص وتفاعل كل منهم مع الآخر ، ثم الرحلة الفعلية للأوتوبيس

وقد تماسك التصميم على صعيد الاشخاص ، من خلال مؤشرات انسانية تفاعلت وانحلت فى سلسلة من الحوارات التى دارت خلال ساعات قليلة مما يؤكد ان هذه الرواية اكثر اهتماما بالحركة على صعيد الاشخاص بخلاف معظم روايات شتاينبك الأخرى ..

الاوتوبيس الجامح .. صرح جديد تصنعه روايات الهلال فى مبناها الشامخ وهى تسعى لنقل ارقى الادب العالمى الى اللغة العربية ..

ألوان تتألق شباباً



وتقدم الجديد لجمالك

لشفتيك.. لعينيك.. لأظافرك.. لوجهك